بحوث تاريخية وجغرافية

ذات علاقة بشرق الجزيرة العربية



عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي

ملتقى الواحتين

دار المحجة البيضاء

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
ISBN: 978-614-426-488-1

تحذير: لا يحق نشر هذا الكتاب، أو جزء منه، أو اختزان مادته بأي طريقة كانت، أو نقله على أي نحو، أو بأي وسيلة سواء أكانت (إلكترونية)، أو (ميكانيكية)، أو بالتصوير، أو بالتسجيل إلا بموافقة خطية من المؤلف.

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail: almahajja@terra.net.lb
info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com

بحوث تاريخية وجغرافية

ذات علاقة بشرق شبه الجزيرة العربية

بيانات النشر

اسم الكتاب: بحوث تاريخية وجغرافية ذات علاقة بشرق شبه الجزيرة العربية.

اسم المؤلف: عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي.

الطبعة: الأولى

تاريخ النشر: ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

رقم الكتاب: ....

الترقيم الدولي: ....

تحذير: لا يحق نشر هذا الكتاب، أو جزء منه، أو اختزان مادته بأي طريقة كانـت، أو نقله على أي نحو، أو بأي وسيلة سـواء أكانـت (إلكترونيـة)، أو (ميكانيكيـة)، أو بالتصوير، أو بالتسجيل إلا بموافقة خطية من المؤلف.

جميع الحقوق محفوظة لملتقى الواحتين

منشورات ملتقى الواحتين

بحوث تاريخية وجغرافية

ذات علاقة بشرق شبه الجزيرة العربية

عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي

دار المحجة

مقدمة:

هذه بحوث تاريخية وجغرافية يجمع بينها أنها ذات علاقة بتاريخ وجغرافية الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية كنتُ قد كتبتها في أوقات وسنين متفاوتة منها ما هو حديث، ومنها ما هو قديم، وبعضها تمّ نشره في بعض الأوعية المعرفية كالصحف أو المجلات أوبعض مواقع الشبكة العالمية (الإنترنت)، وبعضها لم يسبق له النشر.

وقد رأيت أنْ أجمع هذه البحوث في كتاب واحد حفظاً لها، وتيسيراً للباحثين الذين قد يجدون فيها بعض ضالتهم للوصول إليها، ولهذا فقد رجعتُ إلى البحوث التي سبق أن نشرتها منها، فأعدت قراءتها وأضفتُ إليها أو حذفت منها وفق ما نمى إليه علمي، أو ما استجدَّ لدي من معلومات لم تكن لدي وقت نشرها، وها هي كلها في هذا الكتاب الذي أرجو أن يستفيد منه الباحثون في تاريخ هذا الجزء الهام من شبه الجزيرة العربية.

مؤلف الكتاب؛

فَانْ أوْ آفَانْ

الواحة القطيفية التاريخية

كان هذا الموضع مشهوراً عند القدماء، وذكره أكثر من شاعر من شعراء العرب قبل الإسلام كالأسود بن يعفر النهشلي التميمي، وبعد الإسلام كالفرزدق، وهو من تميم أيضاً، وذكره أيضاً شاعر إقليم البحرين القديم علي بن المقرَّب العبدي العُيوني، ولذا اهتم به البلدانيون، فذكروه هم أيضاً، وحددوا مكانه، وإن كان تحديدهم له يُراد له تحديدٌ نظراً لأنّ تحديد الأقدمين للمواضع هو تحديد عربي بامتياز يفتقر دائماً إلى الدقة كما هي العادة عند العرب، فأنت مثلاً تقرأ كثيراً من التحديدات لمواضع على أنها تقع على بعد يوم وليلة من مكان معروف كقولهم مما يخص منطقة البحث مثلاً: "نحوهَجَر"، أو"قِبَلَ هَجَر"، أو"على ميلين من هَجَر"، ولكنهم لم يكونوا ليعنوا أنفسهم بذكر الجهة التي يقع فيها هذا الموضع بالنسبة إلى هجر، وهل هي إلى الجنوب منها أو الشمال أو الغرب أو الشرق، ثم مما يزيد الطين بلّة كما يقولون هو بعض التعريفات الفضفاضة للمِيل العربي، فهو (بُعدُ نَظَر)، فكيف يمكن تحديد مسافة بمقياس هذا تعريفه؟!.

وأياً كان الأمر فهذا لن يمنعنا عن تحديد هذا الموضع

مستعينين بما وفرته لنا المصادر القديمة في تحديده على قلتها وغموضها وعدم دقتها كما سبق وقلت.

صحة التسمية (آفان – آفاز – آفار)

نظراً لمشاكل تتعلق برسم الخط العربي القديم وكونه غير منقوط بدايةً، وكذلك لبعض القصور الذي لا يخلو منه بعض النساخين القدماء الذين خَطُّوا بأناملهم الكثير من الكتب العربية القديمة، فقد وقع في اسم هذا الموضع تحريف وتصحيف واضح في أهم الكتب البلدانية التي ذكرته، والفضل كل الفضل يعود إلى شعر الشعراء الذين ذكروه في حفظ رسمه، وإن كان بعض الخطاطين الذين كتبوا هذا الشعر على الرغم من أنهم كتبوه برسمه الصحيح إلا أنهم أخطأوا في أمور أخرى مثل الضبط بالحركات التشكيلية له، ثم ساهم في زيادة هذه الأخطاء أيضاً كون هذا الاسم يصح أن يُنطق بصيغتين لفظيتين كما سنرى وبالتالي فإنّني أفضل مناقشة صحة هذا الاسم أولاً قبل محاولة تحديد موضعه.

إنّ أقدم مؤرخ ذكر هذا الموضع – حسب اطلاعي – هو

المسعودي، وذلك عند ذكره للوقعة الهائلة التي جرت عام ٢٨٧ للهجرة بين قائد جيش العباسيين، وهو العباس بن عمرو الغنوي وبين أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي الذي كان قد احتل القطيف وبدأ في تأسيس الدولة التي عرفت في التاريخ باسم دولة القرامطة، فكان أنْ جرَّد له الخليفة المعتضد العباسي جيشاً كبيراً بقيادة العباس المذكور، فذكر المسعودي أنّ العبّاس بعد أن غادر البصرة في طريقه إلى أبي سعيد في القطيف أراد نزول موضع كتب اسمه (افان) مرّتين في أقدم طبعات كتابه التنبيه، وهي طبعة ليدن المنشورة عام ١٨٩٣م،[١] ثم كتب بالاسم ذاته أيضاً في طبعة دار الصّاوي المنشورة عام ١٩٣٨م، ولكن كتب مرّة (افان) بألِفَين مُسَهّلتين، ومرّة (أفان) بهمز أولى الألفين، والأمر ذاته في طبعة دار ومكتبة الهلال المنشورة عام ١٩٨١م، وطبعة دار صعب غير المؤرخة، والتي طبعت مصوَّرة عن طبعة دار الصّاوي.[٢]

---

[١] علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف؛ تحقيق دي جوجي (ليدن: مطبعة بريل ١٨٩٣م) الصفحة ٣٩٣.

[٢] انظر على التوالي:

وقد ورد هذا الموضع في ثلاثة مصادر بلدانية يعود أقدمها للقرن السادس الهجري، وهو كتاب الأمكنة والمياه لنصر الإسكندري المتوفى – ظناً – عام ٥٦١هـ، وفيه ورد تحت باب [أبار وأبان وآفان]:

".. وأما آفان – أوله مدة ثم فاء أخت القاف – قرية برية وراء القطيف بأربعة فراسخ لكلب جذيمة عبد القيس، وهم بأس وعدد".[٣]

ويلاحظ أنّ نصراً لم يذكر ضبط الحرف الأخير، وإن كان رسمه على أنه (آفَاْن) بألف ممدودة، ثم فاء مفتوحة، فألف

•علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف (القاهرة: دار الصّاوي ١٩٣٨م)؛ الصفحة ٣٤١.

•علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف (بيروت: دار ومكتبة الهلال ١٩٨١م)؛ الصفحة ٣٥٧.

•علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف (بيروت: دار صعب دت)؛ الصفحة ٣٤١.

[٣] نصر الإسكندراني: الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار؛ تحقيق حمد الجاسر (الرياض: دارة الملك عبد العزيز ٢٠٠٤م)؛ ج١: ٥٧.

ساكنة، وآخره نون وهو مقارب جداً لاسمه الوارد عند المسعودي في التنبيه والإشراف كما رأينا قبل قليل.

والمصدر الثاني هو لمعاصر نصر الإسكندري، وهو الحازمي المتوفى عام ٥٨٤هـ، وفيه ورد تحت الباب [أَبَان، وأَبَار وأَفَارَ]:

".. وأما الثَّالِثُ ممدود ٱلْأَوَّلُ ثُمَّ فاء: قَرْيَة بينها وبين القطيف أربعة فَرَاسِخ برية وهي لقوم من عبد القيس".

ويلاحظ أنه ذات التعريف الموجود في كتاب نصر، ولكن ببعض الاختصار المخلّ؛ كما يلاحظ أنّ الحازمي هو أيضاً لم يذكر ضبط الحرف الأخير فيها مكتفياً بذكر الألف والفاء فقط، ولكننا نرى في الرسم تحوّل لفظة "آفان" الواردة عند نصر إلى "أفار" بالراء، ولا ندري إن كان هذا من قلم الحازمي نفسه، أو هو من خطأ نساخ كتابه.

وأما المصدر الثالث الذي ذكر هذا الموضع، فهو ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦هـ في كتابه الشهير معجم البلدان، وفيه الآتي:

"آفَازُ: بالزاي - ووجدته في كتاب نصر بالنون -: قرية

بالبحرين بينها وبين القطيف أربعة فراسخ في البر وهي لقوم من كلب بن جَذيمة من بني عبد القيس ولهم بأس وعدد".

ومن الواضح هنا أنّ ياقوتاً رسمها بالزاي في آخرها،[٤] ونصّ على ذلك، ولكنه استدرك بقوله: **"ورأيتها في كتاب نصر بالنون"**،[٥] فهذا يثبت ويؤكد أنّ نصراً كتبها بالنون كما تقدم معنا، ولكننا لا نعرف من أين أتى بها ياقوت بالزاي في آخرها، وقد رأينا أنّ الحازمي رسمها بالراء في آخرها، ونصر والحازمي – على ما يبدو من تشابه الكلام – هما مصدرا ياقوت عن هذا الموضع.

وأياً كان الأمر، فإنّ (آفار)، و(آفاز) ما هو إلا تحريف واضح للاسم الصحيح (آفَانْ) تماماً كما رسمها نصر الإسكندري

---

[٤] وهو ما جعل أستاذنا الجاسر – رحمه الله – يفردها بهذا الرسم في عنوان خاص، وإن كان قد أشار إلى قراءة نصر بالنون في آخرها، ولكنه لم يلتفت إلى أن الاسم سواءً عند نصر أو الحازمي لم يكن مهموز الألفَين، فذكره في رسم (أفأن) مهموزاً اعتماداً على طبعة ديوان الفرزدق.

[٥] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٩٧٩م) ج١: ٥٥.

وكتبت عند المسعودي، وكما وردت في الشعر القديم لثلاثة من الشعراء العرب منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى القرن السابع الهجري، حتى وإن كان النساخ قد تصرّفوا في تشكيلها حركياً أو في تسهيل حرفي الألف أو همزهما بحسب بعض الخصائص اللغوية الخاصة بقبائل الشعراء الذين ذكروها، والتي كان بعضها معروفاً بتسهيل الهمز وبعضها لا يرى التسهيل.

استقراء النصوص الشعرية القديمة التي ذكرت آفان

إنّ أقدم نص شعري لدينا ورد فيه اسم هذا الموضع القطيفي هو نص يعود لما قبل الإسلام، وهو للأسود بن يعفر النهشلي[٦] الدارمي التميمي الذي ذكر فيه هذا الموضع، وذكر ما يفيد أنه كان فيه مصنع للخمر.

وربما كان هذا الموضع حانة من حانات شرق الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ مثله مثل حانة ريمان الواقعة للشمال الغربي

[٦] كان بنو نهشل يقطنون لَصَاْفَ التي تُعرف الآن باللصافة، وبالتالي، فإنّ الأسود بن يعفر هو من سكان المنطقة، ولهذا ورد في شعره أسماء كثير من المواضع فيها.

منه بـ(٢٣ كيلومتراً)؛[٧] يقول الأسود بن يعفر:[٨]

---

[٧] جاء في رسم ريمان من معجم البلدان: "قرية بـالبحرين لعبـد القـيس .. قال الراعي:

وصهباء من حانوت ريمان قد غدا

على ولم ينظر بها الشرق ضابح"

وفي كتاب (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب) للسري الرفـاء: "كانـت حانة ريمان بهَجَر، وليس يُـدرى أهـي منسـوبة إلى رجـل أم إلى موضـع، وقـد ذكرها الراعي النميري حيث يقول:

وصهباءَ من حانوتِ ريمانَ قد غـدا — عليَّ ولم ينظرْ بها الشـرقَ صـابحُ
يُقصّـرُ عنهـا النـومَ كـأسٌ رويّـةٌ — ورخصُ الشواءِ والقِيانُ الصوادحُ
يُغَنيننـا حتـى نـروحَ عشـيةً — نجيّـاً وأيـدينا لأيـدٍ تُصـافحُ"

ومثله في (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمري إلا أنه قال هناك: "حانة هجر، وتعرف بحانة ريمان".

وقوله بهجر من بـاب تغليـب هـذا الاسـم الشـهير علـى كامـل إقلـيم البحرين القديم عند بعض الكتاب القدماء، وإلا فإنّ ريمان تقـع في البيضـاء بيضاء جذيمة عبد القيس أو بيضاء الخط أي القطيف، ولا زال اسمها وموضعها معروفين حتى هذا الوقت، وهي واحة قديمة تحدها من الشرق العُرقوبة، ومن الشمال الفطح المعروف حاليا بـ(طفيْح)، ومن الغـرب هجـرة واحـة سـعادة، وإلى الجنوب الشرقي منها بمسافة عشرة كيلومترات تقريباً تقع العَبا أو الأعباء الواحة القطيفية الشهيرة.

كــأنَّ ريقَتَهَــا بعــدَ الكَــرَى اغْتَبَقَــتْ
صِـــرْفاً تخَيَّرَهَـــا الحَـــانُوْنُ خُرْطُوْمَـــا[9]
سُــــلاْفةَ الــــدَّنِّ مرفُوعَــــاً نَصَــــائِبُهُ
مُقلَّـــدَ الفَغْـــو والرَّيحَـــانِ مَلثُوْمَـــا[10]
وَقَدْ ثَوَىْ نِصْـفَ حَـوْلٍ أشْـهُرَاً جُـدُداً

---

[8] انظر:

•المفضل بن محمد الضبي: المفضليات؛ تحقيق حسن السندوبي (القاهرة: المطبعة الرحمانية ١٩٢٦م)؛ الصفحة ٢٠٠.

•عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٧م) ج٣: ٣٨٤.

•الأسود بن يعفر النهشلي: ديوان الأسود بن يعفر؛ جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام ١٩٦٨م)؛ الصفحة ٦٠.

[9] اغتبقت: أي شربت في العشي، والصِّرْف ما لم يمزج بماء، والحانون: الخمَّار، والخُرْطُوم هنا أوَّل ما ينزل من الدَّنّ.

[10] النصائب: آلة يُرفع عليها دن الخمر لتعريضها للريح والشمس، والفَغْو: نبات طيب الرائحة، والفغو: الزهر أو الورد، والريحان نبت معروف بطيب الرائحة؛ يريد أن يقول إنّ هـذه الخمرة في دنٍّ مرفوع عن الأرض لتضربه الريح والشمس، وأن هذا الدنّ مغطى ومحاط بالريحان والزهور.

بَبَـــابِ (أَفَّـــانَ) يَبْتَـــارُ السَّـــلالِيْمَا[11]

حَتّــــى تناوَلَهَـــــا صَــــهْبَاءَ صـــافيةً

يَرْشُـــوْ التِّجَــارَ عليْهَــا وَالتَّرَاجيْمــا[12]

وهنا نلاحـظ مـن البيـت الثالـث أنّ موضـعنا رُسِـمَ رسماً صحيحاً، ولكنّ تشكيله اختلف فيه، ففي المفضـليات وخزانـة الأدب شُكِّل الاسم بالهمزة على ألفه الأولى، وتشديد الفاء، ثم ألف ساكنة مسهلة الهمز، فنون، وهذا التشـكيل للبغـدادي في الخزانة نصّ عليه نصّاً،[13] وعنه – على ما يبـدو – أخـذ محقـق المفضليّات.[14]

إلا أنّ جامع ومحقق شعر الأسود – الذي لم يصـلنا مخطوطـاً – وهــو الباحــث العراقــي الــدكتور نــوري القيســي كتبهــا

---

[11] الضمير في "ثوى" يعود إلى الحانون أي الخمَّـار، ويبتـار السـلاليم: أي يصعد السلالم سلماً بعد سلم ليختبر الخمرة التي فيها.

[12] التراجيم: أشخاص يقومون بالترجمة من لغة إلى لغة.

[13] عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسـان العـرب؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٧م) ج٣: ٣٨٤.

[14] يحيى بن علي بن محمد = الخطيب التبريزي: شرح اختيـارات المفضـل؛ تحقيق فخر الدين قباوة (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٧م) ج١ – ٣: ١٦٧٩.

"أفْأَن" بالألف المهموزة، ثم الفاء الساكنة، فألف أخرى مهموزة ومفتوحة، ثم نون مخففة في آخره، ولم يذكر مصدر تشكيله للاسم بهذه الصورة.

وورد اسم هذا الموضع في ديوان الفرزدق أيضاً، وهو من شعراء صدر الإسلام، وذلك في قطعة له رائية قالها مادحاً بها عمر بن هبيرة الفزاري، ويقول في آخرها مخاطباً له:

أنتَ رَجائِيْ بأَرضِي، إنَّنِيْ فَرِقٌ
مِنْ وَاسِطٍ والّذيْ نَلقَاهُ نَنْتَظِرُ
ومَا فَرِقْتُ وَقَدْ كَانَتْ مَحَاْضِرُنَا
منْهَا قَريْباً - حِذَاْريْ ورْدَهَا - هَجَرُ[١٥]
اِسْأَلْ زيَاْدَاً ألَمْ تُرْجِعْ[١٦] رَوَاْحِلُنَاْ

---

[١٥] يريد الفرزدق أن يقول في هذا البيت إنه لم يخف من ورود هجر التي كانت محاضرهم قريبة منها مثل خوفه من ورود واسط.

[١٦] ترجع بضم التاء، وسكون الراء، ثم جيمٌ مكسورة، فعين؛ هذا هو الصحيح في قراءة هذه اللفظة في هذا الموضع من شعر الفرزدق، وليس تَرْجع بفتح التاء، ومعنى تُرجع بضم التاء أي تَسمُن بعد هزال يريد أنّ رواحلهم الهزيلة رعت في بادية البحرين الخصيبة القريبة من آفان حتى سمنت من دون خوفٍ لحاكم الأمويين فيها، وهو زياد بن الربيع الحارثي المذكور في أول البيت.

وَنَخْـــلُ آفَــانَ مِنِّـــيْ بُعْـــدُهُ نَظَـــرُ

وقد هُمِزَتْ أَلِفَيْ (آفان) وشُددت نونها في ديوانـه المطبـوع بطبعتيه التي حققها إيليا الحاوي عام ١٩٨٣م والتي حققها علـي فاعور عام ١٩٨٧م، فكتبت فيهما "أفْأَنّ" مـن دون الإشـارة إلى مصـادرهما في ذلـك،[١٧] ولكنهـا كتبـت في الطبعـة الباريسـية القديمة: "افان" بدون همز أو تشكيل،[١٨] وهو أقـرب للصـحة مما ضبطه بها محققا الطبعتين السابقتين.

وأخيراً يأتي ابن المقرَّب العيوني، وشارح ديوانه – وهو من سكان المنطقة في القرن السابع الهجري – فيقطعا كل شكٍّ في رسم اسم هذا الموضع، ويؤيدا ما كتبه نصر الإسـكندري مـن

---

[١٧] انظر:

- همام بن غالـب بـن صعصـعة الـدارمي التميمـي = الفـرزدق: ديـوان الفرزدق؛ تحقيق إيليا الحاوي (بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣م) ج١: ٣٨٣.
- همام بن غالـب بـن صعصـعة الـدارمي التميمـي = الفـرزدق: ديـوان الفرزدق؛ تحقيق علي فاعوي (بيروت: دار الكتب العلميـة ١٩٨٧م)؛ الصـفحة ٢٠٢.

[١٨] همام بن غالـب بـن صعصـعة الـدارمي التميمـي = الفـرزدق: ديـوان الفرزدق بإملاء محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي (باريس ١٨٧٠م) ج٢: ١٧٩.

أنها (آفان)؛ بل قد أفاد شارح الديوان بوجود قراءة أخرى للاسم لدى أهالي المنطقة، وهي (فَـاْن) بحذف الألف الأولى جرياً على عادتهم في ذلك، وقد حفظ لنا ديوان هذا الشاعر اسم هذا الموضع في آخر أحد أبيات قصيدة قافيتها نونية مما يثبت أن نهاية الكلمة حرف النون وليس أي حرف آخر.

وهذه القصيدة النونية قالها ابن المقرَّب عام ٦٠٦ للهجرة عند رجوعه من العراق يريد القطيف، فنزل هذا الموضع المسمى (آفان) حيث لقيه فيها أحد زعماء قبيلة عُقيل، وهو إبراهيم بن المفدى بن سنان العُقيلي الذي أخبره بأمر مزعج، وهو قتل ابن عمه مذكور بن عبد الله العُيوني على يد أحد أفراد قبيلة الحريش العُقيلية، وهنا أذكر موضع الشاهد من نصّ كلام شارح الديوان في مقدمته لهذه القصيدة؛ حيث قال:

"وقالَ يَرْثي ابنَ عمِّهِ مَذكُوْرَ بنَ عبدِ الله بنِ منصورِ بن مُقَرَّب، وكانَ قدْ قَتَلهُ رجلٌ من الحَرِيْشِ سنةَ ستٍ وستمائة، وكانَ غائباً ببغداد، فبلغهُ خبرُ قتلهِ عندَ وُصُولِهِ إلىْ أرضٍ من

أراضيْ القطيفِ بالبحرينِ تُسَمَّى فَاْن؛ يُقال فَان وَ آفَان"[١٩]

ثم سرد القصيدة إلى أن وصل إلى قوله منها:

أقُــوْلُ لِنَاْعِيْــهِ وَقَــدْ كَظَّنِــيْ البُكَــاْ
وَقَـدْ آضَ مِـنْ صَـدْرِيْ تَـأجُّجُ نِيْـرَاْنِ
وَقَدْ أشْـرَفَ الرَّكْـبُ العِرَاْقِـيُّ قَاْصِـدَاً
إلَىْ الخَطِّ أعْلَىْ ذِيْ الشَّقِيْقَةِ مِـنْ فَــاْن

فعلَّق الشارح هنا قائلاً:

"الركبُ العراقيّ الذين كانوا من عندِ الخليفة نصرةً للأميرِ فَضْلِ بن محمدِ بن أبيْ الحُسَين، وكانَ مسيرُه معَهُمْ، وَفَاْن أرضٌ بالقطيفِ من البحرينِ؛ يُقَالُ فَانْ وآفَاْنْ".[٢٠]

---

[١٩] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢) ج٥: ٢٥٩٧.

[٢٠] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج٥: ٢٦٠٤.

وقد وقع محققو الطبعة الهندية للديوان المقرَّبي في خطأ كبير عندما حرّفوا جملة: "من فان" في آخر البيت الثاني إلى "فرقان"، وسار على منوالهم الدكتور عبد الفتاح الحلو – رحمه الله – في تحقيقه للديوان على الرغم من أنه كانت لديه نسختان كتبتاها صحيحة كما في طبعتنا، وأشار هو إلى ذلك في

ومنه يتضح أنّه يقال لهذا الموضع آفَانْ وفَانْ، والاسم الأخير هو الوارد في شعر ابن المقرَّب كما رأينا في البيتين، وهو الاسم الذي ظلّ معروفاً لهذا الموضع حتى منتصف القرن العاشر الهجري حيث كتب في بعض السجلات العثمانية إبان احتلالهم للقطيف كما سنرى لاحقاً.

سكان قرية فان

الهامش عند هذا البيت، وهما النسختان اللتان رمز لهما اختصاراً بالرمزين (ج)، و(م)، ويعني بالأولى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [١٠١٧أدب]، والثانية النسخة المطبوعة بالمطبعة الميرية بمكة المحمية، والتي تم طبعها في ربيع الثاني سنة ١٣٠٧هـ. ولم يتنبه الحلو إلى أن قراءة هاتين النسختين هي الأصح، فإن الواضح من قراءة هذين البيتين حسب الديوان المحقق من قبله يوحي أن ذا الشقيقة وفرقان اسمان لمسمى موضع واحد على وجه البدل، والأصح هو القراءة الثانية أي قراءة النسختين [ج ، م]، وهو قوله:

ونحن بأعلى ذي الشقيقة من فان

ولكنه فضَّل الأخذ بما في الطبعة الهندية على الخطأ الواضح فيه، وكذلك فعل أستاذنا الجاسر – رحمه الله – الذي كتب في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية / قسم المنطقة الشرقية موضعاً أسماه (فرقان)، ونقل عن محققي الطبعة الهندية تعريفهم له في حين إنه آفان التي ذكرها الأستاذ في رسمي [آفاز] و[أفأن].

قال ابن الأعرابي في شرح البيت الثالث من أبيات الفرزدق المتقدمة معنا هنا:

"آفان : قرية بالقطيف للأزد وعبد القيس"[٢١]

وقد مرّ بنا فيما مضى قول نصر عن هذه القرية إنها لبني **"كلب جذيمة عبد القيس"**، والذين ذكر أنه كان لهم **"بأس وعدد"**، وهو ما نقله عنه ياقوت كما رأينا أيضاً إلا أنّ ياقوتاً ذكرهم على أنهم **"كلب بن جَذيمة من بني عبد القيس"**، وقول نصر هو الأصحّ، فكلب ليس ابن جذيمة مباشرة؛ بل بينه وبين جَذيْمة ثلاثة أباء، ولحسن الحظ أنّه حفظ لنا نسبهم شارح الديوان المقرَّبي لأنهم كانوا القبيلة العبدية التي انحدر منها بنو سلْم وبنو مسمار الذين حكموا القطيف في القرن الثالث الهجري قبل أن يطيح بهم أبو سعيد الجنَّابي وينتزع ملك القطيف منهم بعد قتله لزعيمهم علي بن مسمار الكَلْبِيِّ الجَذَمِيِّ العَبْدِيِّ عام ٢٨٧هـ، والذي رفع شارح الديوان

---

[٢١] حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية / المنطقة الشرقية (البحرين قديماً) (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر؛ دت)؛ ج١: ١٦٣؛ رسم [أفأن].

نسبه إلى جدّه كلب، ثم إلى جذيمة، ثم إلى عبد القيس، ومنه عرفنا أنّ بني كلب هؤلاء هم بنو كَلْبِ بنِ عَامرِ بنِ سَعْدِ بنِ ثَعْلَبَة بنِ جَذِيمَةِ بنِ عَوْفِ بنِ بَكْرِ بنِ عَوْفِ بنِ أَنْمَارِ بنِ عَمْرو بنِ وَدِيْعَةْ بنِ لُكَيْزِ بنِ أَفْصَىْ بنِ عَبْدِ القَيْسْ.[22]

وأول من ذكر في الكتب بالرئاسة منهم هو أحمد بن سَلْم بن منخور الكَلبيّ الجذَميّ العَبديّ الذي ذكره صاحب كتاب المناسك المجهول الاسم، وقال عنه إنه كان **"رئيس أهل القطيف"**،[23] وذكر المرزباني ابنه القائد والشاعر العباسي في زمن المتوكل محمد بن أحمد بن سلم بن منخور العبدي في معجم الشعراء، وقد تحدثت عنهما وعن بني عمهم آل مسمار في تحقيق قصيدة الحسين بن ثابت المنشورة في كتابٍ خاص بها، وعليه فإنّ بني كلب الجذَميين العبديين هم سُكان (آفان)

---

[22] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢) ج٥: ٢٨٨١.

[23] مؤلف مجهول: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ومعالم الجزيرة؛ تحقيق حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٩٨١م.) الصفحة ٦٢٠.

من عبد القيس الّذين أشار لهم ابن الأعرابي في شرحه لأبيات الفرزدق، وذكر أنهم كانوا سكانها، ومعهم الأزد.

والأزد الذين ذكر ابن حبيب أنهم كانوا شركاء لعبد القيس في (آفان) لم يذكر المؤرخون اسم البطن الأزدي الذي ينتمون إليه صراحة؛ إلا أنّ بعض القرائن التاريخية تجيز لنا أن نخمّن أنهم بنو معن الأزديون الذين تحدثت عنهم في تحقيقي لشرح ديوان ابن المقرَّب، وذكرتهم فيه مع بني عمومتهم بني نحو، والقريتين الأحسائيتين المسمّاتين بهذين البطنين حتى وقتنا هذا،[24] ورجّحت هناك أنّ بني معن الأزديين هؤلاء هم الذين ذكرهم المسعودي مقرونين مع بني مسمار الكلبيين الجذميين العبديين، وذكر أنهم كانوا يسكنون معهم في جزيرة أوال،[25] وبنو مسمار هؤلاء هم حكام القطيف في القرن الثالث الهجري كما سبق وذكرت، ويبدو أنّ بني معن المذكورين معهم

---

[24] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢) ج٥: ٢٥٨٤، ٢٦٥٦.

[25] علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر (قم: دار الهجرة ١٩٨٤م) ج١: ١٢٦.

كـانوا معهـم أيضـاً في القطيـف كمـا كـانوا معهـم في أوال، وبالتالي فإنه من المرجح أنهم هـم الـبطن الأزدي الـذي كـان يسكن مع بني كلب في آفان، والله أعلم.

وصف آفان وتحديدها

لقد مرَّ بنا للتوِّ قول ابن الأعرابي في شرح ديوان الفرزدق:

"وآفَانُ: قريةٌ بالقَطِيفِ للأزْدِ وَعَبدِ القَيْسْ".

وافضل منه وصفاً لها هو نصر الإسكندري المتقـدم، والـذي قال عنها إنها:

"قَرْيةٌ بَرّيةٌ وَرَاءَ القَطيفِ بأربعةِ فَرَاسِخْ".

وعند الحازمي:

"قَرْيَةٌ بيْنها وبَينَ القَطيفِ أرْبعةُ فَرَاسِخ برِّيةْ"

ولفظة برية ليس للفراسخ كما قد يتبادر إلى الذهن؛ بل هي وصف للقرية أنها برية كمـا قـال نصـر بوضـوح، وكمـا قـال ياقوت عنها أنها:

"قَرْيةٌ بـالبَحْرَيْنِ بَينَهـا وبَـينَ القَطِيْـفِ أرْبَعَـةُ فَرَاسِـخٌ فيْ البَرّ"

ومن جملة هذه الأوصاف نخلص إلى أنّ هذه القرية هي قرية في برٍّ القطيف بينها وبين مدينة القطيف أربعة فراسخ، ولكن هذه الفراسخ الأربعة من أي جهة من جهات القطيف، فهذه هي إشكالية التحديد العربية للمواضع، والتي سبق وأن أشرت إليها، وهي أنّ المؤرخين والجغرافيين واللغويين العرب كانوا يكتفون بمثل هذا القول الذي رأيناه في تحديد هذه البلدة، فهم إما أن يقولون إنها وراء القطيف، أو بينها وبين القطيف أربعة فراسخ، ولكنهم لا يعنون أنفسهم بتحديد الجهة التي يقع هذا الموضع فيها بالنسبة للقطيف هل هو للشرق منها أو الشمال أو الغرب أو الجنوب أو أيٍّ من الجهات الفرعية، وبالتالي فإننا لا نملك إلا أن نُعملَ العقلَ والفكرَ معاً لتحديد موقع هذا الموضع بالنسبة للقطيف، والتي لحسن الحظ هي واحة بحرية يقع البحر إلى الشرق منها، وبالتالي فإنّ الجهة الشرقية ينتفي كون آفان فيها لأنها قرية بريّة كما سبق ورأينا عند المؤرخين والجغرافيين المارّين بنا، وعليه فإنه يجب علينا البحث عن آفان في الجهات الجغرافية الأخرى بالنسبة لواحة القطيف دون الجهة الشرقية، وهو ما سيفيدنا فيه المؤرخ الفذ

علـي بـن الحسـين المسـعودي الـذي لم يكتـفِ بـذكر الاسـم صحيحاً فقط كما مرّ بنا، بل وحدد لنا موقع آفان تحديداً جيـداً عندما تحدث في كتابه (التنبيه والإشراف) عن الواقعة المدويـة التي حدثت في الربع الأخير من القرن الثالـث الهجـري بـين أبي سعيد الجنابي حاكم القطيـف حينهـا وبـين العبـاس بـن عمـرو الغنـوي قائـد الجـيش العباسـي الـذي سـيره الخليفـة المعتضد لمحاربة أبي سعيد؛ حيـث ذكـر المسـعودي أنّ العبـاس الغنوي بعد أن سار من البصرة الواقعة شمال القطيف؛ متوجهاً لمحاربة أبي سعيد نزل في طريقه إلى القطيف على الماء المعروف بـ(الأعباء)،[٢٦] ثمّ ارتحل منه قاصداً النزول علـى موردمـاء آخـر يقع بين الأعباء وبين القطيف؛ هو (آفـان)، فالـذي يُفهـم مـن هذا الكلام هو أنّ آفان تقـع بـين (الأعبـاء) وبـين القطيـف، وهذا يعني أنّ آفان تقع شمال القطيف، أو في شمالها الغربي.

---

[٢٦] كتب اسم هذا الموضع (الأعياء) في طبعة ليدن لكتـاب التنبيـه، وعنهـا نقلت بقية الطبعات ذات الخطأ، والصحيح هو أنه مصحف عـن (الأعبـاء)، وهو مورد لا زال معروفاً حتى هذا الوقت، وإن كان سكان المنطقة قد خففـوه هو الآخر من ألفه الأولى كما فعلوا مع آفان، فهـم يسـمونه العَبَـاء أو العَبَـا، وسيكون لنا حديثٌ عنه فيما يلي.

ونظراً لما لهذا النص من أهمية كبيرة لتحديد موضعنا (آفان)، فإنني سوف أورده هنا كاملاً، ثمّ أقوم بتحليله تحليلاً علمياً وميدانيا للوقوف على المكان الذي كانت تقوم فيه هذه القرية الهامة التي كانت محطة استراحة للمسافرين منذ ما قبل الإسلام وحتى وقتٍ قريب من عصرنا الحاضر، وسوف أنقل نص المسعودي عن طبعة ليدن لأنها أفضل طبعات هذا الكتاب على الإطلاق، والطبعات الأخرى اللاحقة لها هي عيال عليها؛ كما امتازت طبعة ليدن بالتحقيق العلمي وذكر الاختلافات في تسمية المواضع حسب النسخ التي رجع إليها محققها بعكس الطبعات الأخرى، ونظراً لأنّ كلام المسعودي الطويل عن آفان وقع فيه استطرادٌ طويل كما هو عادة المؤرخين الموسوعيين، فقد رأيت أنْ أضع كل استطراد وقع في هذا النصّ بين شرطتين، وأنْ أكتبه بخط رفيع جداً حتى يتم تمييزه عن الكلام الأصلي، فلا يقع بعض القراء في ربكة وقع فيها غيرهم بحيث إنهم لو قرأوا النصّ بدون هذه

الاستطرادات المكتوبة بخطٍّ رفيع، فسيدركون مُراد المسعودي، وهذا هو النصّ:[27]

"**وَمُواقَعَةُ أبيْ سَعيدٍ العَبّاسَ بنَ عَمْروٍ الغَنَوِيّ،** - وقَدْ جَرَّدَه المعْتَضِدُ لِلِقَائِهِ مِنِ البَصْرَةِ - **فيْ السَّبْخَةِ المعْرُوْفَة بـ (افان)،** وَ(افان)[28] مَاءٌ وَنخلٌ أرَادَ العَبّاسُ نُزُوْلَهَا، وَذلكَ عِندَ ارْتحالِهِ مِنِ الماءِ المعروفِ بـ (الأعْبَاء)،[29] فسَبَقَهُ أبو سَعِيْدٍ إلىْ الماءِ، **وَطُوْلُ هَذهِ السَّبَخَةِ سَبْعَةُ أمْيَاْل، وبَيْنهَا وبَينَ البَصْرَةِ سَبْعَةُ أيّامٍ، وَهْيَ عَلَى يَوْمَينِ[30] مِنْ سَاْحِلِ البَحْرِ،** - وَهيَ القَطيفُ،[31] وَبينَ

---

[27] علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف (ليدن: مطبعة بريل ١٨٩٣) الصفحات ٣٩٣ – ٣٩٤.

[28] كذا كتبت هي وما قبلها.

[29] سبق القول إنها كتبت "الأعياء"، وتم تصحيحها إلى الأعباء هنا.

[30] كذا وردت يومين، وقد أشار المحقق إلى أنها وردت في إحدى النسخ المخطوطة: "على يوم من ساحل البحر"، وقد مرّ بنا قول نصر عن آفان أنها على بعد أربعة فراسخ فقط من القطيف الواقعة على ساحل البحر، والفرسخ ثلاثة أميال، فهذا يعني أن بين آفان والقطيف ١٢ ميلاً، فعليه يكون ما ورد في النسخة الأخرى لكتاب التنبيه، وهو تحديد المسافة بينهما بيومٍ واحد هو الأقرب للصحة.

[31] يجب الالتفات إلى أنّ المقصود بجملة: "وهي القطيف" هو جملة "ساحل

القَطيفِ وَبينَ البَّحْرِ مِيْلٌ[٣٢]، وَلها[٣٣] مَدينةٌ عَلَى السَّاحِلِ، يُقَالُ لها (عِنَك)[٣٤] وَفِيهَا يقُولُ الرَّاجزُ :

طَعْـــــنُ غُـــــلامٍ لَمْ يجُئْـــــكَ بالسَّـــــمَكْ
وَلَمْ يُعَلَّـــــــلْ بخَياشِـــــــيْمِ عِنَـــــــكْ –

فَلَمَّا تَوَسَّطَ العَبّاسُ السَّبَخَةْ؛ بَعَثَ أبو سَعِيْدٍ، فَغَوَّرَ مَا وَرَاْءَهُ من المِيَاهِ، وَكَانَت[٣٥] فيْ أعْلَى السَّبَخَةِ، وَهوَ طَرِيْقٌ ضَيِّقٌ،

البحر" المذكورة قبلها كما سأوضحه بعد قليل.

[٣٢] هذا تحديد دقيق لأنه يقصد بالقطيف هنا عاصمة القطيف القديمة (الزارة) والتي كانت قائمة إلى الشرق من القرية المعروفة اليوم بالعوّامية، وموضعها لا زال معروفاً، وهي بالفعل لم تكن تقع مباشرة على البحر بل تبعد عنه بمقدار الميل تقريباً؛ تفصل بينها وبينه غابات من النخيل.

[٣٣] الضمير هنا يعود على القطيف، وهو استطراد مألوف لدى كتاب تلك الحقبة.

[٣٤] كتبها المحقق: "عُنَك" بضم العين، والمسموع من الأهالي الآن هو "عِنَك" بكسر العين، وهو الأصح، وهي قرية قطيفية مشهورة تقع بين سيهات والشويكة من قرى القطيف، وكما استطرد بذكر القطيف عن آفان، فهو الآن يستطرد مرّة أخرى بذكر عنك عن القطيف.

[٣٥] ذكر المحقق أنّه في إحدى النسخ المخطوطة كتبت: "وهي" بدلاً من "وكانت"، ولا فرق، فالضمير فيهما يعود إلى المياه أي أنّ هذه المياه التي غورها أبو سعيد كانت في أعلى السبخة، وهو يدل على أنها كانت في تل أو هضبة، وهو أمرٌ صحيح بالنسبة لهذه السبخة التي سوف نعرف لاحقاً أنه كان بها

وَأبو سَعِيْدٍ فِيْ سَبْعِمَائَةِ فَارِسٍ وَرَاْجِلٍ مِنْ كِلابٍ وَعُقَيْلٍ وَبحْرَاْنِيِّينَ، وَالعَبَّاسُ فِيْ سَبْعَةِ آلافٍ مِنِ الجُنْدِ، وَمُطَوَّعَةِ البَصْرَةِ وَالبَحْرَاْنِيِّينَ، الّذِيْنَ كَاْنُوْا خَلُّوْا[36] عَنِ البَحْرَينِ وَغَيرِهِمْ، فَأُسِرَ العَبَّاسُ وَأُتِيَ عَلَىْ أكْثَرِ مَنْ كَاْنَ مَعَهُ، وَلَمْ يَنْجُ إلاّ الشَّرِيْدُ، وَذِلِكَ فِيْ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٢٨٧".[37]

وهذا الوصف من المسعودي غاية في الدقة، سوى قوله إن السبخة (سبخة آفان) على يومين من البحر، والذي يبدو – كما سبق وقلت – أنّ يومين تحرفت عن يوم، والأصح أنها نصف يوم، وكذلك أيضاً ينبغي أن نلفت النظر إلى أن مُرادُ

بعض الهضاب أو التلال التي يكون فيها عيون ماء دافقة.

[36] هكذا كُتبت في طبعة ليدن، وتبعتها الطبعات الأخرى، وهي صحيحة من (الإخلاء)، ويصح أيضاً أن تكون أجلوا من (الجلاء) عن الأوطان.

[37] هكذا كتبت السنة بالأرقام، ولا أظن أنها كذلك في الأصول المخطوطة التي طبعت عليها هذه الطبعة، فلم تجرِ عادة النساخ القدماء كتابة السنين بالأرقام، وما يؤكد ذلك أنّ المحقق كتب في الهامش أنّ النسختين اللتين حقق عليهما طبعته ورد في إحداها (سبع)، وفي الأخرى (تسع) هكذا باللفظ يعني أنّ الأولى ذكرت أنّ هذه الوقعة حدثت عام ٢٨٧هـ، والثانية ذكر أنها وقعت عام ٢٨٩، وهذه السنة الأخيرة هي التي اختارها المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا.

المسعودي بقوله: **"وَهيَ عَلَى يَوْمَيْنِ مِنْ سَاْحِلِ البَحْرِ، وَهيَ القَطِيْفْ"** أنّ جملة **"وَهيَ القَطِيْفْ"** بَدَلٌ لجملة **"سَاْحِلِ البَحْر"**، فهو أراد أن يقول: **"وَهيَ عَلَى يَوْمَينِ مِن مَدِيْنَةِ القَطِيْفْ"** أي أن المقصود بساحل البحر في النصّ القطيف وليس آفان، أو سبخة آفان كما قد يتبادر إلى الذهن عند قراءة النصّ لأول وهلة لأنه يستحيل أن تكون القطيف هي آفان أو سبخة آفان، وآفان قرية من قرى القطيف البريّة كما رأينا من النصوص المتقدمة.

ثم إن قوله: **"وَلَهَا مَديْنَةٌ عَلَى السَّاْحِلِ؛ يُقَالُ لَهَا عِنَكْ"** لا يعود الضمير في قوله: **"وَلَهَا"** على آفان أيضاً بل على القطيف، وإن كان المتبادر إلى الذهن أن المقصود بذلك هي (آفان)، فلو فكرنا لوهلة، فإنّ آفان هي قرية برية تبعد عن القطيف أربعة فراسخ كما رأينا من النصوص المتقدمة، ولا يصح أن تتبع لها قرية عنك، وهي قرية حضرية تقع على الساحل ضمن نطاق واحة القطيف، ومع ذلك، فقد وقع في هذا المطبِّ الأستاذ حمد الجاسر - رحمه الله - في رسم (أفأن) من المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، فذهب على ذلك إلى

أنّ آفان تقع تحت أبنية القريـة القطيفيـة المشـهورة (عنـك)؟!، وقد غاب عنه – رحمه الله – أنّ آفان قرية بريّـة، فكيـف تكـون في موضع قرية عنك الساحلية الحضرية؟!!؛ كمـا غـاب عنـه أنّ اسم عنك هو اسمٌ قديم أيضاً لقرية قطيفية كما هو حال آفان.

وقد كان للمرحوم الأستاذ محمد سعيد المسلم سَبْقُ توضـيح الأمر للأستاذ الجاسـر، وذلـك في رسـالة أرسـلها إليـه، وبـادر الأستاذ الجاسر فنشرها في مستدركات المعجم الخاص بالمنطقـة الشرقية،[٣٨] وقد عَرَّف الأستاذ المسلم رحمه الله سبخة آفان بأنهـا تنطبق على ما تسمى اليوم بسبخة الرّياس، وهو الصّحيح.

وأضيف أنا أن (الرِّياس) أسم قديم جداً ورد في شـعر ابـن المقرَّب حيث سماه الرياسي على النسبة في قوله:[٣٩]

---

[٣٨] حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربيـة السـعودية / قسـم المنطقـة الشرقية (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر؛ دت)؛ ج٤: ١٨٩٤.

[٣٩] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي وآخرين (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج١: ٤٦٧.

وقد صدق ابن المقرَّب في وصفه هـذا، فالقـادم إلى القطيـف مـن الجبيـل عندما يتوسط الطريق بينهما يكون في قلب سبخة الرِّيَاس، وسـوف يلاحـظ

أقُولُ لرَكبي والرِّيَاسِيُّ مُعـرِضٌ
وَتِلكَ الرَّوَابي عُوَّمٌ في سَـرابهِ

وإن تسمية السبخة به هي تسمية قديمة أيضـاً ولا تعـارض في ذلك، فهذه السبخة وصلت من كبر الحجم إلى أنها قُسِّمتْ وسُمِّيَتْ - وحتى في عهدنا هذا - بعدة مسميات، فهي سبخة الرِّياس عندما تكون قريبة من واحة الرِّياس، وسـبخة الأعبـاء أو لعباء[٤٠] عندما تكون قريبة من واحة الأعبـاء أو العَبـاء الـتي سبق الحديث عنهـا، ويُسـمى الجـزء الواقـع شمـال واحـات أم الساهك والدريدي وأبو معن بسبخة الملح، وفي الواقع فإن ما يعرف بسبخة الضَّبِّيّة التي تقع إلى الجنـوب مباشـرة والجنـوب الغربي من سبخة الرياس كانت في يوم من الأيام مـن ضـمن سبخة الرياس، ولكن الرمال المتحركة اقتطعت هذا الجزء عن السبخة الأم فصار يُعرف باسم سـبخة الضـبية، وهكـذا فـلا غرابة إذا قلنا إن هذه السبخة كانت تسمى وحتى منذ العهود

حينها صدق وصف ابن المقرَّب عندما يشاهد بعض الروابي في هذه السـبخة بحيث تبدو كأنها عائمة في بحر من الماء بفعل السَّراب.

[٤٠] انظر رسم [لعباء] في معجم البلدان لياقوت الحموي.

القديمة بأسماء مختلفة، ولكن الاسم العام لها هو الرِّياس، وهو ما كُتب في بعض الخرائط الخاصّة بالمنطقة.[٤١]

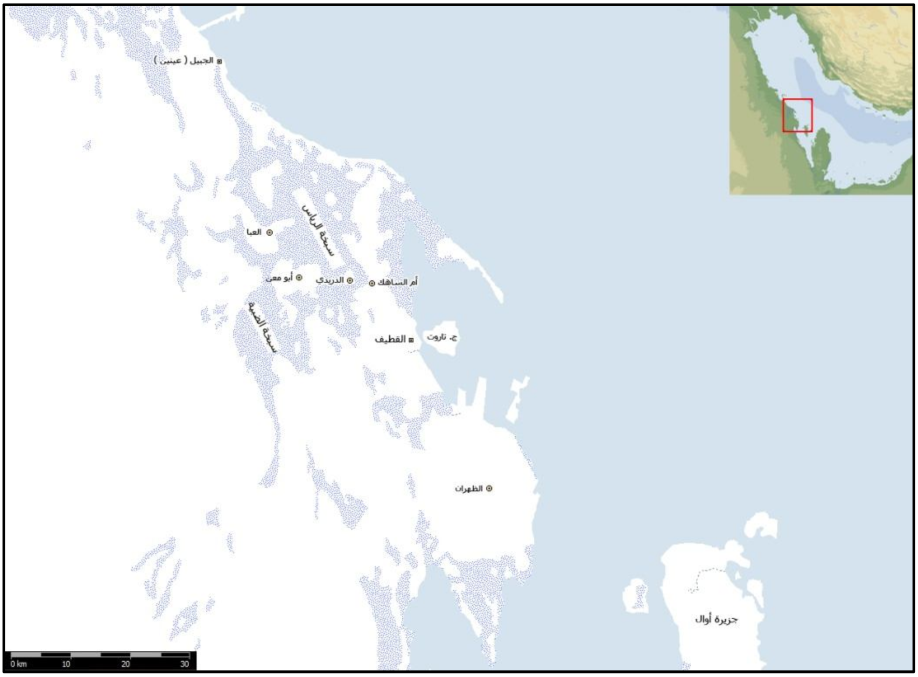
كذلك يؤيد ما يُفهم من كلام المسعودي حول كون آفان تقع شمال القطيف أو شمالها الغربي ما سبق أنْ أوردته من أن الشاعر ابن المقرب العيوني كان قادماً من العراق إلى القطيف مع الجند الذين سيَّرهم الخليفة الناصر العباسي نجدة للأمير فضل بن محمد العيوني حاكم القطيف حينها، وكان ذلك في سنة ٦٠٦ للهجرة، ولما وصل (آفان)، أو (فان) - كما أسماها في شعره المتقدم - بلغه نعي ابن عمه مذكور، فهذا كله يدل على أن آفان تقع إلى الشمال من القطيف أو في شمالها الغربي.

ومن هذا السرد السابق، فإنه يتضح لنا أنّ آفان ليست واقعة بين الأعباء والقطيف فقط، وإنما يوجد بينها وبين الأعباء سبخة طويلة كانت في السابق تُعرف باسمها سبخة آفان، وكون هذه السبخة قد تقاطعت مع طريق العباس

---

[٤١] انظر زكي محمد علي الفارسي: خرائط الفارسي؛ المنطقة الشرقية من الألف إلي الياء ١٩٩١م؛ الصفحات ٦٣ – ٦٤.

الغنوي وهو خارج من الأعباء متجهاً نحو واحة القطيف، فهـذا يعني أنّ هذه السبخة تقـع جنـوب الأعبـاء، وأنّـه عنـد طـرف السبخة الآخر مـن الجنـوب تقـع آفـان الواحـة الـتي سُـمِّيت السبخة باسمها، ولو جئنا إلى واحة الأعباء (العَبَا) الآن لوجـدنا كل هذه الأوصاف تنطبق عليها بالفعل، فهي تقع شمـال غـرب واحة القطيف، وفي جنوبها توجد سبخة طويلة يصل طولها إلى سبعة أميال تقريباً، وهي جـزءٌ مـن سـبخة الرِّيـاس العملاقـة، ولكن هذا الجزء منها يُعرف الآن باسم (سَـبَخَة المِلْـحْ) لأنهـا اشتهرت باستخراج الملح منها، وطـول هـذه السـبخة مقـارب لطول سبخة آفان عند المسعودي، وعند حافة هذه السبخة مـن الجنوب والجنوب الشرقي تقع ثـلاث واحـات قديمـة معروفـة هي: (أبو مَعَنْ - الدُّرَيْدِيّ - أمُّ السَّـاْهِكْ)، وينبغـي - وفـق الاستقراء الذي تقدم للنصوص التاريخية - أن تكـون إحـدى هذه الواحات الثلاث هي آفان، ولكن أيٌّ واحـدة مـنهن هـي تلك الواحة التاريخية على التحديد؟.



خارطة رقم (١): مقتبسة من (Microsoft Encarta World Atlas 99)، وقد أوضحت فيها حدود سبختي الرِّياس، والضبية، وموضع واحة العَبا (الأعباء) التي نزل فيها القائد العباسي عباس بن عمرو الغنوي أثناء توجهه إلى القطيف لاستردادها من أبي سعيد الجنابي الذي استقلّ بها عن الدولة العباسية في الربع الأخير من القرن ا لثالث الهجري، وقد حددت في الخارطة أيضاً مواضع واحات (أبو معن)، و(الدريدي)، و(أم الساهك) الواقعات جنوب سبخة الرِّياس، والتي رشحت إحداها لتكون هي قرية آفان التاريخية.

ولكنني سوف أستبعد واحة (أمّ السَّاهِكْ) لأنها وردت باسمها هذا في دفتر الطابو جنباً إلى جنب مع فان؛[٤٢] كما إنّ مسمى (الدُّرَيْدِيّ) هو نسبة إلى شخص اسمه (دُرَيْد)، ويبدو

[٤٢] دفتر الطابو العثماني رقم ٣١٣ بتاريخ ٢٣ ذي القعدة لعام ٩٦٦هـ.

منه أنه مسمى قديم أيضاً[٤٣] لندرة هذا الاسم في المنطقة،[٤٤] وعليه فإن الأمر ينحصر في واحة (أبو مَعَن) وحدها، فهل (أبو معَن) هي (فان) أو (آفان) الواحة التاريخية؟.

لقد عرفنا حتى الآن أنّ (آفان) أو (فان) تقع شمال القطيف أو شمالها الغربي؛ بدلالة أن العباس الغنوي كان قد ارتحل من الأعباء قاصداً ماءَ آفان قبل أن يصل إلى القطيف التي كان يَظنُّ أنّ أبا سعيد الجنابي متحصنٌ فيها، ولم يدر في خلده أنّ أبا سعيد قد سبقه من القطيف إلى آفان ليمنعه من التزود بالماء وإهلاكه ومن معه بالعطش قبل السيف.

وبالفعل فعندما رحل العباس من الأعباء وتوسط السبخة

---

[٤٣] أو على أقل تقدير هو أقدم من العام ٩٥٩هـ الذي كُتبت فيه دفاتر الطابو التي ذكر فيها اسمُ (فَان) كقرية ظلّت معروفة باسمها حتى ذلك الحين.

[٤٤] على الرغم من أن موظفي الدولة العثمانية قد دونوا أسماء المئات من القطيفيين في دفاتر الطابو التي كتبوها أواسط القرن العاشر الهجري عن القطيف إلا أنه لم يكن من بينهم من اسمه دريد، وإن كنا أيضاً لم نجدهم قد دونوا اسم الدريدي كقرية تابعة للقطيف إلا أن يكونوا قد صيروها مع أم الساهك والذيبة القريبتين منها، واللتين ذكرتا في دفتر الطابو رقم (٣١٣) لعام ٩٦٩هـ.

التي بينها وبين آفان، وأصبح في موضع لا يُحسد عليـه؛ أرسـل أبو سعيد المتمركز في ظِلال واحـة آفـان ومائهـا الثـرّ الغزيـر بعـض جيشـه، فقـاموا بحركـة التفافيـة وراء جـيش العبـاس الغنوي، وغوروا المياه التي أصبحت وراء ذلك الجيش البـائس، أو لعلهم احتلوهـا، فأصـبح العبـاس وجيشـه في وسـط هـذه السبخة المقفرة والمخيفة دون ماء، ومحاط هو وجنده بجيش أبـي سـعيد مـن الجهـتين الشـمالية والجنوبيـة وبمسـتنقعات هـذه السبخة الخطـيرة مـن الجهـتين الشـرقية والغربيـة؛ أي أنّ أبـا سعيد قطـع علـى العبـاس وجنـده خـطّ الرجعـة إلى الأعبـاء، ومنعهم من التقدم إلى آفـان، وذلـك لأنّ الطريـق الـذي سـار عليه العباس وجيشه كان الطريق الوحيـد الـرابط بـين العبـا (الأعباء) وآفان، فهذه السَّبَخة خطرة بالفعـل، وهـي دائمـاً مـا تكون مغمورة بالمياه، فكانت بمثابـة سـجنٍ كـبير لهـذا الجـيش التعيس.

وقد تقدم في نصِّ نصرٍ الإسكندري أن آفان قرية بريـة وراء

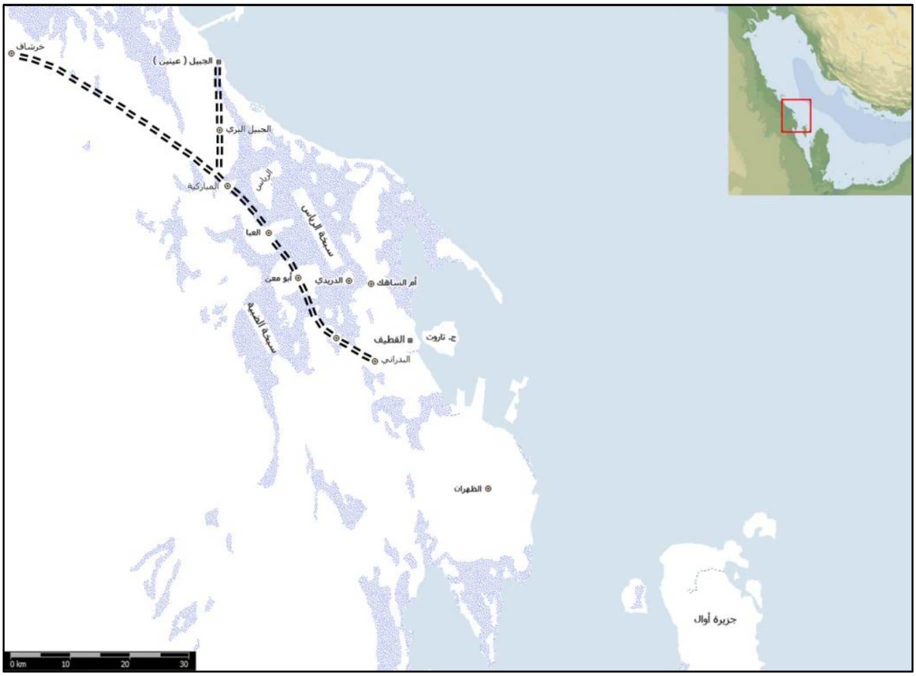
القطيف بأربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال[٤٥] فيكون بُعدها عن القطيف للشمال الغربي باثني عشر ميلاً أي ما يعادل تسعة عشر كيلو متراً تقريباً، وهي ذات المسافة بين واحة القطيف وواحة (أبو معن).

كما إنه من الواضح من استقراء النصوص المتقدمة أنّ واحتي (آفان) و(العَبا) كانتا تقعان على الطريق القديم الموصل من القطيف إلى العراق وبالعكس أيضاً، وبالفعل فإنه كان يوجد طريق قديم معروف يمرّ بالقرب من العَبا ذكره لوريمر يخرج من البَدْراني غرب القطيف إلى عَيْنَيْن (الجُبيْل)، فالكويت، ويقول لوريمر عن هذا الطريق إنّ المسافرين فيه لا بد من أن يمرّوا على آبار (أبو معن) وتلّ (المباركية)،[٤٦] والعَبَا (الأعْباء) تقع في منتصف المسافة بين أبو معن والمباركية، ولا بد لسالك هذا الطريق من أن يمر على العبا، وعليه يكون هذا

[٤٥] السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تارج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق علي شيري (بيروت: دار الفكر ١٩٩٤م) ؛ ج١٥: ٧٠٨.

[٤٦] ج. ج. لوريمر: دليل الخليج ترجمة قسم الترجمة بالديوان الأميري القطري (الدوحة: مطابع علي بن علي دت) القسم الجغرافي؛ ج٢: ٨٥٣.

الطريق من المباركية في الشمال إلى أبو معن في الجنوب مروراً بواحة العَبَا (الأعباء) هو الجزء الأخير من الطريق الذي سلكه العباس بن عمرو الغنوي أثناء توجهه إلى القطيف كما توضح هذه الخارطة:



خارطة رقم (٢): أصل الخارطة مقتبس عن برنامج (Encarta World Atlas 99) أيضاً، وقمتُ بوضع معالم الطريق ومحطاته اعتماداً على ما دونه لوريمر في عمله الضخم (دليل الخليج)، وبالاعتماد أيضاً على رحلات ميدانية عديدة قمتُ بها لتحديد معالم هذا الجزء منه.

وتوضح هذه الخارطة رسم هذا الطريق القديم حيث يلاحظ منها أنّ الطريق القديم من القطيف إلى عينين، والذي

هو جزءٌ من الطريق القديم الموصل من القطيف إلى العراق أيضاً كان يتجنب المرور وسط السبخات إلا ما لا مفرَّ منه لأنّ السباخ شمال وغرب القطيف كثيرة وضخمة كما نرى في هذا المقطع من خارطة المنطقة والمقطع السابق له.

وتبينُ واحة العَبا أو الأعباء بوضوح في هذه الخارطة باعتبارها إحدى محطات الاستراحة للمسافرين قديماً، وقد عرفنا أنها الواحة التي نزلها قائد الجيش العباسي العباس بن عمرو الغنوي للاستراحة قبل إكمال طريقه إلى القطيف، ثم رحل عنها متوجهاً إلى واحة آفان الواقعة على الطريق إلى القطيف؛ إلا أنّ أبا سعيد سبقه إلى هذه الواحة، فاحتلها، وواضحٌ من الخارطة أيضاً أنّ بين هذه الواحة وبين واحة الأعباء سبخة كبيرة لا بد أن يقطعها الجيش حتى يصل إلى واحة آفان، فإذا كان الجيش قد سلك الطريق الموضحة في الخارطة ذاتها، فإنّ المحطة القادمة فيه هي واحة (أبو معن)، وعليه يصحُّ ما سبق وذكرته من أنها هي ذاتها واحة آفان

التاريخية الشهيرة[٤٧] لاسيما وأنّ تسمية (أبو معن) هي تسمية توحي بأنها تسمية حديثة، وهذا قد يعني أن اسم هذه الواحة قد تحول من (آفان) أو (فان) إلى (أبو معن) فيما بعد الألف الهجري لأنّ الاسم (فان) ذُكر في دفاتر الطابو العثمانية التي

---

[٤٧] كنت قد رأيت في بداية نشري لهذا البحث أنّ واحة أم الساهك الواقعة للجنوب الشرقي من واحة أبو معن هي آفان، ولكن بعد اطلاعي على ورقة دفتر الطابو رقم ٣١٣ بتاريخ ٢٣ ذي القعدة لعام ٩٦٦هـ وجدتُ في هذه الورقة أنّ الكاتب دوَّن فيها أسماء قرى تتبع ناحيتين إداريتين هما صفواء والقطيف، فذكر القرى التابعة لصفواء، وهي: جبلة، والشراع، والسومان، وبرن، وسلمان، وشعاب، وأم الساهك والذيبة، وراس تنورة وتوابعها، في حين ذكر أسفل هذه القرى ستَّ قُرى أُخرى قال إنها تابعة لناحية القطيف، وهي: قرية آل محمد، ومصادا، والزارة، والنّقرة، والسبكية، وفَان والبيضة، فاتضح من ذلك أنّ (فان) هي غير (أم الساهك)، وعندها عدلت في البحث الأول، ورجحت أن تكون فان هي الواحة القطيفية المعروفة بـ(الخترشية)، ونشرت ذلك في مجلة الساحل، وفي تحقيق الطبعة الثانية لديوان ابن المقرَّب؛ إلا أنّ المعطيات الجديدة الآن تفرض علي أن أرجح واحة (أبو معن) لتكون هي آفان، وإن كان هذا كله يبقى ترجيحاً لا جزم فيه، ولكنه يبقى بالنسبة لي هوالترجيح الأقوى حتى الآن، ولا يُعاب المرء على خطإٍ بعد اجتهاد، وجل من لا يخطئ؛ خصوصاً في ظلّ شحة المصادر التاريخية والجغرافية عن هذه المنطقة، فلا مناص من الاجتهاد والتخمين لأنه لا يسقط الميسور بالمعسور.

دونت في أواسط القرن العاشر الهجري على انها إحدى قـرى القطيف التي يؤخذ عليها ضريبة كما سنرى لاحقاً.

وبالفعل، فإنّ السبخة الواقعة بين (العبا) شمالاً، وبين (أبـي معن) و(الدريدي) و(أم السّاهك) جنوباً، والتي تشكل الجـزء الأوسط من سبخة الرِّياس العملاقة تعد أخطر جـزءٍ في هـذه السبخة على الإطلاق، وعلـى الخصـوص لمـن لا يعـرف هـذه السـبخة، فهـذه السـبخة كانـت ولا زالـت عبـارة عـن أرض مستنقعية لا يفارق الماء معظم أجزائها بالإضافة إلى تكون طبقة قشرية ملحية هشـة فـوق سـطحها تعلـو طبقـة رمليـة طينيـة مغمورة بالماء، فإذا سار عليها الناس والدواب مـن دون هُـدى، فإن أرجلهم قد تسيخ فيها، فتعلق في الطين، وقـد يـؤدي ذلـك إلى نفوق البهائم إن لم يحصل لها من ينقذها، وهو الأمر الـذي عانى منه كثيراً رعاة الإبل والماعز في الواحات والمواضع المحيطة بهذه السبخة؛ كما عانى مـن هـذه السـبخة وغـدرها موظفـو شـركة الزيـت العربيـة (أرامكـو) والرّحالـة الغربيـون عنـد قطعهم لها أثناء تنقيبهم عن الـنفط، فلطالمـا علقـت عربـاتهم فيها حتى ذات الدفع الرباعي منها كمـا ذكـر ذلـك أكثـر مـن

كاتب منهم، وكذلك الرحالة الذين قدموا إلى هذه المنطقة.[٤٨]

ولهذا كان المسافرون يتجنبون مثل هذه السباخ في سفرهم، ويسيرون بعيداً عنها ما استطاعوا إلا أنه في بعض الطرق يجبرون على سلوك بعض هذه السباخ، والتي كان يشقها في

---

[٤٨] وقد حدث لي شخصياً مثل هذا الأمر، فقد سرت فيها ذات يوم، وكان معي بعض الرفقة منهم أخي محمد وولداه منتظر وربيع، وابن خالتي هاني بن الحاج عبد الكريم آل يتيم، والصديق الدكتور عماد الخلف في سيارتين قاصدين مزرعةً تقع ضمن نطاق هذه السبخة، وكنت أقود إحدى السيارتين في المقدمة باعتباري دليلهم الذي سيدلهم على المزرعة، وكنا نسير على طريق جلدٍ مريحٍ فيها، فلاح لنا طريق آخر متفرع منه يبدو من شكله أنّ السيارات قد مهدته قبلنا، فدخلت فيه، وتبعني مَن خلفي، وما هي إلا ثوانٍ وإذا بي أشعر أنّ سيارتي بدأت تسيخ في الأرض مع أنها ذات دفع رباعي، ثم توقفتْ عن المشي، فنزلنا منها، وإذا بإطاراتها قد غرزت في السبخة كلها، وحتى بعض أجزاء هيكلها أيضاً، وقد أحاط الماء بها، وعندما رأى من يقود السيارة الأخرى التي خلفي ذلك حاول أن يتفادى الطريق الذي أنا عليه لئلا يعلق، فإذا بسيارته تهوي في ما يشبه الحفرة التي كانت مغطاة بدغل من التراب، ثم رآنا بعد ذلك شخصٌ آخر في سيارة دفع رباعي، فأتى لمساعدتنا، وبينما هو يسير على الطريق الذي كنا نظنه جلداً، فإذا بسيارته تهوي فجأة أمام أعيننا في ما يشبه الفجوة لنبقى بعدها مدة طويلة ونحن في محاولات يائسة لإخراج سياراتنا من هذه السبخة المرعبة، فلم نستطع إلا بعد جهد جهيد أضنانا وأنهك قوانا، وصَيَّر مني حديث مجالس الأخوان والأصحاب لبضعة أسابيع.

العادة طريق ضيق لا يحبذون الحياد عنه رغم ضيقه حتى لا يقعون في مستنقعات هذه السباخ هم ودوابهم، وهذا ما استغلّه بذكاءه الفذّ أبو سعيد الجنابي عندما أوقع بالجيش العباسي الذي اضطر إلى قطع هذه السبخة، فقد وُصِف هذا الطريق – كما رأينا عند المسعودي – بأنه كان طريقاً ضيقاً، ولهذا قام أبو سعيد – بعد توسط جيش الغنوي لهذه السبخة – بحركته الالتفافية المحكمة على الجيش حيث حصرهم وسط السبخة وطريقها الضيِّق وهو ما سهَّل على أبي سعيد تحقيق ذلك النصر الباهر على هذا الجيش، وهو النصر الذي عده بعض قادة بغداد من عجائب الدنيا،[49] حيث تم القضاء على سبعة آلاف جندي لم ينجُ منهم إلا كل شَريد، والذين مات أغلبهم بالعطش، ومن لم يمت بالعطش كانت سيوف وأسلحة جند أبي سعيد لهم بالمرصاد، فالجيوش النظامية القديمة عندما تشعر أنها محاصرة، وأنّ ا لماء مفقود لديها، فعندها يكون ذلك أكبر عامل هدمٍ وفتٍّ في معنوياتها، ولا شك أنّ أفراد جيش

---

[49] علي بن محمد الشيباني = ابن الأثير: الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر ١٩٦٦م) ج٧: ٥٠٠.

الغنوي عندما رأوا تلك الحال هاموا على وجوههم في تلك السبخة الخطرة، ولا شك أنّ دوابهم من خيول وجمال عندما أقحموها في تلك السبخة على غير هُدى قد ساخت أقدامها فيها، فعلقت، وهو ما صيّر أولئك الجنود المساكين صيداً سهلاً لجيش أبي سعيد ورماته، فأفنوهم فناءً مبرماً.

وأمرٌ آخر ورد في خبر المسعودي عن هذه الوقعة وهذه السبخة، وهو قوله عن المياه التي كانت فيها إنها كانت في أعلى السبخة، وهذا كلام دقيق، ومطابق لما كانت عليه هذه السبخة إذ إنه يوجد فيها أكثر من هضبة سهلة الارتقاء كانت تحوي عيون ماءٍ معروفة لدى السكان المحيطين بالسبخة، وكان يقوم عليها بعض بساتين النخل مثل هضبتي جلعد وجليعد المتجاورتين، وهضبة مُقْلة، فكانت هذه الهضاب موارد واضحة للمسافرين عبر هذه السبخة يراها السائرون فيها من بعد، وهذا – على ما يبدو – هو مراد المسعودي بقوله عن مياهها إنها كانت في أعلى السبخة.

وهكذا فإنّني أرجِّح الآن أنّ واحة (أبو معن) تبدو وفق هذه

المعطيات الجديدة هي الواحة الأكثر مناسبةً لتكون واحة (آفان) أو (فان) الواحة القطيفية التاريخية التي ذكرت في الأدب والتاريخ أكثر مما ذكر أي موضع قطيفي آخر باستثناء دارين والزارة العاصمة، فأبو معن من قرى القطيف البرية التي تقع على الطريق إليها بالنسبة للقادم من الشمال بعد الأعباء (العَبا) مباشرة تفصل بينهما سبخة كبيرة وخطيرة، وهي تبعد عن القطيف ذات المسافة التي ذكرناها فيما مضى لبعد آفان عنها، وهي اثنا عشر ميلاً أو تسعة عشر كيلو متراً ثم إن (أبو معن) واحة نخل كبيرة كان بها الكثير من العيون المتفجرة بالمياه العذبة[٥٠] مما يجعلها محطة استراحة مفضلة للمسافرين من العراق إلى القطيف وبالعكس، وهو الأمر الذي جعل العباس الغنوي يقصدها دون سواها في توجهه إلى مدينة القطيف لأنه كان في جيش ضخم، وهذا الجيش يحتاج إلى مياه كثيرة للشرب لأفراده ودوابّه.

---

[٥٠] كان يوجد في هذه الواحة أكثر من عشر عيون تتدفق بالماء، وتسيح في الأرض سيحاً راوية بساتينها؛ منها الفقمة، والهدارة، والعزيزية، والرفيعة، والوسيعة، والبقشة بالإضافة إلى العديد من الينابيع المائية العذبة.



خارطة رقم (٣): وهي خارطة من القمر لاندسات مقتبسة عن (googlemaps)، وقد أوضحت فيها موضع واحة العبا (الأعباء)، وواحة (أبو معن) التي انتهيت في هذا البحث إلى أنها هي واحة فان أو آفان التاريخية، وواحة الدريدي، وواحة الغُبَيْبة التي سوف أذكرها بعد قليل، وقد قمت أيضاً بتوضيح موضع السبخة الخطرة التي اجتازها العباس الغنوي بجيش الخلافة العباسية عند ارتحاله من واحة الأعباء قاصداً واحة فان في طريقه إلى القطيف، ولكنه عندما توسط هذه السبخة فاجأه أبو سعيد الجنابي بخروجه عليه من واحة آفان (أبو معن) بعد أن كان قد أرسل قسماً من جنده لاحتلال واحة الأعباء في حركة التفافية على جيش الغنوي، فقاموا باحتلال مصادر المياه التي كانت في أعلى السبخة، وأوضحت رأيي أن المراد بذلك عيون ماء تقع في هضبات معروفة في هذه السبخة مثل جَلْعَد وجُلَيْعِد، واللذين أوضحت مكانهما أيضاً.

إنّ مما يلفت النظر أيضاً هو ما نجده في بعض كتب الأخباريين والمؤرخين العرب عن أخبار مؤسس الدولة الساسانية الملك أردشير الأول (حكم ٢٢٤ – ٢٤١م)، حيث ذكروا عنه أنه بنى عدة مُدن نسبها إلى نفسه، فكان من ضمن هذه المدن مدينة بناها في البحرين، ثم في الخَطِّ من البحرين.

ولكنّ هذه المدينة اختلف الأخباريون العرب القدماء في اسمها، ففي تاريخ الطبري المطبوع عدة طبعات عن عدة نسخ مخطوطة ورد اسم هذه المدينة بعدة صيغ ساهم النساخ – على ما يبدو – في تَصَحِيْفها وتحْرِيْفِها؛ وهي: (فسا أردشير)، و(فسار أردشير)، و(فساد أردشير)، و(فينا أردشير)[٥١] و(فنياذ أردشير).[٥٢]

---

[٥١] محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك؛ تحقيق دي غويه (ليدن: مطبعة بريل ١٨٧٩م) ج٢: ٨٢٠، وانظر الهامش (h).

[٥٢] انظر:

- محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف دت) ج٢: ٤١.
- محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار الفكر ١٩٨٧م)

ولكنّ حمزة في كتابه (تاريخ سني ملوك الأرض) سَمّى المدينة التي بناها أردشير بن بابك في البحرين (بتن أردشير)، ثم ذكر بعد ذلك سبب تسميتها بهذا الاسم، وهذا نصّه:

"وأما بتن أردشير، فمدينة من مدن البحرين، وإنما سماها بتن أردشير لأنه بنى سورها على جُثث أهلها لأنهم فارقوا طاعته، وعصوا أمره، فجعل سافاً من السور لبناً وسافاً جُثثاً، فلذلك سمّاها بتن أردشير".[٥٣]

وهو كما نرى بعيد عن الاسم الذي ذكر في طبعات تاريخ الطبري بكل تصحيفاته وتحريفاته التي وقعت له؛ إلا أنّ ابن قتيبة الدينوري الذي ذكر هذه المدينة أيضاً سمَّاها باسم قريب مما ورد في طبعات تاريخ الطبري، وهو (فوران أردشير).[٥٤]

ج٢: ١٣٥.

[٥٣] حمزة بن الحسن الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (طبعة ليبسي ١٨٤٤م)؛ الصفحات ٤٧ – ٤٨.

[٥٤] انظر:

- أحمد بن داؤود الدينوري: الأخبار الطوال؛ تحقيق عبد المنعم عامر (ليدن: مطبعة بريل ١٨٨٨م) الصفحة ٤٧.

ومن الواضح أنّ الكلمات (فسا)، و(فسار)، و(فساد)،[55] و(فينا)، و(فنياذ)[56] – الواردة في مختلف طبعات تاريخ الطبري كاسم لذات المدينة التي بناها أردشير في الخطّ من البحرين – يشبه بعضها بعضاً، ولا يتحمّل الطبري – بطبيعة الحال – هذا التعدد الوارد في نسخ تاريخه، فهو من عمل النُّسَّاخ، وأما الطبري فقد كتب اسماً واحداً فقط قد يكون إحداها، وقد يكون غيرها أيضاً.

وتبدو هذه الكلمات المشار إليها كأنها كلها مصحفة عن (فَنْيَان) أو (فَانْيَان)، وهو لفظٌ قريبٌ جداً من اسم (آفان)، أو (فَان) بلدتِنا التي نبحثُ عنها هنا، ويكاد يقترب من رسمها أيضاً الاسم (فوران) العائد لابن قتيبة على أنه اسمٌ للمدينة ذاتها، فهل (فَان) هذه هي المدينة الخطيّة التي بناها أردشير بن

•أحمد بن داؤود الدينوري: الأخبار الطوال؛ تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٠م) الصفحة ٤٥.

[55] يحتمل أن تكون الدال مصحّفة عن النون.

[56] ويحتمل أن تكون الذال مصحَّفة عن النون أيضاً.

بابك في القرن الثالث الميلادي؟ ربما يصحُّ لنا ذلك، ولكنه يبقى افتراضٌ لا دليل عندنا عليه ما خلا بضعُ قرائن.

فمما يقوي ذلك هو أنّ أردشير بنى هذه المدينة في الخط من البحرين، والخط إذا أطلقت يراد بها القطيف في أغلب المصادر القديمة وآفان هي من مدن القطيف؛ كما إنه مرّ بنا في شعر الأسود بن يعفر المتقدم ما يدل على سكن العجم لـ(فَان) من زمن قديم، وحاجة من يقصدهم من العرب ليشتري منهم إلى التراجيم أي المترجمين من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية،[٥٧] وهذا مما يقوي أكثر أنها هي فنياذ أو فانيان أردشير التي بناها الملك أردشير كثكنة عسكرية لمملكته في هذه البقعة، ولا شك أنه بناها ليسكن فيها بعض عسكره من الفرس كحامية لأحد طرق التجارة الهامة في شرق الجزيرة العربية لأنها كانت تقع على طريق تجاري هام يخرج من عُمان، إلى بلاد الرافدين مروراً بواحتي هَجَر (الأحساء)، فالخطّ (القطيف)، وهي كلها كانت من المدن الهامة في تلك الحقبة

---

[٥٧] يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي: شرح اختيارات المفضل؛ تحقيق فخر الدين قباوة (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٧م) ج١ – ٣: ١٦٨٠.

من الزمـان، وكانـت القوافـل التجاريـة لا تنقطـع عـن هـذا الطريق محملة بالبضائع الثمينـة مـن أرض الجزيـرة وأفريقيـة وبلاد السـند والهنـد إلى بـلاد الرافـدين وفـارس، وبـالعكس أيضاً، ولهذا فإنّ أي ملك حكيم سيرى ضرورة أن تُبنى مدينـة؛ بل مُدُنٌ على هذا الطريق تكون بمثابة ثُكَنٌ عسكرية لحمايتـه، ويبدو أنّ هذا ما فعله أردشير بن بابك ببنائه لهذه المدينة.

ويؤكد هذه النتيجة الـتي توصـلتُ إليهـا أيضـاً أنّـه ورد في أخبار الردّة أنّ العلاء بن الحضرمي عندما هزم بمسـاعدة قبيلـة عبد القيس المرتدين في هجر وجواثى توجه بعدها إلى من كان بالقطيف منهم، فغزا مدينة الغابة وقتل من بها من العجـم،[٥٨] ويقصد بالعجم الفرس، والغابة هذه أرجح أنها المعروفة الآن بـ(الغُبيبة) على التصغير، وتقع شمال غرب واحة صفوى، وإلى الشمال من واحة أم الساهك من قُرى القطيف، وهي لا تبعد كثيراً عن واحة أبو معن مما يدل على تركز وجـود الفـرس في تلـك النـواحي قبـل الإسـلام وأثنـاء ظهـوره، وقـد أظهـرت

[٥٨] أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلـدان؛ تحقيـق صـلاح الـدين المنجد (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م) ج١: ١٠٣ – ١٠٤.

التنقيبات الأثرية التي قامت بها وكالة الآثار السعودية على يد متخصصين غربيين وشرقيين أكثر من موضع آثار بالقرب من قرية أبي معن (فَان) بعضها يعود إلى عصر ثقافة العبيد، وبعضها الآخر يعود إلى الحقب الهلينستية.[٥٩]

وقبل أن نغلق هذا الباب، فإنني أودّ توضيح اللبس الذي سببه بناء الجملة التي وردت في تاريخ الطبري عن هذه المدينة التي يقول نصها: **"وبالبَحْرَينِ فنْيَاْذ أرْدَشِير وَهيَ مدينةُ الخَطّ"**، فقد ظنَّ بعضُ الباحثين في تاريخ المنطقة أن مدينة الخط هي نفسها (فنياذ أردشير) كما قد يُفهم من النصّ، ونسوا أن الخط اسمٌ يشمل الساحل الممتد من عمان إلى البصرة على الجانب الغربي للخليج عند التوسع، فإذا خُصص، فإنه يعني القطيف بلا إشكال، ولكنهم لم يلتفتوا إلى أن جملة **"وَهيَ مَديْنةُ الخَطّ"** الواردة عند الطبري تعني وصفاً للمدينة التي بناها أردشير، وليس المراد بذلك أنها هي بعينها مدينة الخط، وإنما أراد أن يصف أهميتها وقت ذاك، وأنها أهم

---

[٥٩] دانيال بوتس: الخليج العربي في العصور القديمة؛ ترجمه إبراهيم خوري (أبو ظبي: المجمع الثقافي ٢٠٠٣م)؛ ج١: ١٣٤؛ الموقع رقم (٨)، وج٢: ٧٩٥ – ٧٩٦.

مدينة كانت في الخط كما يقال: بغداد مدينة العراق، ودمشق مدينة الشام أي أنهما أهم مدن هذين القطرين وأكبرها، فكذلك المراد من قول الطبري إن فنياذ أو فنيان أردشير مدينة الخط أراد أنها أكبر مدن الخط وأهمها، ومما يؤكد ذلك هو أنّ الخطّ – على ما يبدو – هي التي ذكرت في تاريخ المؤرخ الإغريقي بوليبيوس (٢٠٨–١٧٦ق.م) باسم خطّينيا (Chattinia) واصفاً إياها بأنها إحدى مدن الجرّهيين على ساحل الخليج الفارسي،[٦٠] وهذا – إن صح – فهو يعني أنّ الخط كانت قائمة قبل حكم أردشير بأكثر من اربعة قرون تقريباً.

وايا كان الأمر، فإنني لا أستبعد أن يكون اسم بلدتنا (فان) هو تحوير لاسم مدينة (فنياذ أردشير) أو (فنيان أردشير) التي بناها أردشير، والتي كانت أهم مدن الخط حين بناها، وبالتالي فإن الموضع الذي تقوم عليه اليوم واحة (أبو معن) هو المكان الذي بنى فيه أردشير هذه المدينة.

---

[٦٠] أنظر:

Polybius: The Histories, Fragments of Book 13, P427.

نهر أفتان أو نهر آفان؟

جاء في مقدمة أطلس المياه الذي نشرته وزارة الزراعة السعودية ما هذا نصه:

"وعلى سبيل الإستذكار فإن المرء يستطيع أن يرى أن الجغرافيين الإغريق كانوا دقيقين نسبياً في رسم صورة نهر يصب في الخليج العربي بالقرب من القطيف، ومن المحتمل أن يكون النهر الحديث هو وادي أفتان الذي أشار إليه الإدريسي".[٦١]

ولا أعرف من المعني بقولهم: **"الجغرافيين الإغريق"**، والمشهور منهم في مجال الخرائط هو بطليموس وخارطته تخلو من مثل هذا النهر بالقرب من المنطقة التي تقوم فيها القطيف باعتبار أنّ القطيف لم يدون اسمها في أي من خرائط بطليموس أو خرائط الإغريق في وقته وقبله، وإنما يوجد احتمال أنها هي التي ذكرت في تاريخ بولييبيوس باسمها الثاني الخط أو (Chattinia) كما ذكرت قبل قليل.

---

[٦١] وزارة الزراعة والمياه بالمملكة العربية السعودية: أطلس المياه؛ إصدار عام ١٩٨٤م

ثم بالرجوع إلى الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) لم أجده يذكر وادياً يدعى وادي أفتان، بل ذكر وادياً أسماه (وادي أفنان) بالفاء ثم النون وليس بالتاء، أو (وادي أقنان) بالقاف ثم النون كما في بعض النسخ من كتابه،[62] وذكر أنه يخترق اليمامة ويتوسطها، وفرق واضح بين اليمامة والقطيف التي ذكر واضعو أطلس المياه أن النهر يصب قربها؛ كما إنّ اسم هذا الوادي غريبٌ انفرد به الإدريسي من دون كل الجغرافيين الذين كتبوا عن نجد وقراها ومواضعها، وحتى الجغرافيين المحدثين لم يذكروا لنا في اليمامة وادٍ باسم (وادي أفنان)، أو (وادي أفتان)، أو (وادي أقنان) نعم يوجد وادٍ وحيد يخرج من اليمامة (الخرج) الآن ويصب في الخليج شرقاً هو وادي السَّهْبَاء، وليس وادي أفنان، ووادي السهباء هذا معروف باسمه من قديم الزمان؛ ذكره البكري في (معجم ما استعجم)،

[62] محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس = الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٩م) ج١: ١٦١، وتم كذلك الرجوع إلى صورة مصورة عن المخطوطة التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية الفرنسية.

وياقوت الحموي في (معجم البلدان)، ثم إنه يصبُّ في سبخة مطيّ العملاقة المرتمية على أحضان ساحل الخليج جنوب الأحساء بمسافة كبيرة أي أنه غير نهر أفنان بالتأكيد.

نعم رُسم في بعض الخرائط الأوروبية العائدة للقرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين نهرٌ يصب بالقرب من القطيف، وسُمِّي في بعض هذه الخرائط بـ(نهر أفتان) كما ورد في الأطلس المذكور، ويبدو أنّ مصدر الجميع هو الإدريسي الذي يبدو أنّ كلامه غير دقيق فيما يتعلق بهذا النهر، ولكن الأقرب أن هذا النهر الذي رُسم في تلك الخرائط المشار إليها هو النهر الشهير الذي كان يخرج من الأحساء، ويصب في الموضع المعروف حالياً باسم (زبنة ظلوم) الواقعة جنوب (دوحة رحوم)، أو ما يُعرف حالياً باسم شاطئ نصف القمر الشهير، وهو قريبٌ من القطيف؛ بل هو يقع ضمن أراضيها في الزمن القديم قبل أن تنشأ مدينة الدمام والخبر الحديثتين، ولكن هذا النهر كما نرى بعيد عن موضع قريتنا (آفان) أو (فان)، ثم إن هذا النهر هو الذي أثبت أنه هو النهر المعروف

قديماً باسم نهر محلّم.[63]

وقد ذكَرَ وجود هذا النهر في بداية القرن العاشر الهجري ألفونسو دي بوكيرك في رسالة له موجهة إلى ملك البرتغال.[64]

وبالتالي فإني أرى أن هؤلاء الجغرافيين الغربيين عندما وضعوا خرائطهم عن الجزيرة العربية فلا شك أنهم استقوا بعض مسمياتهم التي كتبوها فيها من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي، ويبدو أنهم سمّوا هذا النهر بنهر أفتان اعتماداً على وروده بهذا الرسم في نسخة من نسخ هذا الكتاب الهام الذي كان أصله المخطوط مليئاً بالخرائط التي وضعها هذا الجغرافي القدير.

على أنه إذا ثبت بالفعل وجود نهر كان يقع شمال القطيف،

---

[63] وذلك في كتابيّ (هجر وقصباتها الثلاث)، و(جره مدينة التجارة العالمية القديمة).

[64] أحمد بو شرب: الخليج العربي والبحر الأحمر من خلال وثائق برتغالية ١٥٠٨ – ١٥٦٨م؛ ترجمة أحمد بو شرب (الرياض: كرسي الأمير سلمان بن عبد العزيز للدراسات التاريخية والحضارية للجزيرة العربية ٢١١٢م)؛ الصفحة ٢٢٢.

وهو ما ورد أيضاً في بعض الخرائط العائدة لذات الحقبة، وأنّ اسمه الذي رسم في هذه الخرائط هو (نهر أفتان) أو (نهر أفنان)، فالأقرب حينها أنّ الصحيح في اسم هذا النهر هو (نهر آفان) اي قريتنا المتحدث عنها هنا.

وهو أمرٌ غير مستغرب فهذه المنطقة هي منطقة عيون متفجرة ثرة منذ قديم الزمان، وما بعض هذه السباخ الضخمة التي تزخر بها هذه المنطقة إلا بقايا بحيرات وأنهار مياه عذبة في الأزمان الغابرة، وقد بقي بعضها حتى يومنا هذا كبحيرة طفيح الضخمة الواقعة شمال غرب آفان (أبي معن) بعشرة كيلومترات تقريباً، وكذلك فقد ورد في بعض المصادر اللغوية العربية تعريف بوادٍ يقع في هذه المنطقة كان يُدعى وادي (الأصبغ)،[٦٥] وهو الوارد في شعر رؤبة:[٦٦]

---

[٦٥] انظر:

- الفيروز ابادي: القاموس المحيط (بدون بيانات نشر) ج٣: ١٠٩؛ مادة (صبغ)، وفيه أنّ الأصبغ: وادٍ بالبحرين، وأنه من أعظم السيول.
- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق علي شيري (بيروت: دار الفكر ١٩٩٤م) ج١٢: ٣٨.

يُعْطِيْنَ مِنْ فَضْلِ الإلَـهِ الأَسْـبَغ
سَـيْباً وَدُفّاعـاً كَسَـيْل الأَصْـبَغ

والذي صار يُعرف الآن بـ(الصُّبَيْغَاْوِيْ) الواقـع إلى الغـرب مباشرة من واحتنا (أبو معن) أو (فان) بميلٍ واحـد، فـلا يبعـد أنّه كان يوجد نهر بالقرب من القطيف يدعى (آفـان)، ولكنـه غير النهر الذي ذكره الإدريسي بالتأكيـد لأنّ ذلـك في اليمامـة وليس في القطيف.

(فَان) في دفاتر الطابو العثمانية

مع بدايـة العـام ٩٥٩هـ احتلّـت الدولـة العثمانيـة واحـة القطيف، وضمّتها إلى إمبراطوريتها الكـبرى، وأطلقـوا عليهـا مسمى لواء، وفي الوقت نفسه قام موظفو الدولة بكتابـة كـل المعلومات الإحصائية التي تهم الدولـة عـن القطيـف وقراهـا ونواحيهـا، وتـدوينها في سـجلٍ عثمـاني خـاص يُسـمّى دفـتر (الطابو)، وقد ورد ضمن أوراق أحد هذه الدفاتر سجل يحمل

---

[٦٦] رؤبة بن العجاج السعدي التميمي: ديوان رؤبـة بـن العجـاج؛ تحقيـق وليم بن الورد البروسي (الكويت: دار ابن قتيبة للطباعة والنشـر والتوزيـع دت) الصفحة ٩٧.

مسمى (قانون نامه لواء القطيف)،[٦٧] وهو سجل خاص بواحة القطيف وسكانها وقراها ومحاصيلها الزراعية وتجاراتها، وكان من ضمن أسماء القرى اسم قريتنا التي نبحث عنها هنا، وقد رسمت فيه بهذا الرسم الواضح (فان) أي كما ذكرها ابن المقرَّب في شعره المتقدم معنا، والذي يبدو أنه كان الاسم المألوف لدى سكان القطيف حينها.

وقد ذكر الكاتب أسماء ٢١ شخصاً من سكان هذه القرية فقط؛ منهم أربعة عزّاب، وذكر من محاصيلها الزراعية التي تأخذ الدولة ضريبةً عليها: الحنطة، والتمر، والذرة، والقطن فقط، وأما الضريبة المالية الإجمالية التي كانت للدولة من هذه القرية، فكانت ٢٣٥٠ آقجة.[٦٨]

وأما أسماء الأشخاص الذين ذكروا، فهم وفق ترتيب الكاتب:

---

[٦٧] انظر دفتر الطابو رقم (٢٨٢) بتاريخ رجب ٩٥٩هـ.

[٦٨] دفتر الطابو رقم (٢٨٢) بتاريخ رجب ٩٥٩هـ؛ (قانون نامه لواء القطيف) الصفحات ٢٩٠ – ٣٤٠.

والآقجة عملة عثمانية.

- الشيخ حسن بن علي (شيخ القرية).[٦٩]
- خلف او.[٧٠]
- راشد او.
- إبراهيم بن علي.
- إبراهيم او.

---

[٦٩] الواقع هو أنّ الكتاب العثمانيون ما كانوا يعنون بكتابة لفظة (بن) بين الولد وأبيه كما يفعل العرب، ولهذا فإنّ جل الأسماء التي كتبوها كانت مجرّدة من هذه اللفظة، ووضعتها أنا للتوضيح فقط.

[٧٠] يكثر الكاتب من كتابة حرفي (او) بعد الكثير من الأسماء، وقد أفادني استاذنا الدكتور محمد القريني الأحسائي وهو من الخبراء الكبار باللغة العثمانية القديمة أن ذلك هو اختصار لكلمة (أوغلو) العثمانية، وبالتالي فإن هذا الاسم (خلف او) ينطق (خلف أوغلو)، وهكذا بقية الأسماء التي تلحق بها هذه الملحقة اللغوية التركية.

ويبدو أنه من هنا بدأت الملحقة الشهيرة التي يلحقها سكان الخليج بآخر الكثير من الأسماء، فهم عندما ينادون أحداً اسمه مثلاً عزيز أو سعيد يقولون عزيزوه وسعيدوه، وهكذا، ولا أرى ما ذهب إليه إستاذنا محمد سعيد المسلم من أنّ ذلك من تأثير البرتغاليين الذين احتلوا المنطقة، فقد أثبتت بعض البحوث أنّ احتلال البرتغاليين كان مقصوراً على سواحل الخليج وبعض المدن والقرى الساحلية، ولم يكونوا يجرءون على العيش في المدن الداخلية بعكس العثمانيين.

- جعفر بن أحمد.
- أحمد بن جعفر.
- علي بن بلال.
- ناصر بن عاصم.
- محمد بن عاصم.
- عبد الله بن عاصم.
- حسين بن محمد بن عطا.
- فضل بن محمد بن عطا.
- حزام بن علي.
- جبر بن علي.
- مجلّي بن علي.
- شاهين بن عطاف.
- حسين بن علي بن سلطان.
- حميد بن سلطان.
- أحمد بن سلطان.
- علي بن محمد.

ثم تكرر ذكر فان في دفتر الطـابو (٣١٣) لشـهر ذي القعـدة

من العام ٩٦٦هـ؛ حيث ذكرت فيه مقرونة بما سُمّي بـ(مزرعة البيضة؟!)، وتوجد ارضٌ تقع جنوب (أبو معن) بالقرب من السعلول تسمى البيضة،[٧١] ولكني لا أعلم إن كانت هي المعنية بهذه المذكورة في دفتر الطابو أم غيرها، وإن كان يبدو انها هي لقربها من أبي معن التي قررتُ الآن أنها هي فان التاريخية.

هذا هو كل ما ورد عن هذه القرية القطيفية (فان) في دفاتر الطابو العثمانية، وكان ذلك في منتصف القرن العاشر الهجري، وقد وصفت بأنها قرية كما رأينا، وربما بقي الاسم كما هو حتى نهاية القرن الحادي عشر حيث بدأ أهالي (فان) الأقدمون ينزحون عنها تحت وطأة غزو البدو الذين أخذوا مكان أهل القرية الأصليين[٧٢] فتغير منذ ذلك الوقت مسمى

---

[٧١] أخبرني بذلك الحاج أبو علي عبد الله بن علي النمري من أهالي العوامية، وهو رجلٌ خبير بالمواضع والأماكن في المنطقة، وكانت الجهات الحكومية تستعين به عند تحديد المواضع التي تقيم عليها منشئاتها التنموية، وقد أخبرني بذلك في مجلسه بالعوامية عام ١٤٢٧هـ، وكان معنا الصديق الباحث نزار آل عبد الجبار من أهالي العوامية أيضاً.

[٧٢] ربما تكون الأسرة القطيفية المعروفة بـ(آل مُجَلِّيْ) هي من الأسر الفانيّة التي رحلت عن فان إلى داخل واحة القطيف الأم بسبب غزو البدو

الواحة إلى (أبي معن) الحالية واندثر اسمها القديم (فان) الذي اشتهرت به، والذي تغنى به شعراء العرب عندما كانت هذه الواحة محط استراحة القوافل والمسافرين بين القطيف والأحساء والعراق والشام.

لبلدتهم التي كانت برية كما رأينا، وهو ما كان يفضله البداة الغازون للقطيف والأحساء؛ حيث إنهم كانوا دائماً ما يختارون القرى النائية البرية لسهولة السيطرة عليها وتوفر المياه فيها وبعدها عن المواضع الزراعية التي كانوا يستوخمونها ولا يحبذون السكن فيها، وقد مرّ بنا قبل قليل اسم أحد سكان فان، وهو مجلي بن علي، فلا أدري إن كان له علاقة نسب بهذه الأسرة أم هو تشابه أسماء فقط؛ علماً أنّ هذا الاسم أعني مجلي قد تكرر ذكره في أسماء سكان بلدة سيهات أيضاً من المصدر ذاته.



الصورة رقم (١): بعض مساجد واحة أبو معن وخزان مياهها.



الصورة رقم (٢): بعض عيون واحة أبو معن القريبة من الطريق إلى واحة الأعباء (العَبَا)، وكان يوجد في هذه الواحة أكثر من ثلاثين عيناً وينبوعاً كان مياهها تسيح في أنهار وجداول كثيرة، ولا زالت هذه العيون موجودة حتى الآن، ولكن مائها توقف عن الجريان.



الصورة رقم (٣): واحة العَبا (الأعباء)، وتبدو فيها واحدة من عيونها التي أناخ عندها الجيش العباسي الذي كان متجهاً من العراق إلى القطيف لمحاربة أبي سعيد الجنابي مؤسس دولة القرامطة.



الصورة رقم (٤): إحدى عيون واحة أبو معن (آفان) التي كان الجيش العباسي متجهاً إليها بعد خروجه من واحة العبا.

العُقَيْرُ

مَيْنَاءُ الجَمَالِ وَالعَرَاقَةْ

العُقَيْر هذا الموضع التاريخي الذي طالما أحببت رؤيته وأنا أطالع اسمه في الكثير من البحوث والكتب التاريخية التراثية والحديثة، فقد كان هذا الموضع والميناء الساحلي الهام ذات يومٍ مسرحاً للعديد من الوقائع والأحداث التاريخية المثيرة ليس آخرها المعاهدة الشهيرة التي سُمّيت باسمه (معاهدة العُقير) بين الملك الراحل عبد العزيز آل سعود، والمندوب البريطاني في الهند ومنطقة الخليج السير برسي كوكس عام ١٩٢١م.

وقد قمتُ بزيارة العُقير لأول مرّة عام ١٤١٤هـ، وذلك أثناء رحلاتي الكثيرة في ربوع المنطقة لتوثيق المواضع التي وردت في شعر ابن المقرَّب وشرحه، وكذلك الأماكن التي وردت في شعر من سبقه من الشعراء أو أتى بعده، وتلك التي وردت في كتب الجغرافيين المسلمين الذين كتبوا عن مواضع الجزيرة العربية، ولا سيما الجزء الشرقي منها.

ولا زال مرسوماً في مخيلتي كيف أنه عند نهاية الطريق المؤدي إلى العُقير لاح لناظري ولأول مرّة هذه الزرقة الجميلة لمياهه الخلابة وهي تعانق الرمال الصفراء الموشاة بمجموعات

من النخيل البعل[٧٣] والعشب البرّي الأخضر المنمنم بالأزهـار الصفراء الـتي شـكّلت جميعهـا لوحـةً طبيعيـة سـاحرة تـدخل البهجة على النفس والسـرور علـى القلـب وتشـعرك بعبَـق الأرج التاريخي لهذا الموضع الذي كان في يـومٍ مـن الأيـام قبلـة

---

[٧٣] النخل البعل: هو النخل الذي ينمـو في الصـحراء دون رعايـة البشـر، ويشاهد المتنقل بين ربوع بر البيضـاء مـن الجبيـل (عيـنين) وحتـى مشـارف العُقير وجود الكثير من هذا النوع من النخل، ويرجع السبب في نشـوءه – حسب رأيي – إلى أنّ هذا البر المعروف بـ(البيضاء)، والممتد من الجبيل شمالاً إلى العُقير جنوباً كان به عيون عذبة ومياه كثيرة قريبة من السـطح تمامـاً كمـا وصفها الجغرافيون المسلمون القدماء، وكانت قوافـل المسـافرين الـتي تقطـع كثبان البيضاء في السابق تنزل في أي مكان شاءته منها لتـوفر الميـاه فيهـا إمـا ظاهراً جارياً، أو بحفر شيء قليل على قدر الذراع، فيظهر الماء صافياً بارداً رويّاً، وكانوا يأكلون التمر المجلوب معهم من واحات القطيف والأحسـاء، ويرمـون النوى في مواضع استراحاتهم، ويتفق أيضاً أنّ الحيوانات المرافقة لهم كالجمـال والخيول والحمير والبغال كانت تُعلف من فضلات هذه التمور، فتلقي روثها الذي كان يحتوي على نوى التمـر في مواضـع تلـك الاسـتراحات ممـا يجعـل التربة مهيأة لنمو هذا النوى لتوفر الماء والسماد والنوى والتربة الجيدة، فيشاء الله لهذا النوى أن ينبت، وهو ما يفسر لنا وجود هذا النخل البعل الكـثير في براري البيضاء، وهو غير النخل الموجود في واحات قديمة معروفـة فيهـا مثـل العَبا وريمان وأم البردي وشعاب والنابية وغيرها.

المسافرين والتجار ومحط رحالهم ومستودع تجاراتهم.

لذا أحببت أن أطرح هنا ما لدي من معلومات جمعتها عن العُقير أثناء قراءاتي وبحوثي ليتبين لنا مدى الأهمية والمكانة الإستراتيجية التي كان يتمتع بها هذا الميناء الهام.

أصل التسمية

قال الخليل بن أحمد:

"سمعتُ أَعرابِيّاً فَصِيحاً من أَهْلِ الصَّمّان يقول: كُلُّ فُرْجَةٍ تكونُ بَيْن شَيْئَيْن فهو عُقْرٌ وعَقْرٌ؛ لُغَتَان ؛ ووَضَعَ يَدَيْه على قائِمَتَي المَائِدَة، ونحنُ نَتَغَدَّى، فقال: ما بَيْنَهُمَا عَقْرٌ". [٧٤]

ونقله عنه الحموي في معجم البلدان في رسم (العَقْر)، والعُقَير تصغير العَقر، وهذا الوصف الذي ذكره هذا الأعرابي الصَّمّاني ينطبق تماماً على موضع العُقير الذي هو عبارة عن لسان من الأرض داخل في شرم ضيق من الخليج بحيث يقسم هذا اللسان ذلك الشرم إلى قسمين شمالي

---

[٧٤] الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي: كتاب العين؛ تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (قم: مؤسسة دار الهجرة ١٤٠٩هـ) ج١: ١٥١.

وجنوبي، وهذا الشرم أو الشريم – على الأرجح – هو الـذي عناه شاعر البحرين الأشهر المثقب العبدي في قصيدته الدالية، وذلك في قوله منها يصف مناخ ناقته عند هذا الشّريم:

وأَغْضَتْ كَمَا أَغْضَيْتُ عَيْنِي فَعَرَّسَتْ
عَلَــىْ الثَّفَنَــاْتِ وَالجِــرَاْنِ هُجُودُهَــاْ
عَلَــىْ طُـرُق عِنْـدَ (الأَرَاكَـةِ) رَبَّــةٍ
تُــوَازِيْ شَـرِيْمَ البَحْـرِ وَهُــوَ قَعُيْــدُهَاْ

الموقع والحدود

يقع العُقير على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربيـة إلى الجنوب الغربي من آخر نقطة من الحـد الجنـوبي لجزيـرة أوال (البحرين) بأربعين كيلومتراً تقريباً، وإلى الجنوب من الظهران بسبعين كيلومتراً، وإلى الشـمال الشـرقي مـن الهُفـوف قاعـدة الأحساء بسبعة وستين كيلومتراً.

ويحد العُقير من الشمال رأس القُرّيّة، ومن الجنـوب جزيـرة الزخنونية وبرّ القارة، ومن الغرب برّ العُقير.

نشأة العُقير

كان العُقير هو الميناء الرئيس لهجـر والأحسـاء إبـان انبثـاق

نـور الإسـلام أو قبلـه بقليـل حيـث أثبتـت بعثـة التنقيـب الدانمركية للآثار في المنطقة خلو العقير ومدينتها المنـدثرة مـن آثار تعود إلى فترة أبكـر مـن الإسـلام؛[٧٥] كمـا يـوحي البحـث التاريخي أنّ الموضع الذي يقوم فيه العُقير كان يُسمى (الأراكة) عند عرب ما قبل الإسلام؛ قبـل أن ينشـأ ميناء العُقـير ويـتم إطلاق هذا الاسم الأخير عليه.

ويعود السبب في تسميته بالأراكة لوجود عين ماءٍ قديمة فيـه تسمى بـ(عين الأراكة) تقع على مسافة قريبة جداً من العُقير، ويسميها الأهالي الآن (الرّاكـة) تسـهيلاً عـن اسمهـا القـديم (الأراكة).[٧٦]

---

[٧٥] جيوفري بيبي: البحث عن دلمون ترجمة أحمد عبيدلي (نيقوسـيا؛ قـبرص: دلمون للنشر ١٩٨٥م) الصفحة ٤٦٧.

[٧٦] يبدو أن العين سُمّيت بهذا الاسم لكثرة وجـود أشـجار الأراك حولهـا، والاسم العلمي للأراك هـو Salvadora persica، وهـو نـوع مـن الشـجر صغير دائم الخضرة يصل ارتفاعه بين متر إلى متريـن، ويتجـاوز محيطـه خمسـة أمتار، وله أزهار صغيرة مخضرة، وثمرة لُبِّيَّة كروية أحادية البذرة، وينبـت الأراك في المنطقة الشرقية بكميات متوسطة، ومن أشهر أماكنه فيها ثاج والعُقير.

ولعل أقدم من ذكر هذا الموضع باسم الأراكة في شعره هو المثقب النكري العبدي المعاصر لملك الحيرة عمرو بن هند وأخيه النعمان، والمثقَّب ينتمي إلى بني نُكْرَة بن لُكَيْز بن أفْصَىْ بن عبدِ القَيْس سكان القطيف والظهران، وسكن بعضهم قطر أيضاً كما في كتاب معجم ما استعجم في خبر انتشار عبد القيس في البحرين،[٧٧] وعين الأراكة هذه تقع في منتصف المسافة بين القطيف وقطر تقريباً.

وقد ذكر المثقب العبدي الأراكة في قصيدته الدالية التي مطلعها:

أَلا إنَّ هِنــداً أَمــس رَثَّ جَديــدُها
وَضَــنَّت وَمــا كــانَ المَتــاعُ يَؤودُهــا

وذلك في قوله منها يصف مبيته هو وناقته عند هذا المكان:[٧٨]

---

[٧٧] عبد الله بن عبد العزيز البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا (بيروت: دار عالم الكتب ١٣٧١هـ) ج١: ٨١ وما بعدها.

[٧٨] المفضل بن محمد الضبي: المفضليات تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون (القاهرة: دار المعارف ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م) الصفحة ١٥٠.

وَأغْضَتْ كَمَا أغْضَيْتُ عَيْنِي فَعَرَّسَتْ
عَلَىْ الثَّفَنَاتِ والجِرانِ هُجُودُهَا
عَلَىْ طُرُق عِنْدَ (الأَرَاكَةِ) ربَّةٍ
تُوَازِيْ شَرِيْمَ البَحْر وهُوَ قَعيْدُها [٧٩]

ووصف المثقب للطرق التي عند الأراكة (الراكة) - بأنها ربة أي مجتمعة، وأنها توازي شريم البحر أي الخليج الصغير المتشرم من البحر الكبير كل ذلك ينطبق على ساحل العقير قبل أن تتغير معالمه في السنين الأخيرة، ولا زال هذا الوصف الذي ذكره المثقب قبل أكثر من ١٤٠٠ عام قائماً حتى قبل عقد من الزمان حيث كان يلاحظ كثرة الطرق القديمة المتقاطعة والمجتمعة (الرِّبّة) التي مهدها كثرة سير القوافل عليها بالقرب من ميناء العُقير؛ كما مرَّ بنا في التعريف بالعُقير أنها تقع على شرمٍ أو شَريم متخلج من البحر.

---

[٧٩] التعريس: النزول آخر الليل، والثفنات: الكركرة وما مس الأرض من قوائم البعير ساعة بروكه، والجران مقدم صدر البعير، وهجودها: نومها، وطرق رِبّة: أي مجتمعة، وتوازي: هنا بمعنى تقابل، والشريم: خليج ينشرم من البحر، وقعيدها: أي ملازمها

ويبدو أنّ من الشعراء القدماء الـذين ذكـروا هـذا الموضـع باسم (الأراكة) بشـر بـن أبـي خـازم الأسـدي (تـوفي ٦٠١م)، وذلك في قصيدة قالها يتهدد فيها بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم كانوا من سكان هذه المنطقة، ومن ضـمن هـذه القصـيدة قوله:[٨٠]

فَــأَبلِغ بَــني سَــعدٍ وَلَــن يَتَقَبَّلــوا
رَســولي وَلَكِــنَّ الحَــزازَةَ تُنصِــبُ
حَلَفــتُ بِــرَبِّ الــدامِياتِ نُحورُهــا
وَمــا ضَــمَّ أَجــوازُ الجِــواءِ وَمِــذنَبُ
وَبِــالأُدم يَنظُــرنَ الحِــلالَ كَأَنَّهــا
بِأَكوارهــا وَســطَ الأَراكَــةِ رَبــرَبُ[٨١]

وهذه الصورة الفنيـة الـتي ذكرهـا بشـر في البيـت الثالـث ظلّت مألوفة في المنطقة حتى وقت قريب، وهـو وصـفه للنـوق المناخة قبالة ساحل البحر، وهي تنظر وتنتظر الحلال (المراكـب

[٨٠] بشر بن أبي خازم الأسدي: ديوان بشر بن أبي خـازم الأسـدي؛ تحقيـق عزة حسن (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٠م) الصفحات ٨ – ٩.

[٨١] الأدم: النوق، والحِلال: المراكب البحرية، والأكوار جمع كور، وهـو رحـل الناقة بأدواته، والربرب: قطيع البقر الوحشي.

البحرية) لنقل حمولتها على ظهورها، ولحسن الحظ فقد صوّر بعض المستشرقين الغربيين ميناء العُقير والنوق المناخة عنده بأكوارها قبالة الساحل منتظرة قدوم المراكب (الحِلال) المحمّلة بالبضائع لتحميلها، والاتجاه بها إلى الأحساء ونجد، وهي صورة توجد في أرشيف شركة أرامكو، وتعود إلى العام ١٩٣٠م، وكأنّ مُلْتقِطَهَا لم يلتقطها إلا لشرح البيت الأخير من شعر بشر بن أبي خازم المتقدم، وهذه هي الصورة:



صورة رقم (٥): الإبل كما وصفها بشر بن أبي خازم، وهي تنتظر في ميناء العُقير قدوم السفن لتحميل البضائع التي تجلبها، ومن ثم

نقلها إلى الأحساء وداخل الجزيرة العربية.

وقد ظلّ اسمُ الأراكة هذا معروفاً حتى عند شعراء العصر الحديث، فقد ذكره أحد شعراء الأحساء، وهو عبد العزيز بن حمد آل مبارك المتوفى عام ١٣٥٩هـ ضمن أبيات يقول فيها:

يــا راكِبــاً خَــلِّ (الأَراكــةَ) يمَنــةً
وجُــز الفَــلاةَ وجُــز ســلاماً مُســرعَا
وَإذا وَصــلتَ إلى الهُفُــوفِ فــبَلِّغَن
عنِّــي التَحِيَّــةَ ســاكِنِيهِ أَجمَعَــا
وَاعــدِل لربــع الرّفعَــةِ الغَــرّا وَقِــفْ
فِــي سُــوحِها مُتَــذَلِّلا مُتَخَضِّــعَا

والرفعة أحد أحياء الهفوف عاصمة الأحساء الآن.

وأما العُقير، فقد ذكرها الشعراء القدماء أيضاً بهذا الاسم، ولكنّ أقدم من ذكرها به هم شعراء العصر الإسلامي، ولم أجد من ذكرها من شعراء ما قبل الإسلام، وأقدم من ذكرها من الشعراء هو أبو طالب بن عبد المطلب عمّ الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسوف أذكر شعره الذي ورد فيه اسم العُقير عند الحديث عن الأهمية الاقتصادية لها.

كما ورد اسم العُقير أيضاً في شعر الراعي النميري المتوفى في نهاية القرن الأول الهجري، وذلك في قصيدة يهجو فيها بني تغلب، ويقول في آخرها:[٨٢]

وَنَحــنُ تَرَكنــا بِــالعُقَيرِ نِســاءَكُم
مَـعَ الثُكـلِ هَـزلى يَشـتَوينَ الأَفاعِيـا

ومعظم بني تغلب في البحرين كانوا يقطنون دارين والخط وجزيرة أوال، ولا سيما جزيرتي سترة[٨٣] وسماهيج (المحرق)، وهما غير بعيدتين عن العُقير، وقد ذكر الطبري أنّ سابوراً ذا الأكتاف أسكن بني تغلب في البحرين دارين وسماهيج والخط،[٨٤] فيبدو أنّه قد وقعت حربٌ بين بني تغلب سكان أوال والخط وبين بني نمير بن عامر بن صعصعة قوم الراعي

---

[٨٢] عُبيْد بن حُصين بن جندل النميري = الراعي النميري: ديوان الراعي النميري؛ تحقيق راينهرت فايبرت (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ١٩٨٠م) الصفحة ٢٨٨.

[٨٣] في القطيف ينتسب آلُ الستري في قرية القديح وآلُ ابي المكارم في قرية العوامية إلى تغلب.

[٨٤] تاريخ الطبري ج١: ٦١٥.

النميري الذين بدأت بطونهم تتوافد إلى المنطقة من داخل الجزيرة مع بداية ظهور الإسلام ليصبحوا بعد ذلك من أكثر وأشد أنصار صاحب الزنج، ثم أنصار أبي سعيد الجنابي عند تأسيسه لدولة القرامطة في البحرين،[٨٥] وكانت هذه الحرب بين بني عامر بن صعصعة وبني تغلب عند العُقير كما يبدو واضحاً من بيت الراعي النميري المتقدم.

القراح ميناء هجر الأقدم قبل العُقير

نعم كان ميناء هجر والأحساء الأول قبل العُقير هو ميناء (القَرَاح) الذي كان يُعرف لدى المؤرخين العرب بـ(سِيْف هَجَر)[٨٦] الواقع للشمال من العُقير بثلاثة وثلاثين كيلومتراً، والذي كان يُعرف أيضاً بـ(ساحل هجر)، وقد ذكره بهذا الاسم الأخير ابن خرداذبة (**توفي ٢٨٠هـ**) في كتابه المسالك والممالك، وذكر معه العُقير أيضاً ضمن محطات الطريق

---

[٨٥] علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف؛ تحقيق دي غويه (ليدن: مطبعة بريل ١٨٩٣م)؛ الصفحة ٣٩٣.

[٨٦] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٩٧٩م) ج٤: ٣١٥.

الساحلي بين عُمان والبصرة، وفيه أنّ العُقير تقع بين قطر وساحل هجر.[٨٧]

وقد كان هذا الميناء أعني ميناء القراح متصلاً بمدينة هجر الواقعة عند الركن الشمالي الغربي من جبل الشبعان (القارة) من خلال قناة مائية عميقة هي قناة نهر مُحَلِّم.[٨٨]

---

[٨٧] عبيد الله بن عبد الله = ابن خرداذبة: المسالك والممالك (بيروت: دار صادر دت مطبوعة بالأوفست عن طبعة بريل – ليدن ١٨٨٩م) الصفحة ٦٠.

[٨٨] كانت هذه هي النتيجة التي توصلت لها بعد ربط العديد من الروايات التاريخية العربية وغير العربية عن وجود نهر يخرج من الأحساء، ويصب في البحر قرب ما يُعرف الآن برأس القُرَيّه المحرفة – وفق رأيي – عن (القُريّح) كما سأذكر بعد قليل.

وقد ناقشت في كتابي (جره مدينة التجارة العالمية القديمة)، وكتابي الآخر (هجر وقصباتها الثلاث المشقر والصفا والشبعان ونهرها محلم) نظرية وجود هذا النهر الأحسائي المذكور من قبل هيرودوتس باسم نهر (كوريس) أو (قوريس)، وذكره سترابو عند حديثه عن مدينة (جرَه) التي أثبت أنها هي هجر بذاتها، وذكره كذلك الأصمعي في خبر طرفة وخاله المتلمس؛ كما ذكر في خبر استيلاء أبي سعيد الجنابي على مدينة هجر، واثبت صحة هذه النظرية اعتماداً على آثار قصبة هذا النهر من خلال بعض الخرائط الأوربية، وصور الأقمار الصناعية، وقد رفض بعض الباحثين النتيجة التي توصلت إليها متهمين لي بالمبالغة في ذلك إلى أن شاءت العناية الإلهية بوقوفي على وثيقة

وأرى أيضاً أن (القَراح) هذا صُغِّر اسمه بعد التحوّل عنه إلى العُقير، فصار يُسمى (القُرِّيحْ) كما جرت العادة في كثير من المسميات الجغرافية في المنطقة،[٨٩] ثمّ حُرِّف هذا الاسم بسبب حركة الترجمة الغربية وكتابته بالحروف اللاتينية إلى (القُرّيه) في الخرائط والبحوث التي كتبوها عن المنطقة إبان مجيئهم إليها، ثم أخذناها عنهم كغيرها من الألفاظ العربية التي حوروها.

وذلك لأنّ الغربيين لا توجد لديهم الحروف الحلقية – ومنها الحاء – في لغتهم، فهم عندما يكتبون (القُرَيِّح) يكتبونها

برتغالية، وهي عبارة عن رسالة كتبها القائد البرتغالي أفونسو دي ألبوكيرك عام ١٥١٥م (٩٢١هـ) إلى ملك البرتغال يذكر ضمنها جريان نهرٌ من الأحساء في اتجاه البحر مقابل جزيرة البحرين، وهو عين النتيجة التي توصلت إليها قبل الوقوف على هذه الرسالة (انظر: أحمد بو شرب: الخليج العربي والبحر الأحمر من خلال وثائق برتغالية ١٥٠٨ – ١٥٦٨م، ترجمة أحمد بو شرب (الرياض: سلسلة إصدارات كرسي الأمير سلمان بن عبد العزيز للدراسات التاريخية والحضارية للجزيرة العربية) الصفحة ٢٢٢).

[٨٩] يوجد الكثير من الأسماء الجغرافية القديمة في المنطقة صُغّرت أسماؤها الآن مثل: (الثُّلْيم) الذي صار يُعرف الآن بـ(الثُّلَيِّم)، و(حُلوان) الذي يُعرف الآن باسم (حليْويْن)، و(الكَثيْب) الذي يُسمى الآن (الكُثَيِّب)، وكثير غيرها.

(Alqurayyeh)، وينطقونها (القُرَيِّه)، فاندثرت التسمية العربية القديمة، وبقيت له هذه التسمية الأخيرة المحرّفة تماماً مثل ما حُرِّف اسم (متالع) القرية المعروفة غرب الجوف إلى (متالىء)[٩٠] وقرية (القديح) في القطيف إلى (القُودَيْه)[٩١] لذات السبب.

وقد ساهم الزَّحفُ الرهيب لرمَال صحراءي الجافورة والبيضاء على الأحساء وأراضيها في تدمير الجزء الشمالي من هذا النهر الذي كان متصلاً بساحل القراح وجعله غير صالح لملاحة السفن الكبيرة مما جعل الناس يتجهون إلى العُقير واتخاذها ميناءً بديلاً للقراح.

[٩٠] حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية / قسم المنطقة الشرقية؛ رسم (متالع).

[٩١] وقد دُوّن ذلك حتى في بعض الأطالس الأولى الخاصة بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية لأن واضعي هذه الخرائط كانوا ينقلون عن خرائط وضعها غربيون بلغاتهم اللاتينية؛ انظر مثلاً: زكي محمد علي الفارسي؛ خرائط الفارسي؛ المنطقة الشرقية من الألف إلي الياء ١٩٩١م؛ الصفحة ٦٣.

الأهمية الاقتصادية للعقير

لقد بلغ من أهمية العُقير إبان نشأتها الأولى وانتشار صِيتها لدى سكان الجزيرة العربية أن جعلها أحد مشاهير تجار قُريش، وهو أبو طالب – رضي الله عنه – رمزاً لإقليم البحرين القديم كله، وذلك بقوله ضمن قصيدة بائية نصر فيها ابن أخيه محمداً – صلى الله عليه وآله وسلم – وموجهاً الخطاب إلى قريش:

سَتَمنَعُهُ مِنّا يَدٌ هاشِمِيَّةٌ
مُرَكَّبُها في المَجدِ خَيرُ مُرَكَّبِ
وَيَنصُرُهُ اللَهُ الَّذي هُوَ رَبُّهُ
بأَهل العُقَير أَو بسُكّانِ يَثربِ

وقد نصَّ جامع ديوانه وشارحه أبو هفان العبدي، وهو من عبد القيس سكان البحرين على أنّ المراد بالعُقير هو موضعنا هذا الذي نحن بصدد البحث عنه، فقال في شرح هذا البيت:

"العُقَيْرُ: مدينةٌ بالبحرين"[٩٢]

---

[٩٢] عبد الله بن أحمد المهزمي العبدي البصري = أبو هفان العبدي: ديوان أبي طالب بن عبد المطلب؛ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (بيروت: دار

وفي هذا البيت لأبي طالب إشارة خفيّة إلى أثرٍ مرويّ عن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – وقت هجرته من مكة إلى المدينة، فقد ذكر الرواة أنه قال لأصحابه وأهله، وهو في مكة إنّ الله خيّره في الهجرة إلى **"المدِيْنَةِ أو هَجَر"**[٩٣]، وفي بعض الروايات **"المَدِيْنَةِ أو البَحْرَيْنْ"**،[٩٤] ولأنّ لفظتي (البحرين) أو (هجر)، لم تستقيما لأبي طالب – عليه السلام – في هذه القصيدة، فقد استعاض عنها بلفظة (العُقَير) من باب التعبير بالجزء عن الكلّ، وهو مذهب من مذاهب العرب يكثر

ومكتبة الهلال ٢٠٠٠م)؛ الصفحة ٩٦

[٩٣] أحمد بن علي بن محمد العسقلاني = الحافظ ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر الطبعة الثانية دت) ج٧: ١٧٨.

[٩٤] انظر مثلاً:

- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: الجامع الصحيح تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م الطبعة الثانية) ج٥: ٣٧٩.

- محمد بن عبد الله بن محمد = الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين (بيروت: دار المعرفة) ج٣: ٣.

استخدامهم له، ولست أراني في حاجة لتعليل اختيار أبي طالب للعُقير دون مواضع البحرين الأخرى الشهيرة للإشارة بها إلى البحرين، فأبو طالب كان تاجراً من تجار قريش المعروفين، والبحرين كان بها أكثر من سوق تقام فيها، ويقصدها تجار العرب من سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية، وأشهرها كان سوق المشقر بهجر وسوق الزارة بالخط، وكانت سوق المشقر بهجر تستقبلُ حينها تجاراً كثيرين يقدمون إليها عن طريق البحر عبر ميناء العُقير؛ لهذا فلا غرو أن يكون اسمها من الأسماء الراسخة في ذاكرة التاجر القرشي الكبير أبي طالب الذي كانت حنكته التجارية تجعله مدركاً لمدى أهمية العُقير وميناءه بالنسبة للتجار، ولا يبعد أنّ أبا طالب ربما يكون قد زار العُقير بنفسه أثناء قيامه ببعض تجاراته من مكة إلى البحرين عن طريق البحر.

وأما في القرنين الأول والثاني الهِجْريين، فقد كانت العُقير تشكل مركزاً تجارياً هائلاً حتى إنّ صاحب كتاب المناسك وصفه بأنه:

"فُرْضَةُ الصِّينِ وَعُمَانْ وَالبَصْرَةِ وَاليَمَنْ"[٩٥]

أي أنه يستقبل المراكب من هذه البلدان، ولا شك أنه نسي أن يضيف بلاد فارس والهند أيضاً، فقد أشار شارح الديوان المقرَّبي إلى أنّ الفرس كانوا ينتقلون إلى هجر والأحساء عبر هذا الميناء.[٩٦]

وقد ظلت العُقير على هذه الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية؛ بل زادت أهميتها وارتفع شأنها مع قيام الدولة القرمطية التي عُرف عنها أنها كانت من الدول المنظمة اقتصادياً وتجارياً، ولعل أفضل وصف للعُقير في آخر عهدهم هو ما كتبه أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج العبدي من أهالي القرن الخامس الهجري عندما استقل بجزيرة أوال عن حكم القرامطة وكتب إلى ديوان

[٩٥] مؤلف مجهول: المناسك وأماكن طرق الحج، ومعالم الجزيرة تحقيق حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٤٠١هـ ١٩٨١م.) الصفحة ٦٢٠.

[٩٦] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٥: ٢٨١١.

الخلافة العباسية برسالةٍ في ذلك جاء فيها:[97]

"وقد تجرّدتُ لمناصبة القرامطة خذلهم الله، ومحاربتهم في ذات الله فعمدت إلى طرف من أطراف مملكتهم، يعرف بالعُقير وهو دهليز الأحساء، ومصب الخيرات منه إليها، وكثرة الانتفاعات التي جُلُّ الاعتماد عليها".

وهو وصفٌ دقيق من أحد رجالات المنطقة يدلُّ على المكانة الاقتصادية السامقة للعُقير وميناءها في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ولا يبدو أنّ هذه المكانة العظيمة للعُقير قد تلاشت أو قلّت في ظل الدولة العُيونية التي أعقبت الدولة القرمطية في البحرين، ولهذا نجد الشريف الإدريسي (٤٩٣ – ٥٦٠هـ) يصف العُقير في عهدهم بأنه **"مَرْسَى جَليل مُكِّنَ مِنْ رياحٍ شَتّى"**،[98] ويعني بقوله مُكّن من رياح شتى أي

---

[97] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب تحقيق عبد الخالق الجنبي وآخرين (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج٤: ٢٢٦٢.

[98] محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس العلوي = الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٩م) ج١: ١٦٣.

وإن كان اسمه قد تحرَّف في هذه الطبعة إلى (المفقود) التي هي تحريف واضح

أنه كان آمنا من الرياح الشمالية والجنوبية والشرقية المعروفة بأسماء خاصة لها في المنطقة، ويرجع السبب في ذلك إلى وقوعه على شرمٍ صغير – كما سبق وذكرت – وهذا الشرم يتخلج من البحر، وتحيط به اليابسة من معظم جوانبه باستثناء معبر ضيّق من الجنوب هو مخرج السفن، ومع ذلك فإنّ الرأس البرّي المحيط بشرق العُقير يمتدُّ إلى جنوبه أيضاً بحيث إنه لا يترك إلا مخرجاً ضيّقاً للسفن، وحتى هذا المخرج الضيّق، فإنه يقع قبالته أرخبيل من الجزر مثل الزخنونية وغيرها مما يجعل يد الرياح الجنوبية مكفوفة هي الأخرى عن بحر العُقير ومينائه مثلها مثل الرياح الشمالية والشرقية وهذا ما أراده الشريف الإدريسي بقوله المتقدم.

وفي عهد العُقيليين والجبريين احتفظ العُقير بذات المكانة والأهمية أيضاً، فقد عُرف عن هاتين الإمارتين تجاراتهما الواسعة مع الهند ومصر عبر البحر؛ إلا أنّ أهميّة العُقير ازدادت كثيراً مع قدوم العثمانيين إلى المنطقة واحتلالهم لها

لـ(العُقير).

حيث صيّروا من العُقير الميناء الأول للمنطقة، وذلك بدلالة ما نشاهده حتى الآن من المباني الضخمة ذات التصاميم الأخـاذة التي أضافوها إليه، والتي لا زالت قائمة حتى وقتنا هذا.

وقد ظل العُقير يحتل هذه المكانـة السـامقة بالنسـبة لواحـة الأحساء ووسط الجزيرة العربية إلى وقـت اكتشـاف الـنفط في المنطقة حيـث تحـوَّل الاهتمـام إلى مـوانئ أخـرى حديثـة فيهـا كموانئ الدمام والخُبر والجبيل.

العُقير في كتب المؤرخين والجغرافيين المسلمين القدماء

ذكـر العُقـيرَ جماعـةٌ مـن المـؤرخين والجغـرافيين المسـلمين والعرب في القرنين الثالـث والرابـع الهجـريين ضـمن مـدن إقليم البحرين القديم بما يدل على مكانتها المرموقة.

فمن الذين ذكروا العُقير صاحب (كتاب المناسـك وأمـاكن طرق الحج ومعالم الجزيرة)،[٩٩] الذي قال:

---

[٩٩] بقي مؤلف هذا الكتاب القيم مجهولاً حتى الآن، وكان البحاثة الدكتور حسين علي محفوظ هو أول من أشار إلى مخطوطـة هـذا الكتـاب، ورجـح أنـه كتاب (منازل مكة) لأبي الحسن علـي بـن محمـد بـن الكـوفي؛ في حـين رأى الشيخ محمد حسن آل ياسين أنّ مؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدي،

"وبالعُقَير[١٠٠] مِنبرٌ لبنيْ الرَّجَّاف من عبدِ قَيْس، وَهـيَ فُرْضَـةُ الصِّينِ وَعُمَـانْ وَالبَصْـرَةِ وَالـيَمَنْ عَلـى البحـر، وَبـين جَبَلَـة والعُقَير مَرْحَلَتَانِ خَفيفتانِ، وَجَبَلَة أسْفَلَ مِنْ هَجَرْ"

ومن هذا النص الذي ربما يكون قد كُتب في أواسط القـرن الثالث الهجري قبل حركة صـاحب الـزنج، وقبـل قيـام دولـة القرامطة في المنطقة يتضح مدى الأهمية الكـبيرة الـتي كانـت للعُقير، فبالإضافة إلى كونها فرضـة الصـين وعمـان والبصـرة واليمن،[١٠١] فهي كانت منبراً أي مدينة تقام فيها الجمعة مما يدل على عمرانها وكثرة سكانها الذين كانوا من بني الرجَّاف مـن قبيلة عبد القـيس، وهـم بنـو الرجّـاف الـذين ينتمـي إلـيهم

ولكن أستاذنا الشيخ حمد الجاسر ارتأى في تحقيقه للمخطوط الذي نشره عـام ١٩٨١م أنه أبو إسحاق إبراهيم بن إسـحاق بـن إبـراهيم بـن بشـير الحربـي البغدادي المتوفى عام ٢٨٥؛ إلا أنه تراجع عن ذلك لاحقاً.

[١٠٠] كتبها الناسخ أولاً العقيق، ثم صحح ذلك في بقية النص إلى العُقير.

[١٠١] سبق وقلت أنه نسي أن يضيف بلاد فـارس والهنـد أو أنهمـا سـقطتا بفعل الناسخ من هذا النص الهام لأنـه مـن غـير المعقـول أن تكـون العُقـير تستقبل بضائع الصين وعمان والبصـرة والـيمن ولا تسـتقبل بضـائع بـلاد فارس المقابلة لها على الضفة الشرقية للخليج.

الزعيم العبـدي الكـبير العريـان بـن إبـراهيم بـن الرجّـاف صاحب جواثى المشهور تاريخياً لأنه الذي أوقع بصاحب الزنج في البحرين وقعات كسـره فيهـا وكانـت سـبب إخراجـه مـن البحرين إلى البصرة، وقد ذكر هذا الزعيم العديد من المؤلفين كالمسعودي في (التنبيه والإشراف)، وسمـاه خطئـاً العُريـان بـن الهيثم، والمقريزي في (اتعاظ الحنفـا بأخبـار الأئمـة الفـاطميين الخلفا)، وشارح الديوان المقرَّبي، وهو الأهم لأنـه رفـع نسـب أسرته آل الرجاف إلى بني الخارجية من بني مالك بن عامر بـن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصـى بـن عبد القيس.[١٠٢]

ومن الذين ذكروا العُقير أيضاً أحمد بـن الحسـن الهمـداني (توفي ٣٣٤هـ) في كتابه صفة جزيرة العرب ، فقد حفظ لنا فيـه

[١٠٢] ناقشت كل ذلك بتفصيل أوسع في تعليقـي علـى بيـت ابـن المقـرَّب الذي يقول فيه:

إنـــي لأخشـــى أن   لاقـى بنـو العيـاش

انظر شارح مجهول من القرن السابع: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبـد الخالق الجنبي؛ (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٥: ٢٨٧١ – ٢٨٨٠.

نصّاً هامّاً لمن أسماه بأبي مالك أحمد بن محمد بن سهل بن صباح اليشكري، وكان – حسب وصف الهمداني – ممن سكن البحرين ونجعها ورعاها وسافر فيها، وكان خبيراً بها، وقد ذكر عنه قوله:[103]

"مدينةُ البَحْرَين العُظْمَى هَجَر، وَهيَ سُوقُ بنيْ محارب من عَبدِ القَيْس، ومنازلُها ما دارَ بها مِن قُرَىْ البَحْرَين، فَالقَطيفُ؛ مَوْضعُ نخلٍ، وَقَريَةٌ عظيمةُ الشَّأن، وَهيَ سَاحِلٌ، وَسَاكنُها جَذِيمَةُ مِنْ عَبدِ القَيْسِ سَيِّدُهُمْ ابنُ مُسْمَارٍ[104] وَرَهْطُه،[105] ثُمَّ العُقَيرُ مِن دُوْنهِ، وَهْوَ سَاْحِلٌ وَقَرْيةٌ دُوْنَ القَطِيْفِ مِنِ العَطْف، وبه

---

[103] انظر صفة جزيرة العرب للحسن بن أحمد الهمداني الصفحة ٢٧٩.

[104] هو علي بن مسمار الجَذمي العبدي حاكم القطيف في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وكانت عاصمة ملكه الزارة، وهو الذي قتله أبو سعيد الجنابي عند بداية تأسيسه لدولة القرامطة في القطيف وحرق عاصمتها الزارة كما ذكر المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف.

[105] وهذا الكلام يدلُّ على أنّ كتابة هذا النص قد تمّت قبل الربع الأخير من القرن الثالث الهجري لأنه في هذا الوقت استطاع أبو سعيد الجنابي من إزاحة آل مسمار الجذميين عن حكم القطيف، وحكمها مؤسساً دولة القرامطة فيها.

نخل، ويسكنه العرب من بني محارب"[١٠٦].

ويتضح من هذا النصّ الذي كتب قبل الربع الأخير من القرن الثالث الهجري أنّ العُقير كان ثالث أهم مدن البحرين بعد هجر والقطيف في القرن الثالث الهجري، وأنه كان ميناءً وقرية كان بها نخلٌ يعمره ويسكن فيه بدوٌ عبَّر عنهم بـ(العرب)، وهي الصفة التي كان سكان البحرين يطلقونها على البدو كما يلاحظ في شروح ديوان ابن المقرب، وهؤلاء البدو كانوا من بني محارب بن عمرو بن أفصى بن عبد القيس كما هو واضح من النص ذاته، وإن كان ذلك يبدو أنه يتعارض مع ما ذكره صاحب كتاب المناسك المار بنا للتو من أنّ سكان العقير كانوا من بني الرجَّاف من عبد القيس لأنّ النصَّين متقاربين زمانياً، وإن كان المعروف عن بني محارب العبديين أنهم كانوا يتشاركون ويتجاورون السكن في الأحساء وهجر مع بني عمومتهم بني عامر بن الحارث العبديين[١٠٧]

---

[١٠٦] أي بني محارب من عبد القيس الذين تقدم ذكرهم.

[١٠٧] لقد بينت مواضع سكن بني محارب وأبناء عمهم بني عامر بن الحارث في كتابي (هجر وقصباتها الثلاث)، فمن أراد الوقوف على ذلك، فعليه

الذين ينحدر منهم آل الرجّاف سكان العُقير في نصّ صاحب (كتاب المناسك)، فلعلهم كانوا مشتركين في سكنى العُقير أو أنّ بني محارب قد حلوا العقير بعد رحيل بني عمومتهم من بني الرجاف عنها بتأثير حروب صاحب الزنج.

ومن الذين ذكروا العُقير: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (توفي ٣٤٦هـ) في كتابه مروج الذهب، ولكنها تحرَّفت في بعض المطبوع منه إلى (العقل)، وذلك عندما قال:[١٠٨]

"وجزيرة أوال فيها بنو مَعْن وبنو مسمار وخلائق كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحرين نحو يوم، بل أقل من ذلك، وفي ذلك الساحل مدينة الزارة والعقل والقطيف

بمطالعة هذا الكتاب في طبعته الثانية.

[١٠٨] انظر:

- علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الفكر ١٩٧٣م)؛ ج١: ١١١.
- علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر؛ تحقيق يوسف أسعد داغر (قم: دار الهجرة ١٩٨٤م)؛ ج١: ١٢٦.

من ساحل هجر".[109]

فمن الواضح أنّ لفظة "العقل" ما هـي إلا تحريـف لفظـة "العُقير" بدلالة نصه على أنها تقع على الساحل، وأما جعله الزارة والقطيف من ساحل هجر، فذلك لأنّ مسمى هجر كان يُطلق من زمن قديم على كامل إقليم البحرين أحياناً.

ومن الذين ذكروا العُقير أيضاً: المقدسي (توفي ٣٨٠هـــ) في كتابه أحسن التقاسيم، فقد ذكر العُقير على أنها إحـدى مـدن هجر الإقليم أيضاً، وذلك بقوله:

"وأمّا هَجَرُ فَقَصَـبَتُهَا الأحْسَـاْءُ، وَمُـدُنُهَاْ: سَـاْبُوْنُ، الزَّرْقَـاْءُ، أوَاْلُ، العُقَيرُ".[110]

---

[109] الغريب أنّ جملة "والعقل" التي هي تحريف "والعُقير" غـير موجـودة في الطبعة الفرنسية لكتاب المروج الذي كتب فيه محل هذه الجملة: "وفي ذلك الساحل مدينة الزارة والقطيف من ساحل هجر" انظر الصفحة ٢٤٠، ولكنها موجودة في الطبعات الأخـرى كمـا دونـت أعـلاه كطبعـة دار الفكـر ١٩٧٣م؛ الصفحة ١١١، وطبعة دار الهجرة بإيران ١٩٨٤م؛ ج١: ١٣٦.

[110] محمد بن أحمد المقدسي البشاري: أحسن التقاسـيم إلى معرفـة الأقـاليم (ليدن: مطبعة بريل ١٩٠٦م)؛ الصفحة ٧١.

وفي أواسط القرن السابع الهجري ذكر العُقيرَ شارحُ الديوان المقرَّبي في خبر عن كسرى أنو شروان وبناءه لحصن المشقر في هجر، ومعروفٌ أنّ كسرى أنو شروان الملك العادل كان حيّاً وقت ميلاد الرسول الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم – الذي روي عنه أنه قال: ولدت في زمن الملك العادل أنو شروان،[111] فإذا اتضح من هذا الخبر أنّ العُقير كانت معروفة باسمها في زمن هذا الملك، فيكون هذا النص بالتالي أقدم إشارة إلى اسم العُقير، ويكون شعر أبي طالب المصدر الثاني الذي ذكره، وأياً كان ذلك فإنني أرى أنّ العُقير كمسمى لهذا الموضع لم يكن ليسبق القرن السابع الميلادي بأكثر تقدير، وقد ورد في نص شرح الديوان المقرَّبي قول الشارح[112]:

"وَنُوْشِرْوَاْنُ مِنِ الأكَاسِرَةِ وَمُلُوكِ فَارس، وَذلكَ أنّ البَحْرَيْن كَانتْ مِن جُمْلَةِ وَلايَته، وَكَانَ فِيْهَا النُّوَّابُ وَالوُلاةُ

[111] محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني: مناقب آل أبي طالب (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية ١٩٥٦م) ج١: ١٤٩.

[112] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي وآخرين (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج٥: ٢٨١٠.

مِنْ قِبَلَهِ، فَأَمَرَ أَنْ يُبنىْ لهُ حِصْنٌ يَكونُ يَنزلهُ الوَاليْ الذيْ مِنْ قِبَلِهِ، وَبَعَثَ لبنَائِهِ فَعَلَةٌ مِنْ سَوَاْدِ خُوْزِسْتَاْنِ نَقَلَهَم فِيْ البَحْرِ إلىْ العُقَيْر، وَخَرَجُوْا مِنْ هِنَاْكْ".

وفي هذا النصّ دلالة واضحة على وجود رحلات بحرية منذ ما قبل الإسلام بقليل بين بلاد فارس وهجر عبر مينائها العُقير، وهو ما يؤيده الرواية التي ذكرها ابن حبيب (توفي ٢٤٥هـ) في كتابه المحبر عندما تحدث عن أسواق العرب، فقال:

"ثمّ يَرْتحلوْنَ إلىْ المُشَقَّرِ بهَجَرَ، فَتَقُوْمُ سُوْقُهَا أوَّلَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَىْ الآخِرَةِ إلىْ آخَرِ الشَّهْرِ، فَتُوَاْفِيْ بهَا فَاْرِسُ يَقْطَعُوْنَ البَحْرَ إليْهَا ببِيَاْعَاْتِهِمْ".[١١٣]

وقد ذكر شارح الديوان المقرَّبي العُقير في موضع آخر من شرحه، وذلك عندما تحدث عن ثورة أبي البهلول محمد بن العوام العبدي على القرامطة في جزيرة أوال، فذكر نص خطاب أبي البهلول الذي كتبه إلى ديوان الخلافة، وقد سبق

---

[١١٣] محمد بن حبيب البغدادي: المحبر (بيروت: دار الآفاق الجديدة دت)؛ الصفحة ٢٦٥.

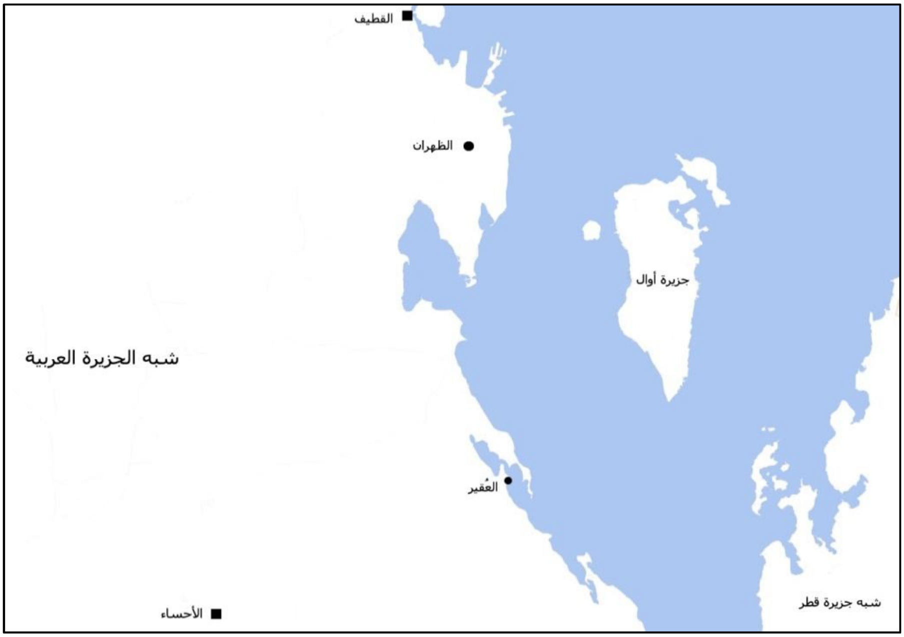
وذكرته فيما مضى.

ثم تسكت بعد ذلك المصادر عن ذكر العُقير في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وأكثر من نصف القرن العاشر، ولكنها سرعان ما عاد اسمها للظهور في أواخر هذا القرن والقرون الثلاثة التي تليه بفضل الوثائق العثمانية والبرتغالية والهولندية، ثم الإنجليزية حيث كانت العُقير من المحطات الساحلية الهامة التي حرصت جميع هذه الدول الاستعمارية على احتلالها لتسيير شئون أعمالها وتحقيق مآربها الاستعمارية في سبيل السيطرة التامة على مقدرات بلدان الخليج.

ثم ما إنْ حلّ القرن الرابع عشر الهجري إلا وللعُقير شأنٌ كبير ذكرته لأجلها معظم الكتب التي كتبت عن أحوال المنطقة في تلك الحقبة، ولا سيما الكتاب الاستخباراتي الإنجليزي الموسوم باسم (دليل الخليج) لـ ج. ج. لوريمر الذي فصَّل القول عن العُقير والبرّ المحيط به والجزر الواقعة بقربه، والطريق المسلوكة منه إلى الهُفوف وغير ذلك من معلومات قيّمة لا غنىً للباحثين عنها، وبالإضافة إلى ذلك فقد سبق

لوريمر بعض الرحالة الغربيين الذين وصفوا العُقير ومبانيها والطرق المؤدية إليها.

وأما الكتاب العرب، فإنّني أستطيع القول إنّ أجمل ما قرأت لهم عن العُقير هو ذلك الوصف الشيّق الذي وصفها به الحاج ملا عطية الجمري من قرية بني جمرة في جزيرة أوال (البحرين)، وذلك أنه قام برحلة من أوال إلى الأحساء عن طريق العُقير عام ١٣٥٤هـ، وقد دوّن معظم ما جرى له في رحلته هذه في أرجوزة سماها (المنظومة الهجرية)، وهي التي انتهيت من تحقيقها مؤخراً، ونشرتها في كتاب خاص.



خارطة رقم (٤): هي خارطة للعقير مقتبسة عن الموقع الشبكي (www.bing.com/maps) لاحظ وقوعه على شرمٍ صغير من البحر، والفرجة من الأرض التي تطعن هذا الشّرم مُنصِّفة له إلى نصفين، ومن هنا جاء اسمه العقير تصغير عقر، والذي يعني لغوياً كل فرجة تكون بين شيئين.



صورة رقم (٦): شرم العُقير الذي سماه الممزق العبدي "شرِيْم البحر".



صورة رقم (٧): برج (أبو زهمول) الواقع غرب العُقير مباشـرة الـذي أقـيم على العين القديمة التي كانت تُدعى قديماً بـ(الأراكة)، أو (الرّاكـة)، وهـي العـين العذبة التي يستقي منها سكان العُقير، وذكرها شاعر عبد القيس الممزق بقوله:

على طـرقٍ عند الإراكـــة ربـةٍ   توازي شريم البحر وهو قعيدها



صورة رقم (٨): بعض مباني الجمارك عثمانية الطراز في العُقير.



الصورتان رقم (٩)، و(١٠): وهما صورتان أخاذتـان لـبعض مبـاني العُقـير تشكل دليلا واضحا على مدى ما كانت عليـه مـن نشـاط تجـاري كـبير في الأيـام الخوالي، فهذه المباني الضخمة تدل على وجود كثافة بشرية شهدها هذا الميناء إبان ازدهاره وكونه الميناء الأول في الساحل الشرقي للجزيرة العربية.



السَّابُوْن

المَيْنَاءُ القَطِيْفِيْ القَدِيْم

السابون في كتب المؤرخين والجغرافيين العرب

ورد لهذا الاسم أكثر من رسم في الكتب القديمة للمـؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين؛ سابون بالنون، وساوين كذلك، وسايون، وسابور بالراء، ومن الواضـح أنّهـا جميعـاً مُحرَّفـة أو مُصحَّفة عن اسمٍ واحد صحيح لهذا الموضـع الجغـرافي الـذي كان ذات يوم مدينة وميناء هامّين على الخليج الفارسي.

فقد جاء في تاج العروس:

"سابون: اسمُ مَوْضِع، نَقَلَه شيْخُنا عن كتابِ الفَـرْقِ لابـن السِّيْد، وأَنْشَدَ فيه:

أَمْسَـتْ بـ(أذرُعِ أكْـبَادٍ) فَـحُـمَّ لهَـاْ

رَكْبٌ بِـ(لِيْنَةَ) أوْ رَكْبٌ بـ (سَاْبُوْناْ)"

وَعَقَّب صاحب التاج قائلاً:

"الرِّوايَةُ: أوْ رَكْبٌ بــ(سَاوِيْنَا)، كمـا هـو نَـصُّ يـاقوت في مُعْجَمِهِ، وقد تَصحَّفَ على ناسِخِ كتابِ الفَرْقِ فتأَمَّل".[١١٤]

---

[١١٤] السيد محمد مرتضى الحسـيني الزبيـدي: تـارج العـروس مـن جـواهر القاموس؛ تحقيق علي شيري (بيروت: دار الفكر ١٩٩٤م) ج١٨: ٢٧٠.

وبالرجوع إلى كتاب الفَرْق وجدت فيه ما يلي:

"وَسَاْبُوْن – بالسِّين – بَلَدٌ[115] معرُوف؛ قال ابن مقبل:

أَمْسَــتْ بـ(أذرُعِ أكْـبَاْدٍ) فَـحُـمَّ لَهَـاْ

رَكْبٌ بِـ(لِيَّةَ) أوْ رَكْبٌ بـ (سَاْبُوْناْ)"[116]

ويلاحظ أنّ رواية صاحب التاج عن صـاحب الفـرق لبيـت شعر ابن مقبل قد ورد فيها اسم الموضـع (لِيْنَـة)، في حـين إنّ محقق كتاب الفرق قد أثبتها (لِيَّة)، ولم يشر إلى وجود اخـتلاف في النسخ، ولينة بلد لا زال معروفاً يقـع جنـوب رفحـاء بمائـة كيلومتر، وغرب أم الرَّضمة بثلاثـة وتسـعين كيلـومتراً، ولِيَّـة أيضاً معروف، وهو وادٍ يقع قرب الطـائف، ولكـن كـون لينـة أقرب إلى الساحل الشرقي حيث يقـع السـابون، فـالأقرب أنّ

وأرى أنّ رواية صاحب كتاب الفَرْق هي الصحيحة، والتصحيف وقع عند ياقوت في معجمه كما سنرى.

[115] وفي نسخة أخرى وردت: "موضع" بدلاً من "بلد" كمـا أشـار محقـق كتاب الفرق في الهامش.

[116] عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي: الفَرق بين الحـروف الخمسـة؛ تحقيق علي زوَين (بغداد: وزارة الأوقاف والشئون الدينية دت) الصفحة ٦٤٠.

الرواية الصحيحة هي لينة والله أعلم.

وفي ديوان تميم بن أبيّ بن مقبل (توفي بعد ٣٧هـ) ورد قوله عن حبيبته:[١١٧]

أَمْسَتْ بِـ(أَذْرُع أَكْبَادٍ) فَحُـمَّ لَهَـا
رَكْبٌ (بِلِينَةَ) أوْ رَكْبٌ (بِسَاوِينَا)

وقد أفاد محقق ديوانه بأنّ هـذه القـراءة هـي الـتي وردت في المخطوط الوحيد لديوان ابن مقبل، ولكنه أشـار إلى اخـتلاف القراءات لهذا البيت في عدة مصادر أخرى ذكرته،[١١٨] وما يعنيني فيه هو لفظة (بساوينا) التي مرَّ بنا قبل قليل قراءة ابن السـيد البطليوسـي (تـوفي ٥٢١هــ) لهـا في كتابـه الفَـرْق علـى أنهـا (بسابونا) بالباء الموحدة، وليس (بساوينا) بالنون، وذكـر محقـق ديوان ابن مقبل أنها وردت (بسابونا) بالباء الموحـدة أيضـاً في

---

[١١٧] تميم بن أبيّ بن مقبل: ديوان ابن مقبل؛ تحقيق عزة حسن (بيروت: دار الشرق العربي ١٩٩٥م) الصفحة ٢٢٦.

[١١٨] تميم بن أبيّ بن مقبل: ديوان ابن مقبل؛ تحقيق عزة حسن (بيروت: دار الشرق العربي ١٩٩٥م) الصفحة ٢٢٦؛ هامش (٥).

كتاب الجبال والأمكنة للزمخشري (توفي ٥٣٨هـ).[١١٩]

وهو صحيح، ففي هذا الكتاب قال عند الحديث عن (لِيَّـة) القريبة من الطائف:

"لِيّة: موضع؛ قال ابن مقبل:

ركبٌ بـ(لِيّة) أو ركبٌ بـ(سابونا)"[١٢٠]

فهو موافق لابن السيد البطليوسي المعاصر له مما يدل على أنهما اطلعا على نسخة لديوان ابن مقبل ورد فيها الاسم (سابون)، وليس كالنسخة التي اطلع عليها ياقوت، والتي ورد فيها اسم هذا الموضع (ساوين) لأنه دونه بهذا الرسم في ثلاثة مواضع،[١٢١] ومع ذلك، فإنني أرى أنّ الصحيح هي رواية

---

[١١٩] تميم بن أبيّ بن مقبل: ديوان ابن مقبل؛ تحقيق عزة حسن (بيروت: دار الشرق العربي ١٩٩٥م) الصفحة ٢٢٦؛ هامش (٥)، وقد أحال المحقق إلى الصفحة ٩٥ من طبعة النجف الأشرف، وسمى الكتاب (الجبال والأمكنة والمياه).

[١٢٠] محمود بن عمر الزمخشري: كتاب الجبال والأمكنة والمياه (ليدن: مطبعة بريل ١٨٥٥م)؛ الصفحة ١٤٢.

[١٢١] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار إحياء التراث

النسخة التي اطلعَ عليها ابن السيد البطليوسي والزمخشري أي (بسابونا)، فساوين الموضع لم يذكره أحد من البلدانيين كموضع سوى ياقوت الحموي نفسه(توفي ٦٢٦هـ)، ومصدره فيه كان هذه النسخة من ديوان ابن مقبل فقط، ولهذا نراه يقول في رسم [ساوين] ما هذا نصه:

"ساوين؛ بعد الألف واو مكسورة ثم ياء مثناة من تحت، وآخره نون: موضع في قول تميم بن مقبل"[١٢٢]

ثم ذكر البيت كما هو في الديوان المطبوع، وعن ياقوت نقل الزبيدي في التاج في رسم (ساوين)، فقال:

"سَاوِينُ: موْضِعٌ في قوْلِ ابنِ مُقْبل:

ركبٌ بلية أَو ركبٌ بساوينا"

ثم عقب قائلاً بعده:

العربي ١٩٧٩م)؛ ج١: ١٣١؛ رسم [أذرع أكباد]، وج١: ٢٣٩؛ رسم [أكباد]، وج٣: ١٨٠؛ رسم [ساوين].

[١٢٢] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٩٧٩م) ج٣: ١٨٠.

"هكذا هو في كتابِ المعْجمِ لياقوت، رحِمَه الّلهُ تعالَى، وأَنْشَدَه ابنُ السيِّدِ في الفَرْقِ: أو ركب بسابونا، وقد تقدَّمَ في سَبَنَ"[123]

أي الذي نقلته عنه في أول هذا الكلام، وهذا يعني أنّ مصدر القول بأنّ ساوين موضع هو شعر ابن مقبل فقط، وقد عرفنا الآن أنّ لشعره هذا رواية أخرى ورد فيها اسم هذا الموضع (سابون) بدلاً من (ساوين)، وعلى عكس ساوين الموضع الذي لم يذكر سوى في شعر ابن مقبل، فإنّ السابون ذكر في أكثر من مصدر تاريخي وجغرافي كما سنرى بعد قليل، وعليه فالأقرب للصواب هو أنّ ابن مقبل قال السابون كما في روايتي ابن السيد البطليوسي والزمخشري، وليس الساوين الذي يبدو أنه أحد المواضع التي لا وجود لها في شبه الجزيرة العربية، وأنه قد تسرَّب إلى كتب معاجم البلدان واللغة بسبب التحريف والتصحيف في الشعر العربي القديم.

---

[123] السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تارج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق علي شيري (بيروت: دار الفكر ١٩٩٤م) ج١٨: ٣٠٧.

ومما يؤيد قولي هذا أيضاً هو أنّ هذا البيت لابن مقبل ورد في معجم ما استعجم للبكري في رسم أذرع بهذه الصورة:

أَمْسَتْ بِـ(أَذرُع أَكْبَادٍ) فَحُمَّ لَهَا
رَكْبٌ (بِلِينَةَ) أوْ رَكْبٌ (بِسَايونَا)

هكذا بالياء المثناة كما قال محقق المعجم في الهامش؛[١٢٤] إلا أنه غيرها إلى "ساوينا" في الأصل اعتماداً على معجم البلدان لياقوت وعلى إحدى قراءتي تاج العروس المارتين بنا هنا مع اعترافه أنها وردت في جميع الأصول المخطوطة التي لديه لكتاب البكري "سايونا"، وبالفعل فقد ذكرها البكري بهذا الرّسم في ثلاثة مواضع هي (أذرع)، و(سايون)، و(لِيّة)، وما رأيته عرَّف (سايون) هو الآخر إلا بقوله عنه هو موضع بين (لِيّة) و(اليمن)، وما أراه أخذ ذلك إلا من بيت ابن مقبل لأنه ذكر قبل هذا البيت ما يفيد أنهم كانوا متجهين لليمن، ولا أرى أيضاً أنه يوجد موضع بين لِيّة واليمن يدعى

---

[١٢٤] عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع؛ تحقيق مصطفى السقّا (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٣م) ج١: ١٣١؛ هامش (٢).

(سايون)؛ بل لا أرى أنه يوجد في شبه الجزيرة كلها موضع بهذا الاسم، وأرى أنّ (سايون) هذه ما هي إلا تصحيف (سابون) أيضاً.

وها نحن نلاحظ أنّ اسم (السابون) قد وقع فيه التصحيف والتحريف كثيراً في المصادر القديمة التي ذكرته تارة باسم (السرايون)، وتارة باسم (الساوين)، ومرّة باسم (السايون)، وأخرى باسم (السابور) لذلك لا تثريب على أستاذنا الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- أنه اختار لهذا الموضع رَسْم (السابور) بدلاً من (السابون) في المعجم الجغرافي الخاص بالمنطقة الشرقية،[١٢٥] فالشيخ حمد وجده كذلك في المطبوع من معجم البلدان للحموي،[١٢٦] الذي نراه يقول في الحديث عن البحرين: **"وفتحَ العَلاءُ السَّابور ودارين في خلافة عُمَرَ عُنوَة"**، وهي

[١٢٥] حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية / قسم المنطقة الشرقية؛ رسم (السابون)، وإن كان الشيخ لم يستبعد أن يكون للاسم علاقة بـ(السابون) كما في آخر كلامه في رسم (السابور).

[١٢٦] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٩٧٩م)؛ ج١: ٣٤٩.

جملة اقتبسها الحموي عن البلاذري في كتابه (فتـوح البلـدان)، ولكنّ نصّ هذه الجملة ورد في المطبـوع مـن كتـاب الـبلاذري كما يلـي: **"وفـتحَ العَـلاءُ السَّـابون وداريـن في خلافـة عُمَـرَ عُنوَة"**، فهي بالنون وليست بالرّاء.

نعـم ورد هـذا الموضـع باسـم (السـابور) في بعـض نسـخ (مختصر كتاب البلدان) لابن الفقيه (توفي نحو ٣٤٠هــ)، وهـي النسخة التي اتخذت أصلاً لطبعة (ليدن)؛ حيـث جـاء فيهـا في الكلام على البحرين وقراها:

"وهيَ الخطُّ، والقَطيفُ، والآرَةُ، وهَجَرُ، والبَيْنُوْنَةُ، والـزَّاْرَةُ، وجُوَاْثا، وَالسَّابُوْرُ، ودَاْرِيْنُ، وَالغَاْبَةْ".[١٢٧]

ولكنَّ محقق هذه الطبعة أشار في الهامش إلى وجود اخـتلاف بين النسخ التي لديه حول (السـابور)، وذكـر أنّ هـذه اللفظـة وردت: (السرايون) في نسخة، وفي أخرى وردت الكلمة ذاتهـا ولكن بدون نقطتي الياء، وواضح من وجـود حـرف النـون في

[١٢٧] أحمد بن محمد الهمذاني = ابن الفقيه: كتـاب البلـدان (ليـدن: مطبعـة بريل ١٣٠٢م) الصفحة ٣٠.

آخرها أنها محرفة عن (الســابون) أكثـر منهـا عــن (الســابور) التي أرى أنها هي الأخرى محرفة عن السابون، فمـا هــو إلا أن تزال نقطة النون حتى تصبح السابون السابور.

وفي رسم (سابور) من معجم البلدان قال الحمـوي بعـد أن انتهى من ذكر ترجمة المدينة الفارسية المعروفة بذات الاسم:

"وسَابورُ أيضا: موضعٌ بالبحرين فُتحَ على يـدِ العَـلاء بـن الحَضْرَميّ فيْ أيّام أبى بكر - رضي الله عنـه - عُنـوة في سـنة ١٢، وقال البلاذري: فتح في أيام عمر رضي الله عنه".

وها هو ياقوت يعود، فينسب إلى الـبلاذري (تـوفي ٢٧٩هــ) تسميته لهذا الموضع بـ(السابور)؛ مع أنني قد ذكرت أنّ ما هــو مطبــوع مــن (فتــوح البلــدان) للــبلاذري ورد فيــه الاســم (السابون) بالنون وليس (الســابور) كمـا رسمـه يـاقوت، وقـد كُتبَ مَرّتين بالنون، ونصٌّ ما ورد عند البلاذري هو قوله:

"فأقامَ العَلاءُ عَلَى الزَّارَةِ، فَلمْ يفتحها في خِلافـةِ أبــيْ بكــرٍ وفتحها في أوَّلِ خِلافَةِ عُمَر، وَفَتَحَ العَلاءُ السَّــابُوْنَ وَدَارِيْــنَ في خِلافةِ عُمَر عُنْوَةً، وهناك موضعٌ يُعرَفُ بخَنْدَقِ العَلاءْ.

وقالَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى:[128] **غزا العلاءُ بعَبدِ القَيْسِ قُرَى مِن السَّابُوْن فِيْ خِلافةِ عُمَرِ بنِ الخطَّاب ففتَحَهَا، ثُمَّ غَزَا مدينةَ الغَاْبَةِ فَقَتَلَ مَنْ بهَا مِن العَجَمْ، ثمَّ أتَىْ الزَّاْرَةَ وَبهَا المُكَعْبرُ فَحَصَرَهْ"**[129]

ويبدو لي أنّ جملة: **"غَزَا العَلاءُ بعَبدِ القَيْسِ قُرَىْ مِن السَّابُوْن"**؛ صحتها هو **"غَزَا العَلاءُ بعَبدِ القَيْسِ قُرَىً مِنْهَا السَّابُوْن"**، وأياً كان الأمر، فالذي يعنيني هنا هو أنّ هذا الموضع كُتب في فُتوح البلدان (السَّابُون) فِيْ كِلَيْ الموضعين اللذين ذكر فيهما من هذا الكتاب، وفي غير طبعة منه أيضاً وليس (السابور)، فلا أعرف مصدر ياقوت الناقل عنه في جعله إياه (السابور) إلا إن كان لديه نسخة قديمة من كتاب الفتوح ورد فيها اسمه (السابور) أيضاً، أو أنه فعل ذلك لرؤيته له كذلك في إحدى نسخ كتاب البلدان لابن الفقيه كما سبق ورأينا.

---

[128] معمر بن المثنى هو المؤرخ والأديب الشهير المعروف بأبي عبيدة.

[129] أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان؛ تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م) ج١: ١٠٣ – ١٠٤.

وهو كذلك أيضاً في طبعة لوكدوني ١٨٦٦؛ انظر الصفحة ٨٥.

وقد ذُكرت السابون بالنون في آخرها في المطبوع من كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (توفي نحو ٢٨٠هـ) الذي عدها من قرى البحرين، وإن كان المحقق قد أشار إلى ورودها بلفظ "سايون" في نسخة أخرى، وهي ذات اللفظة التي رأيناها عند البكري، ورجحتُ تصحيفها عن (سابون)، ويقول نصُّ ابن خرداذبة:

"قُرَى البَحْرَيْن، وَهيَ الخَطُّ، وَالقَطِيْفُ، وَالآرَةُ، وَهَجَر، وَالفُرُوْقُ، وَبَيْنُوْنَةُ، وَالُمشَقَّرُ، وَالزَّارَةُ، وَجُواْثاْ، وَسَاْبُوْنُ، وَدَاْرِيْنُ، وَالغَاْبَةُ، وَالشَّنُوْنْ".[١٣٠]

وورد اسم هذا الموضع بالنون أيضاً في المطبوع من كتاب (أحسن التقاسيم) للمقدسي (توفي ٣٨٠هـ) الذي قال عن هجر:

"وأما هَجَرُ فقَصَبَتُهَا الأَحْسَاْءُ، وَمُدُنُهَا: سَاْبُوْنُ، الزَّرْقَاْءُ،[١٣١]

[١٣٠] بتصرف عن عبيد الله بن عبد الله = ابن خرداذبة: المسالك والممالك (بيروت: دار صادر دت مطبوعة بالأوفست عن طبعة بريل – ليدن ١٨٨٩م) الصفحة ١٥٢.

[١٣١] يوجد عند مدخل شبه جزيرة قطر غرب ميناء امسيعيد بخمسة عشر

أوَاْلُ، العُقَيْر".[١٣٢]

ثم وردَ في موضع آخر عن الأحساء:

"وبهَا مُسْتَقَرُّ القَرَاْمِطَةُ مِنْ آلِ أبيْ سَعِيْدٍ، ثَمَّ نَظَـرٌ وَعَـدْلٌ غَيْرَ أنَّ الجَاْمِعَ مُعَطَّلٌ، وَبالقُرْب خِزَاْنَةُ المهْدِيِّ، وَخَـزَاْئِنُ أُخَـرُ لهُمْ ايْضَاً، فَبَعْضُ الأمْوَاْلِ بتِلْكَ وَبَقِيَّتُهُ فيْ خَزَاْئِنِهِمْ، وَالزَّرْقَـاْءُ وَسَاْبُوْنُ فيْ خَزَاْئِنِهِمْ".[١٣٣]

كيلومتراً موضع يُـدعى الزرقـاء فيـه بعـض البسـاتين، ولعلـها هـي الزرقـاء المذكورة هنا، ففي الخارطة العائدة للقرن الخـامس الهجـري الملحقـة صـورتها بآخر هذا البحث نجد أنّ صانعها قد وضع السـابون إلى الجنـوب مـن جزيـرة أوال البحرانية وإلى الشمال من صحار العُمانية، وموضـع الزرقـاء القطريـة هذه هو كذلك، ولعل اسمها في السابق كان يتسع حتى يصل إلى البحر حيـث ميناء امسيعيد الآن، وهو ما يفسر قرنها في نص المقدسـي مـع أوال والعُقـير والسابون التي هي مواضع بحرية أو ساحلية.

[١٣٢] محمد بن أحمد المقدسي البشاري: أحسن التقاسـيم إلى معرفـة الأقـاليم (ليدن: مطبعة بريل ١٩٠٦م)؛ الصفحة ٧١.

[١٣٣] محمد بن أحمد المقدسي البشاري: أحسن التقاسـيم إلى معرفـة الأقـاليم (ليدن: مطبعة بريل ١٩٠٦م)؛ الصفحة ٩٤.

وقد ورد اسمه السابون بالنون أيضاً عند الإدريسـي في كتابـه أنـس المهـج وروض الفرج (الصفحة ٥٤).

وأخيراً، وهو ما يقطع الشك باليقين هو رسم هذا الاسم بالنون في خارطة يرقى تاريخها إلى القرن الخامس الهجري، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

المدينة الميناء

وكما رأينا من الخبر الذي أورده البلاذري في كتابه (فتوح البلدان) أنه كان للسابون ذكر في أخبار الفتوح الأولى لعصر الإسلام، ويبدو من هذا الخبر أنه كان مدينةً خطيرة كان لها أهمية كبرى مما حدا بعبد القيس، وهم سكان المنطقة وأعرف الناس بها أن يحضُّوا العلاء بن الحضرمي على الاهتمام بفتحها وضمها إلى الدولة الإسلامية، وهذه الأهمية لهذه المدينة والميناء تتضح جلياً من عدِّ أوائل الجغرافيين المسلمين لها على أنها واحدة من أهم مدن البحرين القديمة كما رأينا في نصوص ابن خرداذبة وابن الفقيه والمقدسي.

أين تقع مدينة السابون الآن؟

لقد مرَّ بنا رواية البلاذري عن أبي عبيدة عامر بن المثنى عندما قال:

"غزا العلاءُ بعَبدِ القَيْسِ قُرَى مِن السَّابُوْن فيْ خِلافةِ عُمَرِ بنِ الخطَّاب ففتَحَهَا، ثُمَّ غَزَا مدينةَ الغَاْبَةِ فَقَتَلَ مَنْ بهَا مِن العَجَمْ، ثمَّ أتَىْ الزَّاْرَةَ وَبهَا المُكَعْبرُ فَحَصَرَهْ".

ويبدو من سياق النصّ أنّ فتح هذه المدن كان متسلسلاً حسب ورود أسمائها في النصّ بدلالة استخدام حرف العطف (ثمّ) الذي يفيد التعاقب، ومنه يتضح لنا أنّ العلاء قد بدأ بفتح السابون ثم توجه إلى الغابة ففتحها، ثم توجه إلى الزارة عاصمة القطيف ففتحها بعد فتح الغابة، ونحن نعرف موضع الزارة القديمة حتى الآن حيث إنها كانت تقع شمال التلّ المعروف بجبل الحريف مباشرة، وإلى الشرق من قرية العوامية الآن عند مدخل هذه القرية، وأما الغابة فأرجح أنها هي ما يعرف الآن بالغبيبة - وهو فيما يبدو تصغير الغابة المعنية - وتقع الغبيبة شمال غرب صفواء بميلين تقريباً، وشمال شرق أم الساهك بميل واحد، ويمر بها الشارع السريع المتجه من الدمام إلى الجبيل، فإذا عرفنا ذلك، فإننا نستطيع القول إنّ موضع مدينة السابون ومينائها يقعان إلى الشمال من موضع الغبيبة (الغابة) هذه لأننا قلنا إنّ فتح هذه المدن الثلاث الواردة في

نصّ البلاذري كان متسلسلاً حسب ورود أسمائها في النصّ أي أنّ العلاء قد توجه إلى شمال واحات القطيف لفتح السابون الواقعة هناك، ثم توجه منحدراً جنوباً إلى موضع الغابة أو الغبيبة التي حددناها، وبعد أن فتحها توجه إلى الزارة الواقعة شرق قرية العوامية، ففتحها أيضاً.

وليس هذا فحسب، فقد أهدى لنا الرّشاطي في كتابه (اقتباس الأنوار في أنساب الصحابة ورواة الآثار) نصاً يثبت أنّ السابون هي مدينة بحرانية ساحلية، فقد ورد في هذا النصّ أنّ عثمان بن أبي العاصي الثقفي الذي كان والياً على البحرين من قبل الخليفة عمر بن الخطاب أراد أن يقطع مع مسلمي البحرين من عبد القيس البحر إلى إصطخر الواقعة داخل البرّ الفارسي إلى الشمال الشرقي من واحة القطيف لملاقاة الملك الساساني يزدجرد بن شهريار الذي كان متحصّناً فيها، وكان من ضمن ما ورد في هذا النصّ قوله عن عثمان بن أبي العاصي:[١٣٤]

---

[١٣٤] حمد الجاسر: بنو عامر في البحرين (مجلة العرب الجزءان السابع والثامن؛ س ٢٤؛ محرم / صفر لعام ١٤١٠هـ)، وهو ينقله عن مختصر كتاب

"فَنَهَضَ وَنهضُوْا معَهُ إلىْ السَّابُوْر؛[135] مَديْنةٍ بسَاحِلِ البَحْرِ، فَهَالَ عُثْمانَ ضَجيْجُ البحْرِ، فجَمَعَهُمْ وَقالَ: هَذا شَيْءٌ مَا رَكبْتُهُ قَطّ، وَقـدْ أزْمَعْـتُ أنْ أسْـتَعْمِلَ عَلـيْكُمْ رَجُـلاً مِـنكُمْ يَصْـلُحُ لِذلكَ، فَتَنَافَسُوْا فيْ ذلِك، فَوَجَّهَ عُثْمَانُ إلى سَوَّارٍ: مَنْ سَيِّدُ عَبدِ القَيْسِ؟؛ قَالَ: أنا، وَقَالَ حَسّـانُ بـنُ حُـدَيرٍ مِثْلَـه، فَخَـلا بكُـلٍّ مِنْهُمَا، فَقَالَ: مَنْ بَعْدَكَ سَيِّدُهُمْ؟، فَأجَمَعَا عَلَىْ هَرِمِ بـنِ حَيَّـانِ بنِ مَالكِ بنِ سَلَمَة بـنِ عَمْـروٍ بـنِ عَبْـدِ وُدٍّ بـنِ ثعْلَبَـة بـنِ الحارثِ بنِ أنمارْ، وَثعْلَبَةُ بنُ الحـارِثِ بَطْـنٌ فيْ بَـنِي عَـامِرِ بـنِ

(اقتبـاس الأنـوار والتمـاس الأزهـار في أنسـاب الصـحابة ورواة الآثـار) للبلبيسي.

[135] كذا وردت في مصدري، وهو بحث الشيخ حمد الجاسر المنشور في مجلتـه (العرب)، وكتاب الرشاطي (اقتباس الانوار والتمـاس الازهـار فـى انسـاب الصحابة ورواة الاثار) لا توجد منه نسخة كاملة، ومختصـره للبلبيسـي لـيس بحوزتي لكي أتأكد من رسم الاسم فيه، والذي لـدي مـن مختصـراته نسـخة ناقصة الأول والآخر مصورة عـن النسـخة الـتي تحـتفظ بهـا مكتبـة الأزهـر الشريف تحت الرقم : ٣٠٢٦٦٤، وعدد أوراقها: ٢٠٩ورقات، يبدو أنّ مختصـرها هو ابو على الحسين بن محمد بن احمد الغسـانى الاندلسـى الجيـانى المتـوفى سنة ٤٩٨هـ كما في ورقة التعريـف بـالمخطوط الـتي وضـعها القـائمون علـى المكتبة، ولكنني لم أجد فيها هذا النص، فلعله مما فقد من هذه النسخة.

الحَارثْ، فَاسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهِم".

لقد أهدى لنا الرشاطي وهو أندلسي ما لم يهده لنا المشارقة في هذا النص، وهو تعريفنا بأنَّ السَّابُون كانت مدينة ساحلية، وواضح من سياق النص أنها كانت في بلاد عبد القيس من البحرين، وقد مرَّ بنا للتوِّ أنها كانت تقع شمال القطيف.

ولكي تتضح لنا الصورة أكثر بعد تحديد منطقة البحث وحصرها شمال القطيف نقول إن عثمان بن أبي العاصي الثقفي[١٣٦] – وليس العاص كما ورد في النص – كان والياً على البحرين، وكان الوالي عليها قبله العلاء بن الحضرمي

[١٣٦] أرى أن عثمان بن أبي العاصي الثقفي هذا ربما يكون هو مع أخويه المغيرة وحفص اللذين كانا معه في البحرين – وفق البلاذري – هم أصل الأسرة القطيفية الشهيرة المعروفة بآل سنبر الثقفية، والتي كان لها شأن خطير في إدارة الدولة القرمطية التي قامت في إقليم البحرين القديم في الربع الرابع من القرن الثالث الهجري حيث نسب المسعودي أحدَ زُعمائهم، وهو الحسين بن علي بن سنبر على أنه ثقفي (انظر؛ علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف (بيروت: دار صعب دت) الصفحة ٣٣٣).

ولا نعلم أحداً من المؤرخين ذكر لثقيف سكناً في إقليم البحرين إلا أن يكونوا من نسل عثمان بن أبي العاصي هذا أو أخويه.

الذي كان واليا على القطيف كما ذكر ذلـك الـبلاذري،[١٣٧] ولا يستبعد أن يكون عثمان بن أبي العاصي الثقفي الذي استُبدل العلاءُ بـه قـد فعـل الشـيء ذاتـه لأن القطيـف كانـت أكثـر استراتيجية من هجر في تلك الحقبة لوقوع الأولى على البحر مباشرة، وكانوا حينها في بدايـة حـربهم مـع الدولـة الفارسـية الواقعة على الضفة المقابلة من الخليج، فكانوا يحتاجون إلى أن يكون سكنهم بقرب البحر، ولم يكن ثمة مدينة متكاملة حينهـا على ساحل البحر الشرقي للجزيرة العربية سوى القطيف.

وما يهمني أنْ أوضـحه هنـا هـو أن الأمـر حـين صـدر مـن الخليفة عمر إلى واليه على البحرين عثمان بن أبـي العاصـي بالتوجـه إلى محاربـة ملـك الفـرس يزدجـرد الـذي تحصـن في إصطخر – وهي مدينة كانت تقـع إلى الشـمال الشـرقي مـن شيراز[١٣٨] – فهذا يعني أنه توجَّب على عثمان بن أبي العاصي

[١٣٧] أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان؛ تحقيـق صـلاح الـدين المنجد (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م)؛ الصفحات ٩٩ – ١٠٠.

[١٣٨] را. الخارطة رقم (٦) في نهاية البحث.

أن يمضي إلى موضع ساحلي يقع شمال واحات القطيف ليصل منه إلى الضفة الأخرى من الخليج الفارسي للوصول إلى مدينة إصطخر الواقعة إلى الشمال الشرقي من القطيف بأكثر من خمسمائة كيلومتر، فكان أن سار بالجيش إلى السابون الميناء والمدينة الساحلية الواقعة للشمال من القطيف، ولا شك أنّ الذي أخبره باستراتيجية هذه المدينة والميناء الساحلي هم عبد القيس الذين هم أصحاب البحرين وقراها، وفي الوقت ذاته كانوا من أخبر الناس بمدن فارس في ذلك الحين بحكم صلات التجارة بينهم وبين بلاد فارس، ولا ننسى أنَّ قسماً كبيراً منهم سكن في الأراضي الفارسية كتوّز (توج) من قديم الزمان.[١٣٩]

فلا شك لدي أنّ زعماءَ عبد القيس قد اقترحوا على عثمان بن أبي العاصي أن يعبروا لأرض فارس عن طريق البحر وهو أمر اعتيادي جداً لعبد القيس المعتادين على خوض الخليج إلى البر الآخر في فارس، كما إنه لا شك أنهم عرفوا

---

[١٣٩] العبديون الذين سكنوا توج أو توز من بلاد فارس كانوا بنو اللبؤ بن عبد القيس، وكان سكنهم إياها من قديم الزمان كما ذكر ذلك ابن دريد (الاشتقاق؛ بيروت: دار الجيل ١٩٩١م؛ الصفحة ٣٢٤).

بحكم خبرتهم البحرية أن أفضل نقطة في بلادهم البحرين إلى البر الفارسي تقع إلى الشمال من القطيف، فهم كانوا متوجهين إلى إصطخر القريبة من شيراز، وشيراز هذه مدينة داخلية تقابل المنطقة الواقعة شمال واحة القطيف، وكانت شيراز تتصل بمينائين بحريين على الساحل الفارسي للخليج هما سيراف الفرضة العظيمة لفارس وجنّابة فرضة سائر فارس على حدّ وصْف الإصطخري لهما.[١٤٠]

وأيضاً، ونظراً لكون السفن التي سوف تقوم بحمل هذا الجيش الضخم إلى بر فارس هي سفنٌ كبيرة فإن البحر الذي تطلُّ عليه القطيف هو بحرٌ ضحلٌ جداً، وتمتد ضحالته لمسافة طويلة إلى الداخل، ولم يكن مُهَيأً لمثل هذه السفن الضخمة التي لا يمكن لها أن ترسو في موانئه أبداً لضحالتها، ومن هنا كان تفكيرهم أن يقصدوا ميناءً أعمق بكثير من موانئ بحر القطيف، فيمموا وجوههم نحو الشمال إلى ميناء مدينة

---

[١٤٠] إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري: مسالك الممالك (ليدن: مطبعة بريل ١٩٢٧م)؛ الصفحة ٣٤.

السابون حيث إن ماء الخليج هناك يكون أكثر عمقاً وأبعد عن الرؤوس البرية المكتنفة لبحر القطيف، وهو ما جعل الموج هناك يَهدرُ هديراً مرعداً أرعب قلب عثمان بن أبي العاصي الذي لم يرَ مثل ذلك في بحر القطيف، فهاب اقتحام البحر لأجل ذلك، وهو ليس بمستغرب فالبحر في القطيف هو عبارة عن خليج هادئ جداً لا تهيجه الرياح العاتية، وذلك بسبب ضحالته كما ذكرت أولاً، ثم لوجود رأس بري شهير يعرف اليوم برأس تنورة يمتد داخل البحر بمسافة ٢٤ كيلومتراً شمال، وشمال شرق القطيف محيطاً بساحلها، ليكون بمثابة مصدّ طبيعي لكسر الأمواج الشمالية العاتية عن بحر القطيف، ثم إن وجود جزيرة كبيرة مثل جزيرة تاروت وبضع جزر صغيرة أخرى في وسط بحر القطيف كل ذلك لم يجعل عثمان بن أبي العاصي يرى أمواجاً هادرة في هذا البحر، الأمر الذي كان بخلافه في الشاطئ المفتوح الواقع إلى الشمال من هذا الرأس أي رأس تنورة، فالبحر هنالك مفتوح وعميقٌ لا تعكره وجود الجزر الكبيرة أو الرؤوس البرية الداخلة في البحر، ولهذا كان ميناء السابون الواقع شمال واحة القطيف أكثر عمقاً، والأصلح

لرسو السفن الكبيرة فيه لتحملـهم مـع خيـولهم وأسـلحتهم وكل عدتهم إلى الضفة الأخرى، ولهذا السبب أيضاً كان قصد عبد القيس للسابون.

فعلى هذا يتضح لنا أن السابون تقـع علـى السـاحل شمـال واحة القطيف؛ عند نقطة من الضفة الغربية للخليج يمكن أن تنطلق منهـا سـفن الجـيش الإسـلامي إلى أقـرب نقطـة علـى الضفة الشرقية منـه تكـون مناسـبة لمواصـلة سـيرهم بـراً في الأراضي الفارسية حتى مدينة إصطخر التي كـان يـربط بينهـا وبين البحر طريق يمرُّ بشيراز التي قلـتُ إنهـا تـرتبط بـالبحر عبر مينائين فارسيين عظيمين هما سيراف وجنابـة،[141] فبمـا أنّ انطلاقهم كان من نقطة على الساحل الغربـي للخلـيج تقـع شمال القطيف، ووجهتهم هي نحو إصطخر، فإنّ النقطة الواقعـة على الساحل الشرقي من الخليج، والمواجهة لنقطة انطلاقهـم علـى السـاحل الغربـي منـه لا بـد أن تكـون أحـد الميـنـائين

[141] ذكر الإصطخري (مسالك الممالك؛ طبعة ليدن ١٩٢٧م؛ الصفحات ١٢٨، ١٣٠) محطات الطريق بين شيراز وسيراف، وبين شيراز وجنابة، فراجعه هناك.

الفارسيين سيراف أو جنابة.[١٤٢]

وتُعرف سيراف الآن بـ(بندر طاهري)،[١٤٣] وهي تقع متوازية على الضفة الشرقية للخليج مع الرأس الشهير باسم (أبو علي) على الضفة الغربية منه، و(رأس أبو علي) يقع شمال عينين المعروفة الآن بـ(الجُبيل) مباشرة؛ في حين إنّ جنابة لا زالت معروفة باسمها هذا حتى الآن، ولكن الإيرانيون ينطقونه (جنافة) بالفاء الفارسية التي تشبه في نطقها حرف (v)

---

[١٤٢] أجمع كلٌّ من ابن خرداذبة (المسالك والممالك؛ ليدن ١٨٨٩م؛ الصفحة ٤٧)، والإصطخري (مسالك الممالك؛ ليدن ١٩٢٧م؛ الصفحة ١٣٠)، وابن الفقيه (البلدان؛ بيروت ١٩٩٦م)؛ الصفحة ٤١٠) على أنّ المسافة بين إصطخر وشيراز هي اثنا عشر فرسخاً، والفرسخ ثلاثة أميال، فيكون ما بينهما هو ٣٦ ميلاً أي ما يعادل ٥٨ كيلومتراً؛ في حين ذكر الإصطخري أنّ المسافة بين شيراز وسيراف هي ٦٠ فرسخاً (مسالك الممالك؛ الصفحة ١٣٤) أي ما يعادل ١٨٠ ميلاً (٢٩٠ كيلومتراً)، وعليه تكون المسافة الكاملة التي سيقطعها المسلمون في البر الفارسي للوصول من سيراف إلى إصطخر هي ٣٤٨ كيلومتراً تقريبا؛ كما ذكر أنّ المسافة بين شيراز وجنابة هي ٤٤ فرسخاً أي ما يعادل ٢١٢ كيلومترا تقريباً، وعندها تكون المسافة بين إصطخر وجنابة ٢٤٨ كيلومترا.

[١٤٣] آغا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (بيروت: دار الأضواء دت) ج٥: ٢٣.، وانظر الخارطة رقم (٦) في آخر البحث.

اللاتيني، وهي مقابلة لجزيرة (خارك) المسماة الآن (خَرْج) لدى الإيرانيين وسكان الخليج عموماً؛ تماما كما وصفها الجغرافيـون المسلمون الأوائل.

قراءة في خارطة قديمة ذُكرت فيها السابون

إن ما توصلنا إليه حتى الآن مـن كـون جـيش عبـد القـيس الذي كان متوجهـاً إلى إصـطخر عـن طريـق السـابون هـو أنّ السابون الواقعة على الساحل الغربي للخليج إما أنها كانـت تقابل ميناء سيراف المعـروف الآن بـــ(بندر طـاهري) أو مينـاء جنابة المعروف بالاسم ذاته حتـى الآن، وكلاهمـا يقعـان علـى الساحل الشرقي للخليج؛ أي أنّ السـابون لا بـد وأن تقـع في المنطقة الساحلية المحصورة بـين الـرأس المعـروف الآن بـرأس تنورة شمال القطيف وبين كاظمة التي تُعـد آخـر حـدود إقلـيم البحـرين مـن الشـمال، والواقعـة الآن ضـمن حـدود دولـة الكويت.

وتتيح لنا خارطة يحتفظ بها المتحف البريطاني، ويُظـن أنهـا

عُملت في بغداد في القرن الخامس الهجري للجزيرة العربية،[١٤٤] التعرف أكثر فأكثر على موضع السابون في الساحل الشرقي للجزيرة العربية.

وأغلب الظن أنّ صانع هذه الخارطة هو الجغرافي المقدسي البشاري صاحب كتاب أحسن التقاسيم، وهذه الخارطة للجزيرة العربية دُوِّن فيها أهم المدن العظمى مثل مكة والمدينة وصنعاء، ومدن البحرين التي كانت في ذلك العصر يرنُّ صداها في آذان كل العراقيين حكاماً وشعباً بسبب حركة الغزوات القرمطية المرعبة التي كانت تخرج منها، والتي أقضّت مضاجع العراقيين جميعاً سُلطة وشعباً.

وقد حدد واضع الخارطة من مدن البحرين في خارطته هذه هجر والأحساء وأوال فقط، ولم يذكر القطيف!، ولكنه ذكر اسم موضعين لم نكن لنحلم أبداً بأن نرى تحديداً لهما في بطون الكتب الجغرافية فضلاً عن خارطة إسلامية قد ترجع

[١٤٤] انظر:

Donald Hawley, OMAN & its Renaissance. London p. 19.

إلى القــرن الخــامس، وهــذان الموضــعان همــا (الزرقــاء) و (السابون)، والذي جعلني أرجح أن صـانع هـذه الخارطـة هـو المقدسي البشاري (توفي ٣٨٠هـ) هو أن المواضـع الـتي ذُكـرت فيها هي عينها المواضع التي ذُكرت في نص المقدسي من كتابـه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، والذي ذكرناه هنـا فيمـا سـبق، ورأينـا كيـف أنـه أعطـى عنايـة هامـة بمـدينتي الزرقـاء والسابون، واللتين يتضح من نصه هذا ومن ذكرهمـا في هـذه الخارطة دون غيرهما من مدن البحرين الشـهيرة وفي مقـدمتها القطيف مدى أهميتهما في ذلـك العصـر أي القـرن الخـامس الهجري.

وأياً كان واضع هذه الخارطة، فإنه يوجـد لـدينا الآن خارطـة وثائقية[١٤٥] تثبت لنا أن مدينة السابون تقع إلى الشمال الغربـي من جزيرة أوال غير بعيدة عنها، وبالتالي فهي إلى الشمال مـن واحة القطيف الواقعة هي الأخرى للشمال الغربي من جزيرة أوال.

---

[١٤٥] انظر الخارطة رقم (٥) في آخر هذا البحث.

ويلاحظ في الخارطة أنه لم يُرسم فيها الخليج أيضاً وإنما اكتفى بذكر موقع اسمه السحير لم تذكره أيٌّ من المراجع الجغرافية التي لدي،[١٤٦] وقد وضعه في الخارطة على أنه أحد المواضع في ما أسماه ببادية العرب، وهي الصحراء التي بين العراق و سورية، والجزيرة العربية، والتي تعرف أيضاً ببادية الشام، وواضح من الخارطة أن السُّحير هذا يقع إلى الجنوب مباشرة من البصرة، ثم وضع إلى الجنوب بقليل من السحير هذا اسم موضعنا السابون، ثم إلى الجنوب الشرقي منه اسم أوال، وقد وضع إلى جانبها دائرة مظللة، ثم كرر وضع هذا الاسم مرة أخرى وفي دائرة أخرى تقع إلى الجنوب مباشرة من الدائرة الأولى، ولعله أراد أن يكتب في هذه الدائرة قطر على اعتبار أنها شبه جزيرة أيضاً فسبق قلمه إلى كتابتها أوال مرة أخرى، وفي رأس المثلث الغربي الذي تشكل هاتان الدائرتان قاعدةً له وضع اسم هجر، وقد أحاطه بدائرة ذات ثلاثة أُطُر

[١٤٦] ذكره المقدسي باسم الحفير، وإن كان محقق كتابه (أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم) أشار في الهامش إلى أنه ورد في بعض نسخ هذا الكتاب التي كانت بحوزته باسم (السحير)، فيبدو أن السحير محرف عن الحفير.

كناية عن أهميتها في ذلك العصر، ثم وضع اسم الزرقاء إلى الجنوب الغربي من الدائرة الثانية التي قلنا أنه أراد أن يكتب فيها اسم قطر، ولا زال يوجد في هذا الموضع أرضٌ تسمى الزرقاء كما سبق وذكرت، وهي تقع الآن داخل الأراضي القطرية إلى الغرب من ميناء مُسيعيد، والذي سبق وقلت أيضاً إنه لا يبعد أنه كان في السابق هو ميناء مدينة الزرقاء ذاته.

وبعد كل هذا لم يعد لديّ أدنى شكٍ الآن في أن مدينة السابون العتيدة كانت تقع في المنطقة الساحلية الواقعة فيما بين شمال واحة القطيف إلى حدود دولة الكويت الجنوبية، ولكن يبقى السؤال قائماً أين بالتحديد موقع مدينة السابون التاريخية في هذا الجزء من الساحل الشرقي للجزيرة العربية؟، والجواب هو أنني لا أملك إجابة صريحة على وجه التحديد، ولكنني ومن خلال خبرة ميدانية وجغرافية تاريخية أرجّح موضعاً ساحلياً كان ولا زال يشكل أحد الموانىء المعروفة على الساحل الشرقي للجزيرة العربية شمال القطيف، وهذا الموضع هو السَّفَّانِيّةْ.

تقع السفانية -وهي راس بري داخل في البحر، ويحيط بخليج صغير- جنوب شرق الخفجي بـ (٣٥) ميلاً، وهي تقع بين رأسي مُنيفة جنوباً، وراس المِشْعَاب شمالا، ولا زالت عامرة حتى الآن بفضل اكتشاف أحد أكبر حقول النفط البحرية بقربها، وإذا كان هذا الجيش الإسلامي القاصد لمدينة إصطخر الفارسية قد شقَّ البحر إليها عبر أهم ثاني ميناء لفارس حينها بعد سيراف، وهو جنّابة، فإنّ السفانية من المرافئ المواجهة لهذا الميناء، ولكن ليس هذا هو كل ما جعلني أرشحها لتكون الموضع الذي كانت تقوم عليه مدينة السابون.

فالذي جعلني أرشح هذا الموضع ليكون هو السابون هو هذا التشابه اللفظي الكبير بين كلمتي (السابون) و (السفانية) خصوصاً إذا صح ما أتوقعه من أنّ حرف الباء في (السابون) هو بديل لحرف الفاء الفارسي المشابه نطقه لحرف (V) اللاتيني، والذي يُنطق بين حرفي الباء والفاء العربيين أي إنني أرى أنّ اسم (السابون) كان يُنطق (السافون) مع نطق الفاء مثلما يُنطق الحرف (V) اللاتيني أي (ASSAVOON).

والواقع أنه توجد شواهد كثيرة تدل على أنّ العـرب كـانوا يُعرِّبون هذه الفاء الفارسية - الـتي لم يكـن يوجـد لهـا حـرف مشابه في لغتهم - إلى حرف الباء، وأقرب دليل على ذلك هو الميناء (جنابة) ذاته، فهذا الموضـع ينطقـه الفـرس حتـى اليـوم (جنافه) أو (Ganaveh) كمـا هـو مـدون في خـرائطهم، ولكـنَّ الجغرافيين والمؤرخين العرب القدماء يكتبونه (جنابة).[١٤٧]

ولـدينا أيضـاً في اسـتبدال أحـد الحـرفين (البـاء) و(الفـاء) بالآخر بين العرب والفرس؛ المدينةُ الفارسية الشـهيرة (بَسَـا)، فهذه المدينة يقول عنها ياقوت الحموي في رسم (بَسَـا): "بَسَـا: بـالفتح، ويعربونهـا فيقولـون فَسَـا؛ مدينـة بفـارس ذكـرت في فَسَا"،[١٤٨] ولكنه قال في رسم (فَسَا): "فَسَـا: بـالفتح، والقصـر، كلمة عجمية، وعندهم بَسَا، وكـذا يتلفظـون بهـا"،[١٤٩] والأمـر

[١٤٧] انظر الخارطة رقم (٦) في آخر البحث.

[١٤٨] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار إحياء الـتراث العربي ١٩٧٩م) ج١: ٤١٢.

[١٤٩] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار إحياء الـتراث العربي ١٩٧٩م) ج٤: ٢٦٠.

ذاته بخصوص مدينة (فاشان) التي عُربت إلى (باشان).

ويوجد أيضاً لقب المحدث الإسلامي القديم الحافظ إبراهيم بن ديزيل الهمذاني المعروف بابن سِيْفَنَة المتوفى سنة ٢٨١هـ، فهذا المحدث أصله من مدينة هَمَذان الفارسية،[١٥٠] والأقرب أنّ حرف الفاء في لقبه (سِيْفَنَة) هو أيضاً حرف الفاء الفارسي المُشْبه لحرف (v) اللاتيني، ولهذا فقد عرّبه مترجموه العرب إلى (سِيْبَنة)؛ جاء في توضيح المشتبه:

"قال: وسِيفنة بمثقلة؛ قلتُ: هو بكسر السين المهملة وسكون المثناة تحت ثم فاء مفتوحة ثم نون مفتوحة أيضا وهي المثقلة؛ قال: ويقال: سِيبنة؛ قلتُ: بالموحدة بدل الفاء والباقي سواء؛ قال: لقب للحافظ إبراهيم ابن ديزيل الهمذاني".[١٥١]

ولدينا أيضاً ميناء سيراف الذي ذكر ياقوت الحموي أنّ اسمها

---

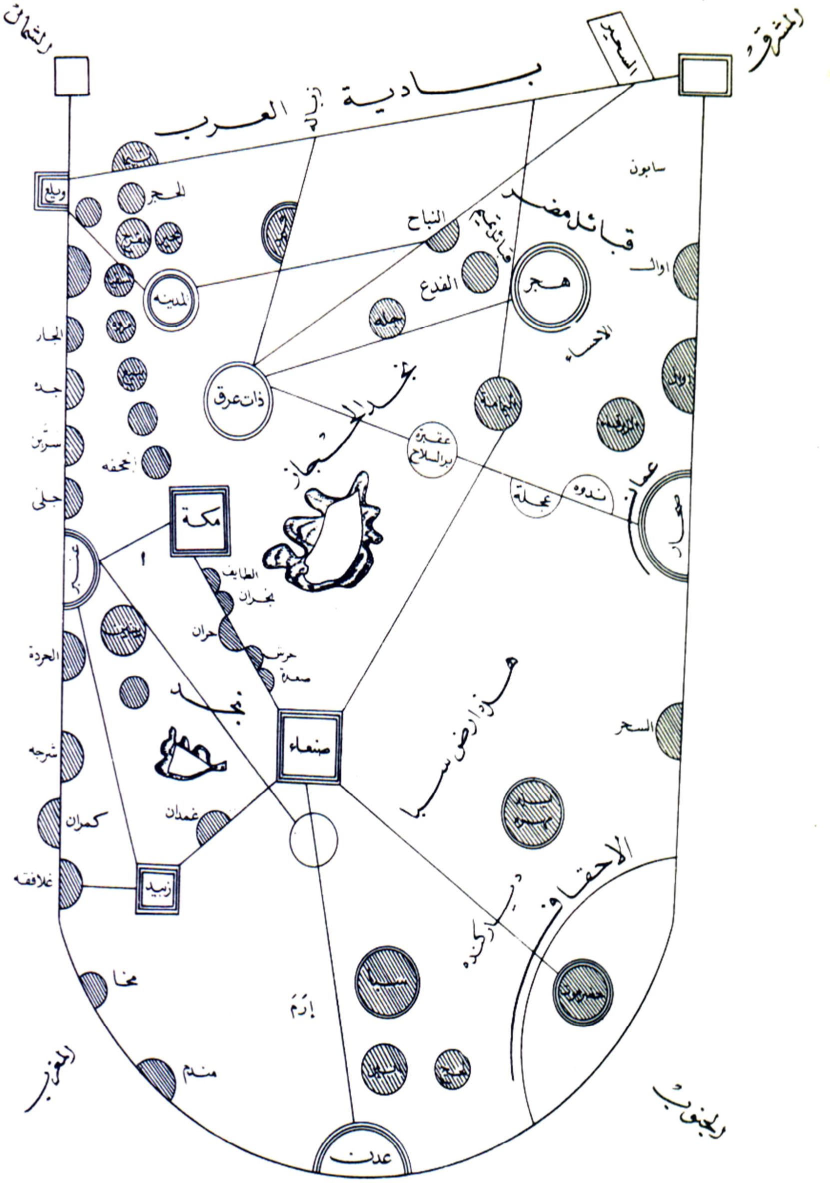
[١٥٠] عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني: الأنساب؛ تحقق عبد الله عمر البارودي (بيروت: دار الجنان ١٩٨٨م) ج٥: ٦٤٩.

[١٥١] محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي = ابن ناصر الدين: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم؛ تحقيق محمد نعيم العرقسوسي (بيروت: دار الرسالة ١٩٩٣م) ج٥: ٥٦ – ٥٧.

القديم هو (شيرآب) معللا هذه التسمية بقصة خرافية استقاها عن كتاب الفرس المعروف بـ(الأبستاق) لا يعنيني صحتها من عدمها بقدر ما يعنيني ويهمني قوله بعد ذلك إن (شيرآب) عُرِّبت إلى (سيراف) أي بتحويل حرف (ش) إلى (س)، وحرف (ب) إلى (ف)، وبالتالي فإنني أرى أنّ اسم مدينتنا (السابون) هو اسمٌ فارسي، وأنه كان يُنطق (السافون) مع مراعاة نطق حرف الفاء فيه كما يُنطق حرف (v) اللاتيني، وأرى أنّ هذه التسمية هي التي ظل سكان شرق الجزيرة العربية الأصليين يطلقونها عليها، وأن تسميتها بـ(السابون) بالباء العربية إنما تم في الكتب الجغرافية التي كتبت باللغة العربية لأنه لا يوجد في حروف هذه اللغة حرفٌ يشبه في نطقه حرف (v) اللاتيني، فرأوا أنّ أقرب حرف إليه هو حرف الباء، فأبدلوه به، فصارت تُكتب (السابون) بالباء العربية، ولكن السكان الأصليين في رأيي ظلوا ينطقونه (السافون) بالفاء الفارسية حتى تحول في وقتنا هذا إلى السفانية.

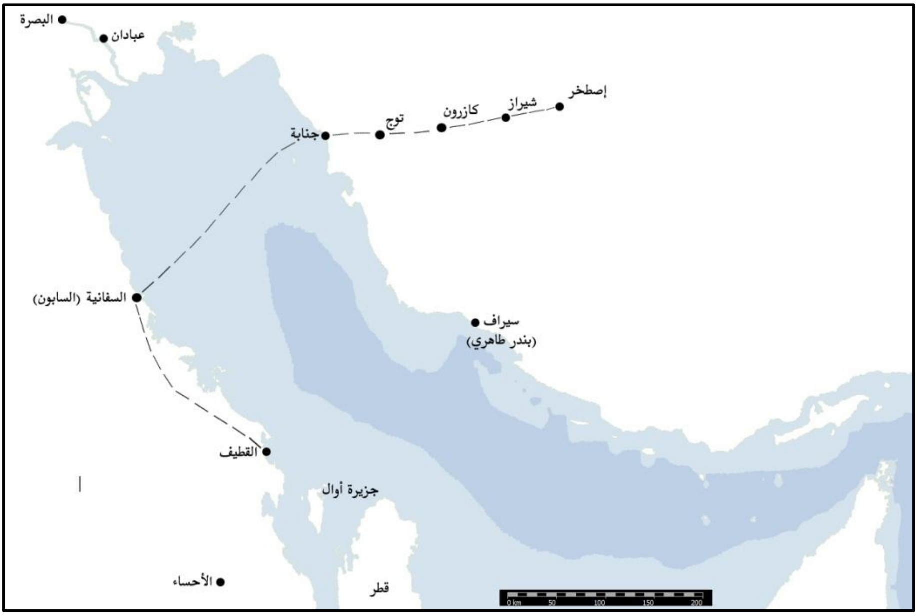
وعلى أي حال حتى لو لم يصح لنا هذا الافتراض فإن التشابه اللفظي يظل قائماً بين كلمتي (السابون) بالباء و

(السفانية) أيضاً بالإضافة إلى كون السفانية رأسا بحرياً ذا مياه عميقة، ثم هو أيضاً من أقرب المواضع انطباقاً مع موضع السابون الذي ورد في الخارطة البغدادية التي أشرنا إليها فيما مضى من هذا البحث، فكل ذلك يسوغ لنا الافتراض بقوة أن يكون هذا الموضع هو الموضع الذي أحْتَمِلُ كونه مدينة وميناء السابون التاريخي الهام.

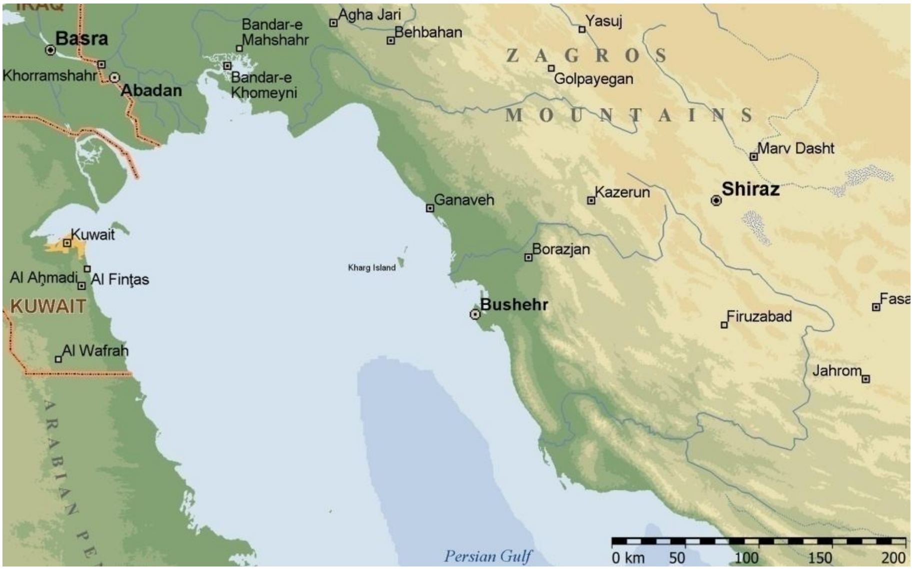


خارطة رقم (٥)، وهي خارطة يُعتقد أنها عملت في بغداد في القرن الخامس الهجري لشبه الجزيرة العربية سجل فيها أهم المدن العظمى، ومنها مدينة وميناء السابون كما هو واضح في أعلى الخارطة لليمين، وهذه الخارطة مقتبسة عن:

Donald Hawley, CMG, MBE. OMAN & its Renaissance. London



خارطة رقم (٦)؛ مقتبس أصلها عن البرنامج الحاسوبي (Encarta World Atlas 99) وقد تصَرَّفتُ بكتابة بعض المواضع التي مرّت بنا في البحث ومنها السفانية (السابون)، والطريق المرجح عبور جيش عبد القيس عبره إلى اصطخر.



خارطة رقم (٧): مقتبسة من برنامج (Encarta World Atlas 99) كتبت فيها (جنابة) (جنافة) كما يلفظه الفرس، وليس كما يلفظه العرب.

عَدَوْلَى

موطن صناعة السفن العَدَوْلِيّة

في إقليم البحرين القديم

(عَدَوْلَى) - وتسمى (عَدَوْلاْة) أيضاً كما سنرى - هي قرية بحرانية قديمة جداً اشتهرت بصناعة السُّفن المنسوبة إليها، والتي تُعرف بـ(العَدَوْليّة).

ويبدو أنّ اسم هذه القرية البحرانية ربما سُمِّي باسم مرفأ حبشي قديم كان يُسمى عَدوْلَى أيضاً، وتم ذكره في الخرائط البطلمية، وإن كان من الجائز أيضاً أنّ ذلك المرفأ الحبشي ربما هو الذي سُمِّي باسم عَدَولَى البحرين، وقد ورد في بعض المصادر تعريفٌ لذلك المرفأ جاء فيه:

"عدوليس: هو ميناء إريتري قديم يقع على بعد عشرين كلم جنوب ميناء مصوع بين قريتي زولا وأفتا وأيضا ليس ببعيد من فورو. ويعتقد أن أصل اسم عدوليس يعود إلى (عَدوْ لَيْ) اي الملك الأبيض، أو (عدو لا) اي الأبقار البيضاء بلغة الساهو، وجدير بالذكر ان هناك قرية ما زال يطلق عليها (عَدوْلَي) في مناطق الساهو.

ويؤكد المؤرخون أن ميناء (عدوليس) القديم كان معبرا تجاريا غاية في الأهمية في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد

وخصوصا للحضارات المصرية والفارسية وحضارة ما قبل أكسوم".[١٥٢]

ولو دققنا في الفقرة الأخيرة من هذا النصّ لوجدنا أنّ ميناء عَدَوْلى أو عَدَوليس الإريتيري كان معروفاً لدى الحضارة الفارسية، وقد كان إقليم البحرين القديم تابعاً لحكم فارس قبل مجيء الإسلام،[١٥٣] وعليه فإنّ القول بوجود ارتباط ما بين عَدَوْلى إريتيريا وعَدَوْلى البحرين أصبح له مستندٌ تاريخي يضاف إلى التشابه في الاسم.

وقد كان لعَدَوْلى البحرانية ذكرٌ في كتب الأخبار والأنساب العربية إذ ذكر الزبيري في كتابه نسب قريش عن حسنة أم الصحابي شرحبيل بن حسنة أنها من أهل عَدَوْلى من ناحية البحرين.[١٥٤]

---

[١٥٢] انظر موسوعة المعرفة على الرابط الشبكي:

http://www.marefa.org/index.php/%D8%B9%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%B3 (19 November 2008).

[١٥٣] أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان؛ تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م) ج١: ٩٥.

[١٥٤] مصعب بن عبد الله الزبيري: نسب قريش؛ تحقيق إ. ليفي بروفنسال

إلا أنّ أكثر مـا أعطـى لقريتنـا عَـدَولى شـهرتها هـو تميزهـا بصناعة ذلك النوع من السُّفن التي كـان لهـا حضـورٌ كـبير في الشعر العربي القديم، وهي السُّفن العَدَوْليّة الـتي طالمـا لهـج شعراء الجزيرة العربية بذكرها في أشـعارهم، ومـن أجـل هـذا كان لا بد لنا من التعريف بهذه السُّفن لما لذلك من أهمية في تعميق معرفتنا بهذه القرية التي كانت تصنعها.

السُّفن العَدَوْلِيِّة

كانت هذه السفنُ مشهورة جداً لدى شعراء العرب قبل الإسلام وبعده، ومعظم شعرهم الذي قالوه فيها يدل على أنها كانت بالفعل من سفن الساحل الشرقي للجزيرة العربية وجزره، ولطالما أكثر هؤلاء الشعراء من تشبيه قافلة النوق – وهي ترتفع فوق كثبان الرمال وتهبط منها – بهذه السفن في حال ارتفاعها فوق أمواج البحر وانخفاضها عنها، ويهمني هنا أنْ استطرد في الحديث عن السفن العَدَوْلِيِّة لما في ذلك من توضيح لمدى ما وصلت إليه هذه المدينة من ازدهار وتقدم في

(القاهرة: دار المعارف ١٩٥٣م) الصفحة ٣٩٥.

صناعة السُّفن.

وُصفتْ هذه السُّفن بأنها سُفنٌ كبيرة عظيمة[155] ضخمة[156] ذات استواء واعتدال[157] كما وُصفت بالقدم، ولقدمها فقد اشتقوا من اسمها مُسمى (العَدَوْلي) الذي يعني ملاح السفينة[158].

وفي كتاب العين:[159]

"العَدَوْليَّة: ضرب من السُّفُن نسب إلى موضع يقال له: عدولاة، أميت اسمه".

---

[155] محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام؛ تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: مطبعة نهضة مصر دت) الصفحة ٣٠٥

[156] محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب؛ مادة [عدل]، وسوف أشير إلى اسم المؤلف بـ(ابن منظور) وإلى كتابه بـ(اللسان) فيما يلي من البحث.

[157] أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون (إيران: مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٠٤م) ج٤: ٢٤٧.

[158] ابن منظور: اللسان؛ مادة [عدل].

[159] الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين؛ تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (إيران: مؤسسة دار الهجرة ١٤٠٩هـ) ج٢: ٤٠.

وفي الصحاح:[160]

"والعَدَوْلِيَّة في شعر طرفة: سفينة منسوبة إلى قرية بالبحرين يقال لها عدولى، والعدولي: الملاح".

وجاء في معجم البلدان في رسمها:

"عَدَوْلَىْ؛ بفتح أوله وثانيه، وسكون الواو، وفتح اللام، والقصر: قرية بالبحرين تنسب إليها السفن"، والمعنى نفسه عند البكري[161]

وعند صاحب اللسان:[162]

".. قال الأصمعي: العَدَوْليُّ من السفن منسوب إلى قرية بالبحرين يقال لها عدولى، قال: والخلج سفن دون العدولية، وقيل: العدولية نسبت إلى موضع كان يسمى عدولاة وهي

---

[160] إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٥٦م) ج٥: ١٧٦١ – ١٧٦٢.

[161] عبد الله بن عبد العزيز البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع؛ تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب١٩٨٣م) ج٣: ٩٢٦.

[162] انظر مادة (عدل).

بوزن فعولاة، وذكر عن ابن الكلبي أنه قال: عدولى ليسوا من ربيعة ولا مضر ولا ممن يُعرف من اليمن إنما هم أمة على حدة".

وأخيراً يقول الزبيدي عن هذه السُّفن العَدَولية:[163]

".. نسبت إلى موضع كان يسمى عدولاة، بوزن فعولاة، أو إلى عدول: رجل كان يتخذ السفن، نقله الصاغاني، أو إلى قوم كانوا ينزلون هجر، فيما ذكر الاصمعي"[164].

وكان أحد أقدم الشعراء الذين ذكروا السُّفن العَدَوْلية في

---

[163] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق علي شيري (بيروت: دار الفكر ١٩٩٤م) ج ١٥ - ص ٤٧٤ - ٤٧٥

[164] أقول: لا يوجد تناقض بين ما قاله ابن الكلبي والأصمعي حتى يرجح قول الأخير منهما، فالأصمعي - كما مرّ بنا - روي له قولان أحدهما إنّ عدولى قرية بالبحرين كما في اللسان، والقول الثاني إن عدولى قوم كانوا يسكنون هجر، وقال ابن الكلبي إنهم ليسو من ربيعة ولا مضر، فأين التناقض هنا؟!، ثم إنْ كان المقصود قول الأصمعي الأول، وهو أنّ عدولى قرية بالبحرين، فقول الكلبي لا يتعارض معه أيضاً لأنه أراد سكان هذه القرية كما يفهم من كلام المتقدمين في اختصاراتهم، وكما سيوضحه شارح شعر العجاج فيما يلي.

شعرهم هو عمرو بن قميئة البكري صاحب امرئ القيس ورفيق دربه إلى بلاد الشام، وذلك في قوله عن قافلة النوق التي فيها حبيبته تُكتَم:[١٦٥]

إنَّ قَلبي عَن تُكتَم غَـيرُ سـال
تَيَّمَـتني وَمـا أَرادَت وصـالي
هَل تَرى عِيْرَها تُجيزُ سِـراعاً
كَالعَـدَوْلِيِّ رائِحَـاً مِـن أوال

وأوال المذكورة في البيت الثاني هي جزيرة البحرين الآن، وواضح من البيت الثاني أنّ هذه السفن كانت تتميز بالسرعة.

ثم ذكر (عدولى) بعد عمروٍ بمدة ابنُ قبيلته الذائع الصِّيت طَرَفة بن العبد البكري أحد شعراء المنطقة الذين لا تنقصهم الشهرة، وذلك في قوله من معلقته الشهيرة:[١٦٦]

---

[١٦٥] عمرو بن قميئة الضبعي: ديوان عمرو بن قميئة؛ تحقيق حسن كامل الصيرفي (القاهرة: معهد المخطوطات العربية ١٩٦٥م) الصفحة ٦٠.

[١٦٦] يوسف بن سليمان = الأعلم الشنتمري: شرح ديوان طرفة بن العبد؛ تحقيق رحاب عكاوي (بيروت: دار الفكر العربي ١٩٩٣) الصفحة ٢٤.

كــأنّ حُــدُوْجَ المالكيّــةِ غُــدْوَةً
خَلايَا سَفِيْن بالنَّواصِفِ مِـنْ دَدِ
عَدَوْلِيّةٍ أو مِنْ سَفِيْن ابن يَـامِن
يجورُ بها المـلاّحُ طَـوراً ويهتـدِيْ

وابن يامن كان أحد أعيان هجر البحرين.[١٦٧]

وذكرها بعد طرفة شاعر لا يقل عنه شهرة، وهو النابغة الذبياني شاعر النعمان بن المنذر فقال من قصيدة يمدحه فيها:[١٦٨]

لَـهُ بَحـرٌ يُقَمِّـصُ بِالعَـدَوْلِيْ

---

[١٦٧] انظر:

•عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع؛ تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٣م)؛ ج٤: ١٢٣٣.

•أبو بكر عاصم بن أيوب الوزير: شرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحارث الشهير بامرئ القيس بن حجر الكندي (مصر: المطبعة الخيرية ١٣٠٨هـ)؛ الصفحة ٨٢.

[١٦٨] زياد بن عمرو بن معاوية الذبياني = النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: دار المعارف ط٢ دت) الصفحة ١٥٢.

وَبِــالخُلُج المُحَمَّلَــةِ الثِقــال

مُضِــرٌّ بِالقُصــور يَــذودُ عَنهــا

قَــراقيرَ النَبــيطِ إلى الــتِلال

والنابغة يمدح النعمان بأنّ له بحرٌ جامح مثل الفَرَس المتقمّصة أي التي تكون جامحة فترفع كلتي يديها عن الأرض وتقف فقط على رجليها محاولة إسقاط راكبها كما هو معروف عنها، فشبّه النابغة بحر ممدوحه بهذه الفرس في ارتفاع أمواجه بالسفن عالياً كما ترتفع الفَرَس براكبها، والنابغة لا شك أنه يصف أحد سواحل الخليج لأنّ ممدوحه هو ملك الحيرة، ولا يوجد بحرٌ آخر غير هذا الخليج كان لملوك الحيرة سلطة عليه أو على جزءٍ منه على الأقل، ولعلّ البحر المعني في شعر النابغة ربما يكون ساحل كاظمة، فهو أقرب السواحل العربية في الخليج إلى الحيرة، وقد ذكر الشاعر أنّ أمواج هذا البحر العاتية ترفع السفن العدولية والأخرى المسماة بالخلج إلى أعلى رغم ثقلها وكونها محملةً بالبضائع دون عناءٍ يُذكر؛ كما يذكر النابغة عن بحر ممدوحه نفسه بأنه مضرٌّ بالمباني (القصور) القريبة منه لأنه قد يغرقها إذا هاج موجه أو يضرها كما فعل

بقراقير الأنباط، وهي أطواف خشبية صغيرة يصيدون بها السمك، فكان يقذفها بعيداً نحو التلال، وموضع ساحل كاظمة الذي أفْترضتُ كونَه هو المعني بشعر النابغة كان مأهولاً منذ زمن قديم، فلا شك أنه كانت به قصورٌ وأبنية بالفعل.

وذكر السفن العَدَوْليّة أيضاً الأسودُ بن يعفر النهشلي الدارمي السعدي التميمي (ت. ٢٣ ق.هـ) - وبنو سعد التميميون من سكان المنطقة القدماء - فقال:[١٦٩]

تَبَصَّــرْ خَلَيْلــيْ هــلْ تَـرَى مِـنْ ظَعَــائِن
غَــدَوْنَ لِبَـيْن مِــنْ نَــوَىْ الحَــيِّ أبْــيَن
فَأضْــــحَتْ تَرَاءَاهَــــا العُيــــونُ كأنَّهــــا
عَلى الشَّرَفِ الأعْلى نَخِيْلُ ابن يَامِن[١٧٠]
أو الأثْــأبُ العُــمُّ الـــدُّرَى أوْ كَأَنّهــا
خَلايَــا عَــدَوْليِّ السَّــفين المُعَمِّــن

---

[١٦٩] محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون: منتهى الطلب من أشعار العرب؛ تحقيق محمد نبيل طريفي (بيروت: دار صادر ١٩٩٩م) الصفحة ٤٣١.

[١٧٠] لقد حددت في كتاب (هجر وقصباتها الثلاث) موضع نخل ابن يامن في الأحساء، وهو النخل الذي كثيراً ما ذكره الشعراء إعجاباً به، وقلت هناك إنه كان النخل الواقع بين تلي المشقر (راس القارة) والصفا (أبو الحصيص).

وواضح من قوله: "المعَمِّن" أنهم كانوا يبحرون بها إلى عُمان، وقد بقيت هذه السُّفُنُ معروفة في المنطقة حتى القرن الثاني الهجري حيث ذكرها شاعر آخر من تميم أيضاً، ثم من بني سعد سكان المنطقة، وهو رؤبة بن العجاج في أرجوزة مدَحَ بها حاكم البحرين في زمنه حربَ بن الحكم بن المنذر بن الجارود العبدي، ومن ضمنها:

وأنْــتَ بَحْــرٌ مــدَّهُ بَحْــرٌ قِــذَمْ
إذَا ازْدَهَتْــهُ ريْــحُ غَــيْم أوْ شَــبَمْ
طَــارَ العَــدَوْليُّ كَأَقْحَــافِ البُــرَمْ
بالسَّاحِلَيْن عَنْ بُزَاخِيٍّ غِطَـمْ[171]

---

[171] القحف مأخوذ من قحفة الرأس، وهي العظمة المدوّرة التي تكون فوق الدماغ من الجمجمة، فكأنها غطاءٌ لها، والبَرَم: قنان الجبال كما في اللسان مـادة (برم)؛ يشبه رؤبة ممدوحه بالبحر الذي تهيجه الريح، فيرتفع موجه إلى حدّ أنّ السفن العدولية فيه تبدو كأنها "أقحاف البرم" أي رؤوس الجبال.

وأما قوله في البيت: "بزاخيّ"، فهو منسوب إلى بزاخة موضـع بـالبحرين (البكري: معجم ما استعجم؛ رسمها)، وفي اللسان (بزخ): البزخ: الجرف بلغـة عُمان، وأقول: ظلّ هذا الموضع البحراني (بزاخة)، أو (بزخـة) معروفـا باسمـه حتى القرن الرابع عشر الهجري، وهـو موقـع قريـب مـن السـاحل جنـوب العُقَير، وفي هذا الموضع حدثت وقعة بين الدواسر ونفرٍ من بني مُـرّة مـن آل

نهشل بن حَرِّيّ هو شاعر مخضرمٌ من بني تميم، ثم من بني دارم، وهو نَهْشل بن حَرِّيّ بن شِقة بن ضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَلِ بن دَاْرِمِ بن مالك بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيْد مَنَاْة بن تميم[١٧٢]

وبنو نهشل بن دارم قبيلته الأدنون كانوا يسكنون البحرين، ومن منازلهم فيها (لصاف) و(بطن فلج)،[١٧٣] وهما يقعان في الجزء الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية في (الصُّمّان) غير بعيد عن ساحل الخليج، وكان نهشل بن حَرِّي من سكان الأولى منهما، وهي (لصاف) المعروفة الآن بـ(اللصافة)، ولهذا قال أبو المهوش الأسدي يهجوه وأقذع في هجوه:[١٧٤]

بحيح من أراد تفاصيلها فليراجع مجلة الواحة العدد العاشر.

[١٧٢] محمد بن السائب الكلبي: جمهرة النسب؛ تحقيق ناجي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٦م) الصفحة ٢٠٨ وما قبلها.

[١٧٣] حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية / المنطقة الشرقية (البحرين قديماً) (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر؛ دت) ج٤: ١٤٨٧ رسم [القممية].

[١٧٤] عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب؛

قد كنت أحسبكم أسُوْدَ خَفِيِّةٍ
فإذا لَصَاْفُ تَبيضُ فيها الحُمَّرُ
يا نهشل بن أبي ضُمير إنما
من مثل سلح أبيك ما تستقطرُ
إذ كان حَرِّيٌّ سَقيط وليدةٍ
بظراء يركض كاذتيها العُهَّرُ

وقد شهد نهشل بن حَرِّي حرباً وقعت عند بعض مياه الصُّمّان في العقد الثالث من القرن الهجري الأول بين قومه بني قطن بن نهشل وبني عمومتهم بني جندل بن نهشل،[175] وقد أدى جذعُ نهشَلٍ لأذن أحد فرسان بني عمه، وهو نهيك بن الحارث بن نهيك إلى هروبه من بلاده خوفاً من الثأر، فقصد بني عمه الآخرين سعد بن زيد مناة بن تميم[176] الذين

تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٧م) ج٦: ٣٧٣ "بتصرف".

[175] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني؛ تحقيق سمير جابر (بيروت: دار الفكر ط٢) ج٩: ٣٠٨ – ٣١٠.

[176] محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون: منتهى الطلب من أشعار العرب تحقيق محمد نبيل طريفي (بيروت: دار صادر ١٩٩٩م) ج٨: ٢٠.

صاروا حينها سادة براري البحرين كـ(يبرين) و(الجوف) و(والستار) و(السودة)؛ بل إنّ قسماً منهم سكن الأحساء والظهران من البحرين،[177] ويبدو أنّ هؤلاء الأخيرين هم الذين قصدهم وسكن معهم مما أتاح له رؤية البحر بتأمل عميق، وكذلك عَدَولى موضع صنع السُّفن العَدَولية بالبحرين، ولهذا فقد ذكر هذه القرية في شعره بصورة مميزة لم يسبقه إليها شاعرٌ قبله ولا بعده؛ بل كان شعره عنها هو المفتاح الذي فتح لنا الباب المؤدي إلى معرفة موضع هذه القرية التي كان سكانها صُنَّاعٌ من طرازٍ رفيع للسفن البحرية.

وقد ذكر نهشل بن حَرّي (عَدَوْلى) أكثر من مرّة في شعره، ومنها مرّة ذكرها باسمها الآخر (عدولاة)، وهو قوله:[178]

فَلا تَأمَنِ النَوكى وَإن كانَ دارُهُم
وَراءَ عَدَوْلاةٍ وَكُنتَ بِقَيصَرا

---

[177] علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف (بيروت: دار صعب دت) الصفحة ٣٤٠.

[178] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق علي شيري (بيروت: دار الفكر ١٩٩٤م) ج١٥: ٤٧٤.

إلا أنّ أهم ما قاله بالنسبة لبحثنا هذا هو ذلك الشعر الذي ذكر فيه رحلة حبيبته (تماضر) إلى اليمن، وهي القصيدة الحائية التي مطلعها:[179]

سَمَت لَكَ حاجَةٌ مِن حُبِّ سَلمى
وَصَحبُكَ بَينَ عَروى وَالطَواح

وهي قصيدة على الغاية من الأهمية، ولا سيما للمعنيين بتحقيق محطات الطريق القديم المتجه من البحرين إلى اليمن مروراً ببلاد العارض، وكذلك للمعنيين بتحديد المواضع الجغرافية القديمة لورود كمٍّ لا بأس به منها في هذه القصيدة.

وكان مما قاله في هذه القصيدة ثلاثة أبيات ذكر فيها عَدَولىْ، وهي قوله:

وَقَد قَطَعَت تُماضِرُ بَطنَ قَوٍّ
يَمانِيَةِ التَهَجُّر وَالرَواح
كَأَنَّ حُمولَها لَمّا اِستَقَلَّت
بِذي الأَحزابِ أَسفَلَ مِن نَساح

[179] محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون: منتهى الطلب من أشعار العرب تحقيق محمد نبيل طريفي (بيروت: دار صادر ١٩٩٩م) ج٨: ٢٠.

خَلايـــا زنبَـــريٍّ عـــايِراتٍ
عَـــدَوْلَىْ عامِـــداتٍ للقَـــرَاح

فهذا شاعر من سكان شرق الجزيرة العربية طالما رأى السفن تمخر عباب البحر بانواعها المتعددة، وهو هنا يشبّه قافلة الجمال التي فيها حبيبته وهو يراها تسير كالقطار قاطعة وادي نساح المغمور بالماء بمجموعة من السفن الزّنبرية[١٨٠] وهي تسير متتابعة من مرفأ قرية عدولى إلى مرفأ ساحل القراح، وهذا يعني أنّ قرية عدولى لا تبعد كثيراً عن ساحل القراح لأنّ البيت الثاني يدلّ على أنّ قائله كان يرى بأمّ عينيه الإبل وهي تقطع وادي نساح من ضفته الأولى إلى ضفته الأخرى، وبالتالي فإنّ الصورة المشبَّه بها في البيت الثالث يجب أن تكون مشابهة للصورة في البيت الثاني، وهو أنّ الشاعر كان يرى بأمٍّ عينيه أيضاً قافلة السفن الزنبرية وهي تمخر البحر (يقابله وادي نساح في البيت الثاني) من مرفأ عدولى (الضفة الأولى) إلى

---

[١٨٠] هي نوع من السفن الضخمة؛ انظر اللسان مـادة [زنـبر]، وليتضـح للقارئ الوجه في هذا التشبيه ينظر الصورة التقريبيـة الـتي وضـعتها في آخـر هذا البحث لتقريب الصورة التشبيهية بين قافلة السفن وقافلة الجمال.

مرفأ القراح (الضفة الثانية)، وهذا ما يسمى بـ(وجه الشبه) في علم البلاغة العربية، وهو يعني أننا لا بد أن نعرف موضع القراح حتى يتسنى لنا معرفة موضع عَدَوْلى القريب منه.

القراح ساحل هجر وميناؤها الأول[١٨١]

يخطئ من يظن أنّ العُقير هو ميناء هجر الأقدم، وهو ما أثبتته أعمال التنقيب المنهجي الذي قامت به البعثة الدانماركية التي أثبتت أنّ أقدم الآثار العائدة لهذا الميناء وما حوله هي آثار إسلامية،[١٨٢] في حين اكتشفت هذه البعثة ذاتها أنّ الآثار الأقدم من عصر الإسلام تقع على بعد ٢٠ ميلاً للشمال من العُقير، وهو الموضع ذاته الذي سنرى أنّ ميناء القراح كان يقع بالقرب منه، وبالتالي، فإنّ ما ذكره الأخباريون

---

[١٨١] سبق الحديث عن القراح وكونه الميناء الأول لهجر في البحث المتقدم بعنوان (العُقير ميناء العراقة والجمال)، ولكن بما أنّ هذه البحوث كنت قد نشرتها مستقلة في اوقات متفرقة، فلا بد من أن يكون فيها تكرار لا يمكن حذفه أحياناً حتى لا يؤثر على تسلسل البحث وانسيابيته.

[١٨٢] جيوفري بيبي: البحث عن دلمون؛ ترجمة أحمد عبيدلي (نيقوسيا – قبرص: دلمون للنشر ١٩٨٥م) الصفحات ٤١١ – ٤١٢.

العرب عن القراح، وأنه ساحل هجر وسِيْفُها هو كلام صحيح.

فقد روي عن أبي عبيدة قوله: **"قَرَاحُ: سِيْفُ هَجَر، والزَّارَةُ: سِيْفُ القَطِيْف".**[١٨٣]

ولابن الأعرابي القول نفسه عندما شرح قول الشاعر النابغة في ناقة وصفها بالقراحية، فقال: **"نَسَبها إلى قَراح، وهو سِيْفُ هَجَر، وأصْلُ الفَسِيْل مِنْه".**[١٨٤]

أما الهمدانيّ فقد أورد نصّاً هامّاً جداً لأبي مالك اليشكري أحد الأدلاء العرب العارفين بشرق الجزيرة العربية، وهو قوله في التعريف بأهم الأماكن في إقليم البحرين القديم:

"مدينةُ البحرين العُظمىْ هَجَرٌ، وهي سوق بني محارب من عبد القيس ومنازلُها ما دار بها من قرى البحرين، فالقطيف موضع نخل وقرية عظيمة الشأن وهي ساحل وساكنها جَذِيمَةُ من عبد القيس سيدهم ابن مُسْمَارٍ ورَهْطُه، ثمّ العُقَير من

---

[١٨٣] ياقوت الحموي: معجم البلدان؛ رسم (قراح).

[١٨٤] البكري: معجم ما استعجم؛ رسم (بزاخة).

دونه وهو ساحل وقرية دون القطيف من العطف وبه نخل ويسكنه العرب من بني محارب، ثم السِّيْفُ سِيْفُ البَحْر وهو من أَوَال على يوم وَأوَال جزيرة في وسط البحر مسيرة يوم".[185]

والفقرة الأخيرة من كلام الهمداني التي تتحدث عن السِّيف الذي سماه بسِيْف البحر المواجه لجزيرة أوال أغلب الظنّ أنّ البحر تحرفت عن هجر أو البحرين، وبالتالي فهو سِيف هجر المتقدم في نصٍّ أبي عبيدة وابن الأعرابي باسم القَرَاح، ويفهم من نص اليشكري أنّ هذا السِّيْف يقع بعد العُقير مباشرة وهو ما أكَّدَهُ ابن خرداذبة وقدامة بن جعفر والإدريسي الذين ذكروا موضعاً يقع شمال العُقير سمّوه ساحل هجر، وليس ثمة فرق كبير بين السِّيْف والسَّاحِل.

وقد أورد ابن خرداذبة أسماء محطات الطريق الساحلي المتجه من البصرة إلى عُمان، وذكر منها (ساحل هجر) في ذات

---

[185] الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب؛ تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م) الصفحة ٢٧٩.

الموضع، وقد جاء فيما ذكره ما يلي:[١٨٦]

"من البَصْرَة إلى عَبَّادَان، ثم إلى الحَدوثة[١٨٧]، ثم إلى

---

[١٨٦] عبيد الله بن عبد الله = ابن خرداذبة: المسالك والممالك (بيروت: دار صادر دت مطبوعة بالأوفست عن طبعة بريل – ليدن ١٨٨٩م) الصفحة ٦٠.

والتعريف لهذه المحطات التالية هو ما ذكرته في كتابي (جره مدينة التجارة العالمية القديمة)، وأعيده هنا للفائدة، ولمن لا يقتني هذا الكتاب.

[١٨٧] كذا وردت، وهي كذلك عند كل من الإدريسي كما سنرى والقلقشندي في صبح الأعشى ج٥: ٥٧، وقد وردت باسم (Hadayisa) في خارطة وضعها الجغرافيان الهولنديان الأخوان رينير وجوشوا أوتنس Reinier and Josua (1704-1765) Ottens (1698-1750) في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد رسم هذا الموضع إلى الجنوب مباشرة من كاظمة قرب الساحل، والخارطة يحتفظ بها المتحف البريطاني تحت الرقم (Maps. 114.28)، ووردت باسم (Haditha) في خارطة أوروبية أخرى نُشرت في برلين عام ١٨٦٨م ضمن كتاب (L'Arabie Contemporaine)، وسنسمي هذه الخارطة بالبرلينية تسهيلاً، وفيها وضعت (Haditha) إلى الجنوب من القرين التي تقوم عليها الكويت العاصمة الآن، وإلى الشرق مباشرة من الوفراء بينها وبين ساحل البحر (انظر: الكويت في خرائط العالم حقائق ووثائق من إعداد مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الصفحة ٣١) وهذه الخارطة ذُكرت فيها أغلب مراحل هذا الطريق الذي ذكره ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك وإن كان بعضها لم يذكر كما سنرى، ولولا أنّ هذا الكتاب قد طبع باللغة اللاتينية لأول مرّة عام ١٨٨٩م في ليدن لقلتُ بأنّ صانعي هذه الخارطة قد

عَرْفَجا[١٨٨]، ثم إلى الزَّابُوْقة[١٨٩]، ثم إلى المِقَرّ[١٩٠]، ثم إلى عَصَى[١٩١]،

اطلعوا على هذا الكتاب في طبعته الليدنية فدونوها في خارطتهم، وقد يكون هؤلاء الصناع استعانوا بما توفر لديهم من معلومات استقوها من البحارة البرتغاليين والهولنديين الذين غزوا الخليج الفارسي منذ القرن العاشر الهجري، وكان جُل اهتمامهم منصبٌ على معرفة معالم ساحليه الشرقي والغربي، فدونوا معالم الطرق الساحلية ثم أخذ صانعوا الخرائط الأوروبية هذه المعلومات عنهم فكان هذا التطابق بين ما ذكروه وما جاء في كتاب المسالك والممالك.

[١٨٨] كذا وردت، وكذلك عند الإدريسي، وأما القلقشندي فقد سميت عنده عرفجاء، والمعروف الآن أنها عرفجان، وتنطق بالتصغير عريفجان، وتقع في دولة الكويت حسب الإحداثيات التالية:

28O 54' 01" N

48O 10' 57" E

إلى الجنوب من الفحيحيل بـ١٤ ميلاً، وإلى الغرب من ساحل البحر بــ٣ أميال، والسبب الذي يجعلهم يبعدون عن البحر كل هذه المسافة مع أنّ الطريق ساحلي هو اتقاء السباخ الكبيرة الخطرة التي تتكون قرب الشواطئ.

[١٨٩] كذا وردت عند ابن خرداذبة والقلقشندي، ولم يذكرها الإدريسي، وقد كُتبت باسم (Sabuka) في الخارطة البرلينية، وقد رسم موضعها إلى الجنوب مباشرة من (Haditha) المتقدمة، وشمال غرب راس المشعاب وهو موضع معروف حتى الآن.

انظر: (الكويت في خرائط العالم حقائق ووثائق من إعداد مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الصفحة ٨٩).

ثم إلى المعرّس[192]، ثم إلى خُلَيجة[193]، ثم إلى حسان[194]، ثم إلى

---

[190] كذا وردت عند ابن خرداذبة، وتحرفت عند القلقشندي الناقـل عنـه في صبح الأعشى إلى المغز حيث زحفت – بفعل النساخ ربما – نقطة من نقطـتي القاف إلى الراء، ولم تُذكر المقرّ عند الإدريسي، ولم يرد في الخارطة البرلينية.

[191] كذا وردت عند ابن خرداذبة، وإن كانت وردت في نسـخة أخـرى مـن كتابه (عَصَا)) بالألف الممدودة، وكذلك في صـبح الأعشـى للقلقشـندي، ولم تذكر عند الإدريسي، وهذه الكلمة عندما تُكتـب بـالحروف اللاتينيـة تكـون هكذا (Asa)، وهو ما سبب إرباكاً لدى رسامي الخرائط الأوربيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر لأنهـم ظنـوا أنهـا (حَسَـا) أي الأحسـاء، فقـاموا بكتابتها كذلك في خرائطهم متسببين في وقوع خطـأ شـنيع حيـث أصـبحت الأحساء شمال غرب القطيف على الساحل في حين أنّها تقع جنوبها كمـا هـو معروف، ومن الخرائط التي كتبت (عصا) باسـم (حسـا) أو (لحسـا) خارطـة صانع الخرائط الهولنـدي الشـهير إسـحاق تـيرون الـتي نشـرها عـام ١٧٣٢م، وكذلك خارطة الأخوين أوتنس المتقدمة.

انظر: (الكويت في خـرائط العـالم حقـائق ووثـائق مـن إعـداد مؤسسـة الكويت للتقدم العلمي الصفحات ٢٧، ٣١).

[192] كذا وردت وهي كذلك عند القلقشندي، ولم يذكرها الإدريسي، وأقرب الظن إلى اليقين أنها هي (Mughris) التي كُتبت في الخارطـة البرلينيـة، وقـد رسمت فيها بعيدة عن الساحل قليلاً إلى الغـرب مباشـرة مـن راس التناقيـب المعروف حتى الآن.

[193] كذا وردت، وكذلك عند القلقشندي، ولم تُـذكر عنـد الإدريسـي، وقـد

القرى[١٩٥]، ثم إلى مُسَيْلحَة[١٩٦]، ثم إلى حمض[١٩٧]، ثم إلى سَاحِل

ذُكرت بالاسم نفسه (El-Kholidja) في الخارطة البرلينية المذكورة قبل قليل، وهي فيها تمثل زاوية ثالثة لمثلث يمثل رأسا التناقيب وأبو علي زاويتي قاعدته؛ بحيث تقع جنوب غرب الأوَّل وشمال غرب الثاني بعيدة عن الساحل بعض الشيء.

ولحسن الحظ، فإنّ الخليجة هذه كانت لا تزال معروفة باسمها هذا في العِقْد الثالث من القرن العشرين الميلادي، فقد ذكر الكولونيل هـ. ر. ب. ديكسون في كتابه عرب الصحراء (الصفحة ٧٥٥ من طبعة الجمران ١٩٩٧م) موضعاً سمّاه بأبرق الخليجة نسبة إليها، قال إنه يقع في المملكة العربية السعودية في الطرف الجنوبي من منخفض الشقّ قريباً من الزاوية الجنوبية الغربية من المنطقة المحايدة الكويتية وذكر أنّه موضع مشهور لدى البدو من العوازم والعجمان بأنه سكنٌ للجنّ، وذكر أنهم يعرفونه جيداً ويخافون الاقتراب منه؛ كما ذكر أنّ بعض علماء الجيولوجيا قام بالتحليق فوقه عام ١٩٣٢م.

[١٩٤] كذا وردت، وهي كذلك عند القلقشندي، ولكنها وردت عند الإدريسي (حنيان) وهي قراءة نسخة أخرى من كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة أيضاً، ولم أجدها في الخارطة البرلينية التي ذكرت معظم هذه المحطات في هذا الطريق الساحلي القديم.

[١٩٥] كذا وردت في هذا الموضع، وستذكر في موضع آخر باسم القرنتين كما سنرى، وأما في الخارطة البرلينية، فقد كُتبت فيها بالحروف اللاتينية هكذا (el-Kora)، ومن الواضح أنها القُرى، وقد وضعت هذه المحطة في الخارطة البرلينية جنوب غرب راس أبو علي مباشرة بعيدة بعض الشيء عن الساحل

أي أنها تكون بذلك واقعة غرب عينين (الجبيل) مباشرة، وإن كانت الخارطة قد أغفلت ذكر عينين واكتفت بذكر راس أبو علي فقط.

[١٩٦] كذا وردت بالتصغير عند ابن خرداذبة في الموضع الأول، وإن كانت في الموضع الثاني قد ذكرت مكبرة باسم مسلحة، وكذلك عند القلقشندي الناقل عن ابن خرداذبة، وأما الإدريسي فقد وردت عنده مسلحة مكبرة، وقد سمّاها الأخوان أوتنس في خارطتهما التي سبق وأشرنا إليها مسلحان (Meslehan)، ويحتمل تحرف حرف (n) الأخير عن حرف (h)، فالتشابه كبير بينهما، وقد قام الأخوان أوتنس برسم موضعها شمال القطيف، ثم شمال مدخل راس تنورة – التي لم تذكر – مباشرة حسب ما يرى في هذه الخارطة التي رُسمت في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي.

[١٩٧] يجب ألا يذهب ظنّ القارئ إلى أنّ حمض هذه هي حَمَض الهجرة المعروفة، والواقعة غرب المشعاب بالقرب من أبرق الكبريت، فذلك لا يصح لأنّنا قد رأينا أنه يسبق حمض في هذا الطريق الساحلي القديم أحد عشرة منزلاً أو محطة استراحة من البصرة، وهو يعني إحدى عشر مرحلة، وحمض الهجرة تقع بالقرب من حدود الكويت أي أنّ إحدى عشرة مرحلة سوف تخلفها ورائها بمسافة طويلة، ثم إنّ حمض الهجرة تقع بعيداً عن الساحل بـ٦٠ كيلومترا أو أكثر بقليل، وبالتالي فهي لا تعد ساحلية، وهذا الطريق كما رأينا وصف بأنه ساحلي، فهذا كله يؤكد أنّ حمض الواردة ضمن مراحل هذا الطريق الساحلي هي غير حمض الهجرة المعروفة، وأغلب الظن أنها هي المذكورة باسم (حِمْصHems) في خارطة الأخوين أوتنس، وقد رسماها غرب القطيف مباشرة، أو (حِمْص Hims) في خارطة ألمانية نشرت عام ١٧٥٠م بعنوان (Erster Theil Der Karte Von Asien)، وقد وضعت في هذه

هَجَر، ثم إلى العُقَير، ثم إلى قَطَر، ثم إلى السبخة، ثم إلى عُمان وهي صُحار ودَبا".

وفي كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر ذكر هذه الطريق الساحلية، ولكنه أتى بها بالعكس أي من عُمان إلى البصرة، وذلك بقوله:[١٩٨]

"والمنازل من عُمان إلى البصرة: السبخة، وهي بين عمان والبحرين[١٩٩] – قطر – العقير – ساحل هجر – حمض – مسلحة – القرنتين – حسان – خليجة – المعرس – عصى –

الخارطة على الساحل جنوب القطيف بالقرب من دوحة رحوم (شاطي نصف القمر)، وتكرر ذكرها في خارطة أخرى نُشرت عام ١٧٥٥م، وربما تكون مأخوذة عن الخارطة الألمانية لأنّ المعلومات فيهما متشابهة، ووضعت حِمْص في الموضع نفسه الذي وضعت فيه في الخارطة الألمانية.

انظر: (الكويت في خرائط العالم حقائق ووثائق من إعداد مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الصفحات ٤١، ٤٥).

[١٩٨] انظر نبذاً منه عند عبيد الله بن عبد الله = ابن خرداذبة: المسالك والممالك (بيروت: دار صادر دت مطبوعة بالأوفست عن طبعة بريل – ليدن ١٨٨٩م) الصفحة ١٩٣.

[١٩٩] ويعني بها السبخة العملاقة المعروفة الآن باسم سبخة (مطي).

المقرّ – الزابوقة – عرفجا – الحدوثة – عبادان".

وذكر هذا الساحل الإدريسي في قوله:[200]

"ومن جلفار وأنت نازل إلى البحرين تصير إلى مرسى السبخة وهو مرسى فيه عين نابعة عذبة ومنه إلى شقاب وبوار[201] وبحر عويص صعب السلوك وتسمى هذه الأمكنة

---

[200] محمد بن محمد = الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٩م) ج١: ١٦٢.

[201] شقاب وبوار من الجزر الواقعة فيما يُعرف الآن بأرخبيل جزر حوار، وقد ذكرت بوار باسم بوارة في معاهدة الصلح التي تمت في بداية القرن السابع الهجري بين الأمير االعُيوني فضل بن محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي العُيوني وبين ملك جزيرة قيس (يراجع شرح ديوان ابن المقرَّب بتحقيق الكاتب وصاحبيه ج٥: ٣٠٣٣)، وفيه أنّ جزيرة بوارة هذه مع جزيرة أخرى تُسمّى قتان كانتا تعرفان بجزر الطيور صارت من نصيب ملك جزيرة قيس، وجزيرة أم الطيور سُمّيت بهذا الاسم للسبب الذي ذكره الإدريسي في النص من أنّها كانت مشهورة كمأوى لبعض طيور البحر مثل طيور الخرشنة والنورس البحري، وكانت تترك فيها زبولها التي كان البحارة بالفعل يقصدون هذه الجزر ويوسقونها في المراكب كما قال الإدريسي رحمه الله، ويبدو أنّ جزيرة قتان التي ذكرها الإدريسي هي قنان تحرفت إلى قتان، وهي جزيرة من جزر حوار تسمى الآن جنان مع نطق حرف الجيم مثلما ينطقه اليمنيون والمصريون.

ببحر قطر وفي هذا البحر عدة جزائر خالية لا عامر بها يأوي إليها أجناس من الطير البحري والبري فيجتمع بها من زبولها المقادير الكثيرة فإذا طاب ماء هذا البحر للسفر قصدت إليها المراكب فتوسق تلك الزبول التي قد كومتها الطير في تلك الجزائر وتصير بها إلى البصرة وغيرها فيبيعونها هناك بالثمن الكثير وتلك الزبول تصرف في عمارات الكروم والنخل والجنات والبساتين وليس على بحر قطر ساكن ولا يأوي إليه أحد وهو مكان مخوف براً وبحراً، ومنه يسار إلى مرسى المفقود وهو مرسى جليل مُكن من رياح شتى[٢٠٢]، وبه عين ماء غزير عذب ومنه إلى ساحل هجر وهو أول بلاد

---

[٢٠٢] كذا وردت هذه الجملة، وقد بيّنت مراده منها في بحث العُقير المتقدم، وأوضحت أيضاً أنّ لفظة المفقود الواردة في النص هي محرَّفة عن العُقير الميناء الشهير لأننا رأينا في نصّي ابن خرداذبة وقدامة بن جعفر المتقدمين أنّ العُقير يقع جنوب ساحل هجر، ثم إنّ لفظتي (المفقود) و(العقير) فيهما بعض الشبه، وقد حصل وتحرَّفت العُقير في بعض نسخ المسالك والممالك لابن خرداذبة إلى المقفير والمقعبر (را. حواشي الصفحة ٦٠ منه)، ولو لاحظنا فإنّ كلمة المقفير شديدة الشبه بكلمة المفقود الواردة في نصّ الإدريسي مما يقوي الظن بتحرفهما عن العُقير.

البحرين؟![٢٠٣] ومن ساحل هجر إلى البصرة طريق على الساحل غير معمورة وسنذكره إذا جاء موضع ذكره في الإقليم الثالث بعون الله تعالى".

ووفى بوعده، فقال في موضع آخر منه:[٢٠٤]

"والطريق من البصرة إلى البحرين من عبادان إلى مرحلة لا ماء فيها ولا عامر بها ثم إلى الحدوثة مرحلة ثم إلى عرفجا مرحلة ثم إلى حنيان مرحلة ثم إلى القرى مرحلة ثم إلى مسلحة مرحلة ثم إلى الأحساء[٢٠٥] مرحلة ثم إلى حمص مرحلة

---

[٢٠٣] من المعروف أنّ قطر التي ذكرها قبل قليل تُعد من البحرين في ذلك الزمان، وكذلك الجزر التي حولها كشقاب وبوار أو بوارة كما وردت في معاهدة الصلح المتقدمة، وهي تقع ضمن ما يُعرف الآن بجزر حوار، وبالتالي فلا وجه لقوله إنّ ساحل هجر هو أول بلاد البحرين بل قطر ومضافاتها هي أول البحرين إلا إن أراد بذلك لبّ البحرين أي هجر والخط وأوال.

[٢٠٤] محمد بن محمد = الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٩م) ج١: ٣٨٦، ويلاحظ أنّ فيه اختصار كثير عن الذي ذكره ابن خرداذبة قبل قليل.

[٢٠٥] الأحساء هذه ليست أحساء هجر، وإنما هي أحساء أخرى تُعرف بأحساء خرشاف ذكرها الأزهري في كتاب التهذيب (انظر رسمها في المعجم الجغرافي

ثم إلى ساحل هجر مرحلة".

والثابت من كلِّ هذه النصوص أنّ ساحل هجر كما رأينا يقع شمال العقير بمرحلة واحدة، وجنوب حمض بمرحلة؛ كما عرفنا من نصّ الهمداني المتقدم في كتابه صفة جزيرة العرب أنّ هذا السِّيف مواجه لجزيرة أوال، ونحن نعرف الآن موضع العُقير، وأما حمض أو حمص فقد سبق وذكرت في إحدى الحواشي قبل قليل أنّ بعض صانعي الخرائط الأوربيين في القرن الثامن عشر الهجري قد وضعوها جنوب القطيف قرب ساحل دوحة رحوم المعروفة الآن بـ(شاطي نصف القمر)، وإزاء كل هذه المعطيات فإنّ موضعاً واحداً فقط ينبغي أن يكون هو ساحل هجر، وهو ساحل راس القرية[٢٠٦] الذي سبق وتحدثت عنه، فهو يقع شمال العُقير، وهو يتطابق مع قول ابن

للبلاد العربية السعودية للشيخ الجاسر)، وهي الآن تسمّى خريشيف بالتصغير، وتقع جنوب جو سمين.

[٢٠٦] سبق وأوضحت رأيي في أنّ هذا الاسم قد يكون مما ساهم كتابته باللغة اللاتينية إلى تحريف اسمه الصحيح حسبما أراه، وهو القُرَيِّح تصغير القراح.

خرداذبة وقدامة والإدريسي؛ كما إنه مواجه لجزيرة أوال حسب قول الهمداني، وبالتالي فإنّ جميع الساحل الممتد من العقير جنوباً إلى دوحة رحوم شمالاً هو بكل تأكيد الساحل الذي كان يُعرف بساحل هجر في الزمن القديم، وأنه كان فيه ميناؤها قبل أن يندثر قبيل ظهور الإسلام بقليل، ويتحول ميناء هجر إلى العُقير.

أين يقع موضع عَدَوْلى

بالعودة الآن إلى شعر نهشل بن حَرِّي الذي وصف فيه السُّفن الزنبرية بأنها كانت **"عَابراتٍ عَدَولَىْ قَاصِدَاتٍ لِلْقَرَاحِ"**، فإنه بات واضحاً لدينا الآن أنّ القراح يقع إلى الجنوب من عَدَولى لأنّ جنوب ساحل القراح الذي حددته للتو يأتي ساحل العُقير، فلا بد أن تكون عدولى واقعة في الجهة الأخرى لميناء القراح، وهي الشمال، وهو ما يعضده نصٌ نادر للخطيب التبريزي ذكر فيه أنَّ السُّفن العَدَوْلية: **"منسوبةٌ إلى جزيرةٍ من جزائر البحر يُقال لها عَدَوْلى أسفل من أوال،**

وأوال أسفل من عمان".[٢٠٧]

وواضح أنّ الخطيب يريد بلفظة "أسفل" أي الأقرب إلى العراق على اعتبار أنه فيها، والدليل على ذلك هو قوله: **"وأوال أسفل من عُمان"**، ونحن نعرف أنّ جزيرة أوال هي بالفعل أقرب إلى العراق من عُمان، وهو أمرٌ يقتضي أن تكون عدولى – التي نعتها بأنها جزيرة –[٢٠٨] تقع للشمال من جزيرة أوال أو قريباً من ذلك.

وبالعودة مرّة أخرى إلى شعر نهشل بن حَرِّي، فإننا نراه ينص في شعره على أنَّ سرب السُّفن التي رآها كانت "عابرات" لعَدَولى؛ "عامدات" للقراح، ولفظة العُبور لم يخترها الشاعر جزافاً، فهي تعني في اللغة العربية الفصحى قطع طريق من جهة إلى جهة أخرى، أو اجتياز نهر من ضفة إلى ضفة، وقد تعني أيضاً اجتياز نفق في جبل أو ما شابه، وإنّ

[٢٠٧] يحيى بن علي بن محمد الشيباني = الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده؛ دت) الصفحة ١٣٦.

[٢٠٨] وقد مرّ بنا وصف الجوهري والحموي لها بأنها قرية.

في توصيف الشاعر للسُّفن بـأنها عابرة من عَدَولى يعطي انطباعاً واضحاً أنَّ هذه السُّفن تجتاز عند خروجها من مرفأ عَدَوْلى ما يشبه النَّفق، أو مضيقاً بحرياً محاطاً باليابسة، وهو ما يجعلني أرشح الواحة القديمة المعروفة بـ(عين السَّيْح) – الواقعة جنوب الظهران على دوحة بحرية شبه مغلقة إلا من ممرٍّ طبيعي ضيّق جداً – لتكون هي قرية (عدولى) إذ يتضح من وصف نهشل – وقوله عن هذه السفن الزنبرية إنها عابرات لمرفأ عدولى وعامدات لمرفأ القراح – أنه وَصْفُ شخصٍ كان جالساً على كثيبٍ عالٍ جداً، وهو يرى بعينيه تلك السُّفن الزنبرية وهي خارجة من مضيق دوحة عدولى إلى أن تصل القراح من دون أن تغيب عن عينيه، وأفضل موضع يرى الإنسانُ فيه كلاً من دوحة عين السَّيْح وساحل القراح هو الرأس البحري المسمى برأس الخثاق الذي يمتد كإسفين حاد داخل مياه البحر حتى يصل رأسه إلى بُعد سبعة كيلومترات فقط من الجزء الشمالي لرأس القُريّة (القُرَيّح) ليحصرا بينهما الدوحةَ البحرية الجميلة التي كانت تُعرف بـ(دوحة رحوم)، وحالياً بـ(خليج نصف القمر).

وكانت توجد في رأس الخثاق هذا كثبان رملية عالية جداً لم يبق منها الآن سوى القليل بسبب عمليات السلب الجائر لرمالها من قبل ما يُسمى بشركات الإعمار والبناء في المنطقة، وكان المرءُ الذي يقف على بعض هذه الكثبان في السابق وحتى ما تبقى منها الآن يستطيع أن يرى بكل وضوح - ولا سيما في الأيام التي يصفو فيها الجوُّ - دوحة عين السَّيح وواحتها الجميلة إلى الشمال الشرقي منه، وكذلك مرفأ ساحل القُرّيّة إلى الجنوب الغربي، فالمسافة بين هذين الموضعين تصل إلى ٣٠ كلم فقط، ولأنّ رأس الخثاق يقع في منتصف هذه المسافة تقريباً، فإنّ كلا الموضعين يبعدان عنه بمسافة ١٥ كلم، وهي مسافة يستطيع سالمو البصر رؤية هذين الموضعين منها بوضوح في الأجواء الصّافية، وعندها سيرى من يشاهد ذلك صحة ودقة توصيف الشاعر نهشل بن حَرِّيّ.

تنقيبات أولية تدل على وجود صناعة للسفن في عين السَّيح

إنّ النتيجة حتى الآن تبدو واقعية ومنطقية فيما قلته عن تحديد موقع (عَدَولى) اعتماداً على شعر نهشل بن حَرَّي وكلام الخطيب التبريزي، ولكن وبطبيعة الحال لا يقتصر

استدلالي على كون عدَوْلى هي واحة عين السَّيْح على ما ذكره هذان العلمان فقط رغم وضوحه، ولكنني أشير أيضاً إلى نتائج تنقيب آثاري مبدئي قام به بعض الباحثين المكلفين من وكالة الآثار السعودية مؤخراً في موضع عين السَّيح تم التوصل فيه إلى نتائج تؤكد بأنّ هذه الواحة كانت مأهولةً حتى الألف الخامس قبل الميلاد.

إلا أنّ أهم ما تم الكشف عنه بالنسبة لبحثنا هنا هو وجود بقايا آثار ربما دلّت على أنّ عين السَّيْح بالفعل كانت موضعاً لصناعة السّفن المحلية وترميمها، ولأترك الحديث هنا لأحد الباحثين[٢٠٩] الذين قاموا بعملية التنقيب في الموقع ليحدثنا حول هذا الأمر كما ورد في بحثه الذي يقول فيه عند هذه النقطة:

"ومن المعثورات المهمة المكتشفة جذع شجرة متعرج بلون بني غامق و بطول ١١٥ سم وقطر ١٠سم كان ظاهرا منه جزء

---

[٢٠٩] هو الأستاذ نبيل شيخ من سكان مدينة الجبيل، ولديه خبرة جيدة جداً في التنقيب عن الآثار، وقد عمل برفقة منقبين غربيين عن الآثار في المملكة العربية السعودية ومملكة البحرين مما أكسبه مهارة جيدة في هذا المجال.

بسيط فقط بطول ١٠ سم عليه علامات التلف لتعرضه لعوامل التعرية، أما الجزء الأكبر من هذا الجذع فكان مدفونا إلى عمق حوالي ٣٠ سم تحت سطح التربة الرملية الرطب وهو بحالة جيدة وإنّ حيوانات النوّ البحري ملتصقة عليه،[٢١٠] وعلى طرف هذا الجذع من الجهة المدفونة علامات القطع بأداة حادة قد يكون الفأس كما إن حيوانات النو كانت لاصقة على الخشب وليس على اللحاء مما يثبت أن اللحاء قد نزع عن الجذع لسبب ما قد يكون لبناء أو تصليح نوع من القوارب المحلية الصغير[ة] على أرض الموقع أو أن يكون هذا الجذع مع القطع الأخرى لحمل ورفع قارب صغير على الشاطئ القديم بقصد التصليح؟.

هذا الجذع كان بالقرب من ثلاث قطع خشبية لم تستخرج

[٢١٠] يلاحظ – كما هو هنا وكما سيأتي أيضاً – أنّ الباحث قد سها، وقال إنّ حيوانات النوّ البحري هي التي كانت ملتصقة بالقطع الآثارية المكتشفة، والأصح هو القول بأنّ قواقع أو أصداف هذا الحيوان هي التي تكون ملتصقة بالقطع وليس الحيوان نفسه، وقد تنبه الباحث الكريم لذلك في بعض المواضع من بحثه، فكتبها صحيحة.

بعد، كما يوجد القليل منها في الموقع، قد يكون هذا الجذع لشجر الأكاشيا (ACACIA Mill) وهذا افتراض أولى ليس مبنياً على دراسة مخبرية لكن بالنظر عليه فهو شبيه به.

.. كما يوجد بناء كبير مرتفع غطت الكثبان الرملية معظمه يلاحظ به جدران عريضة مليسه مبنية بالحجارة وعلى المبنى كسر من الفخار الإسلامي، وعلى أطراف المبنى السفلى قواقع مياه عذبة من نوع (Melanoides Tuberclata) مما يوحي بوجود مصدر ماء، إن وظيفة هذا المبنى وتاريخ بنائه ليس معروف إلى أن يتم التنقيب فيه".[٢١١]

وأرى أنا أنّ هذا البناء الكبير الذي أشار إليه الباحث، والذي وصفه بأنّ له جدران عريضة مليسة، ومبنية بالحجارة قد يكون بقايا رصيف بحري أو مرفأ كان سكان هذه المستوطنة يستخدمونه أثناء صناعة السُّفن أو إصلاحها، وهو قد يدلُّ مع بقايا آثار الأشجار المكتشفة بقربه، والتي تحدث عنها الباحث

---

[٢١١] نبيل شيخ: الاستيطان المبكر في المنطقة الشرقية "عين السيح" بحث منشور في مجلة الواحة: العدد السادس والعشرون-الربع الثالث عام ٢٠٠٢ م.

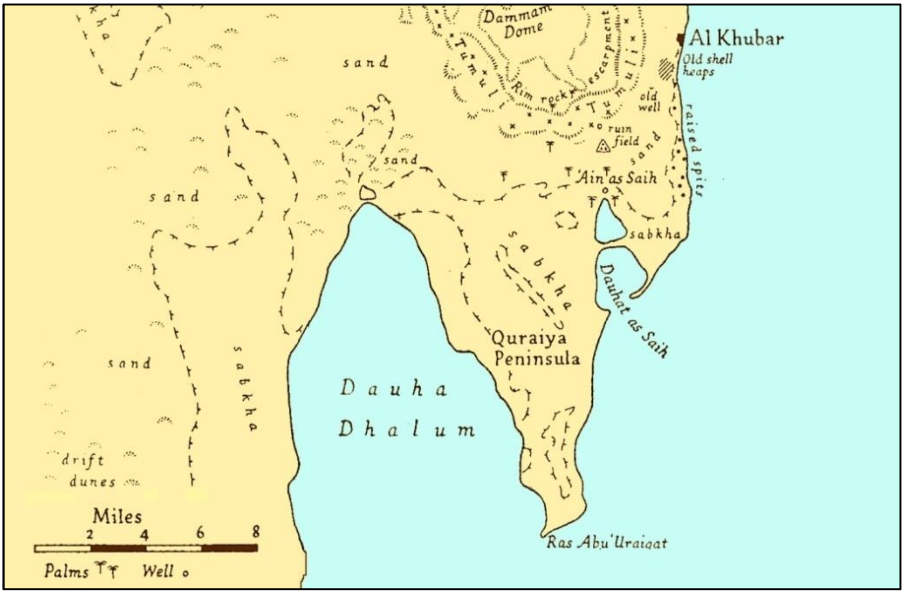
على قيام صناعة للسفن القديمة عند هذه الواحة.

وتعتبر واحة عين السَّيْح تابعةً لمنطقة الظهران التي كانت في زمن القرامطة وبداية حكم الدولة العُيونية ذات دخل كثير من البر والبحر وثمار النخل والزروع على حد تعبير شارح الديوان المقرَّبي، والذي ذكر في الموضع نفسه أيضاً أنه كان بها قصرٌ للإمارة[٢١٢]، وهذا كله يدلّ على مدى ما كانت تتمتع به الظهران ذلك الوقت من رخاء وحياة حضارية، وما هذه المقبرة العظيمة ومقتنياتها الهائلة التي اكتشفت إلى الشمال من واحة عين السَّيْح بكيلومترين فقط إلا دليل إثبات على قيام حضارة لا تقل عن مثيلاتها في واحتي القطيف والأحساء وجزيرة أوال، ويبدو أن هذا البلد أعني الظهران ظلّ مزدهراً حتى بداية حكم العُيونيين كما يتضح من كلام شارح الديوان المقرَّبي المتقدم، وكل هذا يؤيد ما ارتأيته من أنّ آثار قرية عَدَولى ينبغي أن تكون مندثرة تحت رمال واحة عين السَّيْح، ولعل مزيداً من التنقيب الآثاري فيها يحسمُ لنا هذه النتيجة

---

[٢١٢] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب تحقيق عبد الخالق الجنبي وآخرين (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج٤: ٢٣١٢ – ٢٣١٣.

تماماً.



خارطة رقم (٨): وهي جزء من خارطة أعدتها شركة (أرامكو) باللغة الإنجليزية تظهر فيها واحة ودوحة عين السَّيْح، ويلاحظ أنّ الدوحة مجزأة إلى قسمين شمالي وجنوبي كانت تربط بينهما قناة طبيعية قديمة، ولكن يلاحظ كتابة مسمى رأس (أبو أريقط) في غير محله الصحيح فهذا رأس الخثاق، وأما رأس أبو أريقط فهو اللسان البرّي الواضح عند المدخل الجنوبي لدوحة عين السَّيْح.

الصورة رقم (١١) لليسار هي صورة فضائية التقطت عام ٢٠٠٧م لدوحة عين السَّيْح مقتبسة عن موقع الخرائط الشبكي (Maps.Google.com) وقد أوضحت فيها بعض ما لا بد من توضحيه، وهو حسب تسلسل الأرقام الموضحة في الخارطة:

١. الشارع السريع المؤدي شرقاً إلى جسر الملك فهد الرابط بين البحرين والسعودية.

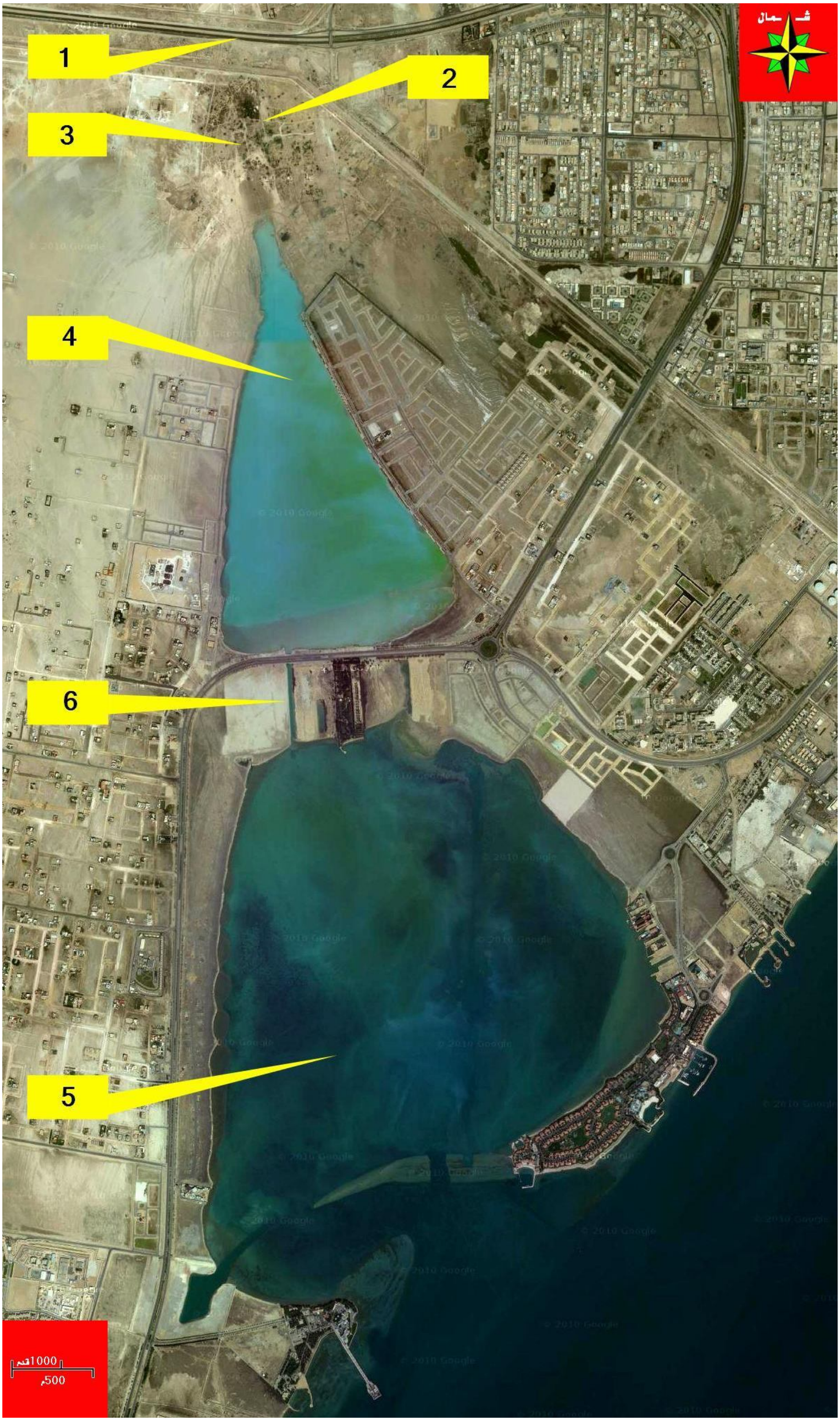
٢. بساتين واحة عين السَّيْح القديمة والحديثة، وهي تدل على وجود إعمار قديم فيها.

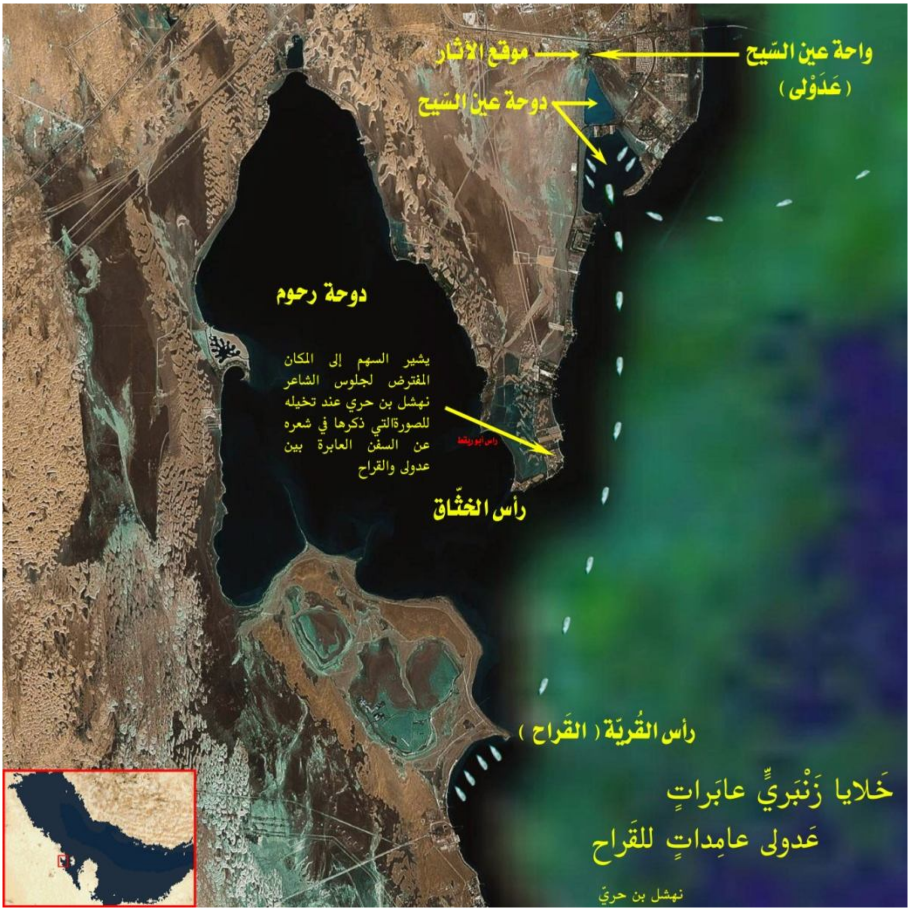
٣. عين السَّيْح التي سُميت الواحة والدوحة والمنطقة المحيطة باسمها، وكانت هذه العين تشبه عيون واحتي الأحساء والقطيف، وكان ماؤها يسيح على وجه الأرض، ولهذا أطلق عليها المتأخرون مسمى عين السَّيْح، ويعود الفضل لهذه العين في استقرار الحياة في الواحة.

٤. القسم الشمالي من دوحة عين السَّيْح البحرية، وهو القسم الذي أرجح أنه كانت تقوم فيه صناعة السفن نظراً لضحالته وصغره وإحاطة اليابسة به من جميع الاتجاهات مما يجعله بمأمن من الرياح العاتية، وهو ما يطلبه صانعو السفن.

٥. القسم الجنوبي من دوحة عين السيح البحرية، وهو أعمق بعض الشيء من القسم الشمالي كما يتضح من لون الماء في الجزءين، وأظن أن هذا القسم كان يستخدم بالإضافة إلى كونه مرفأ آمن لوقوف السفن المستعملة، فإنه يستخدم أيضاً لتدشين السفن الجديدة وتجربتها قبل إنزالها إلى البحر واستخدامها في شئون التجارة والمواصلات، ويلاحظ المدخل الضيق لهذا القسم الجنوبي من الدوحة، والذي ساهم في ضيقه وجود هذا الرأس الرَّملي الطويل الداخل في الماء عند مدخل الدوحة من الجنوب، وهذا الراس يعرف برأس أبو أريقط تصغير أرقط، ولكن العامة جرياً على عادتهم يسمونه (بوريقط)، ولأجل ضيق مدخل هذه الدوحة وصف الشاعر نهشل بن حَرِّي السفن الزنبرية التي رأها بقوله إنها "عابرات عدولى" لأن السفن لا بد أن تعبر إليها أو منها من خلال هذا المعبر الضيّق.

٦. الأرض اليابسة الفاصلة بين قسمي دوحة عين السَّيْح، والتي كانت في السابق أصغر مما تبدو في الصورة هنا؛ حيث قامت بعض الشركات الإنشائية بتوسعة هذه الأرض، وذلك بردم بعض المسطحات المائية من القسمين الشمالي والجنوبي للدوحة، وتعميق القناة الطبيعية التي كانت تربط بين قسمي الدوحة كما يشاهد بوضحوح في هذه الخارطة الفضائية، وأرى أنّ هذه القناة القديمة هي القناة التي كانت تمر منها السفن الجديدة الصنع من القسم الشمالي لتدشينها في القسم الجنوبي من الدوحة ومن ثم إنزالها إلى البحر للتجارة والسفر بها.


1
2
3
4
6
5
ش شمال
1000قدم
500م



الصورة رقم (١٢): هي أيضاً صورة فضائية مقتبسة من الموقع الشبكي (Maps.Google.com)، وقد قمت بتوضيح ما يجب توضيحه عليها حتى يبين للقارئ الكريم الصورة التشبيهية الفنية التي أراد الشاعر الفذ نهشل بن حَرِّي إيصالها إلينا عبر أبياته التي شبه فيها إبل القافلة التي كانت فيها حبيبته وهي تقطع وادي نساح من ضفة إلى أخرى بسرب (خلايا) من السفن الزنبرية رأها سابقاً وهي تعبر من مدخل دوحة عدولى المسماة الآن بدوحة (عين السَّيْح) قاصدة إلى مرفأ القراح الذي كان ميناء هجر الأقدم قبل إنشاء ميناء العُقير، وفي الصفحة التالية سوف يجد القارئ صورة مقارنة بانورامية بين قافلة من الإبل تخوض ماء وادٍ يشبه وادي نساح وبين سرب من السفن المحلية وهي تخوض غمار البحر، وسيرى من خلالها مدى دقة الوصف الذي ينطوي عليه بيتا نهشل بن حرّي في تشبيهه.











الصور (١٣)، و(١٤)، و(١٥)، و(١٦)، و(١٧): (العُليا يمين): للقسم الشمالي من دوحة عين السَّيح كما تبدو من المنطقة الفاصلة بينه وبين القسم الجنوبي من الدوحة، وقد بدت واحة عين السَّيح في آخر هذا القسم من الشمال، وفي (الصورة الوسطى يمين) بعض النخل القديم في الواحة، و(الصورة السفلى يمين) يبدو الحاج سعد بن أحمد بن عيسى بن أحمد المسعري الدوسري في بستان له في الواحة.

(الصورتان لليسار): صورتان بانوراميتان توضح وجه الشبه في شعر نهشل بن حرِّي بين قافلة جمال وهي تعبر واديا من ضفة إلى ضفة وبين سرب مراكب بحرية محلية تسير في البحر من مرفأ إلى مرفأ.

عَيْنُ الزَّارَة

ووقوف الرسول ﷺ عليها

مَدِيْنةٌ شَدِيْدةُ التَّحْصِيْن ونُقْطَةُ ضَعفِهَا عَيْنُهَا

من مضحكاتِ الأقدار أن عين الماء التي كانت – يوماً ما – أحد أهم أسباب منعة مدينة الزارة عاصمة القطيف القديمة كانت في الوقت ذاته نقطة ضعفها، والسببُ الرئيسُ في استسلام هذه المدينة للعلاء بن الحضرمي قائد الجيش الإسلامي الذي توجه ومعه قبيلة عبد القيس وبعض الصحابة لفتح هذه المدينة العنيدة الحصينة، فبمجرد أنْ عرف هذا القائد سرّ هذه العين بعد أنْ دلّه بعض السكان المحليين على مجراها الذي كان يزود مدينة الزارة بالماء، وقام بسده عن المدينة وتحويله عنها استسلم له المتحصنون فيها فوراً، وأعلنوا رضوخهم له بعد حصار طويل بلغ السنتين أو أكثر لم يبدِ فيه هؤلاء المحاصرون أي شكل من أشكال الخنوع أو القلق.[٢١٣]

---

[٢١٣] انظر:

- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان؛ تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م) ج١: ٩٥.
- خليفة بن خياط العصفري: تاريخ خليفة بن خياط؛ تحقيق سهيل زكار (بيروت: دار الفكر ١٩٩٣م)؛ الصفحة ٨٤.

ففي أحد الأيام الأخيرة من هذا الحصار الطويل المرهق فوجئ العلاء برجل يخرج من المدينة المحصورة ليقف أمامه طالباً الأمان له مقابل أن يدله على العين التي تزود المدينة بالمياه ضامناً له استسلام المحاصَرين في المدينة إذا قطع ماء هذه العين عنها، وبالفعل وافق العلاء على طلب هذه المستأمن الذي دلّه على عينٍ عظيمة الماء قوية الجريان تقع خارج سور المدينة، وكان ماؤها يجري عبر قنوات تدخل إلى المدينة، فيسقي نخيلها وزروعها وبساتينها، فقطعه العلاء عنهم، وبمجرد انقطاع الماء عن المدينة فتح المحاصَرون أبواب المدينة العتيدة للعلاء وجنده رافعين راية الاستسلام والخضوع.

ولعل القارئَ يتساءل هنا، فيقول: لماذا لم يستطع العلاءُ طيلة هذه المدة الطويلة من اكتشاف مجرى هذه العين الذي يدخل إلى المدينة ويقطعه عنهم في وقت مبكر بدلاً من الانتظار كل هذا الوقت؟!!، والجواب بسيط، فمجرى هذه العين لم يكن ظاهراً فوق سطح الأرض كما كنا نشاهده في مجاري عيون القطيف حتى وقت قريب، وإنما كان هذا المجرى مطموراً تحت الأرض، وكان يجري خلال قناة مسقوفة ومدفونة في باطن

الأرض تصل من العين إلى داخل المدينة المحصورة، وبالتالي فإن العلاء عندما كان يدور حول سور الزارة لم يكن يرى أي مجرى نهر سطحي يدخل إليها وإلا لكان هذا القائد المحنك قد قطعه عنهم، ولكن لأنّ الماء كان يصل إلى المدينة عبر قناة مطمورة تحت الأرض، فإنّ العلاء عجز عن اكتشافها حتى دله ذلك الرجل المستأمن عليه، وبالتالي سارع إلى قطعه عن المحاصرين داخل المدينة، فتحقق له بذلك الظفر عليهم.

ويقدم لنا البلاذري في كتابه فتوح البلدان سرداً جيداً لهذه الحادثة، فيقول:[٢١٤]

"تحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي كان وجهه لقتل بنى تميم حين عرضوا لعيره - واسمه فيروز بن جشيش - بالزارة، وانضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف، وامتنعوا من أداء الجزية، فأقام العلاء على الزارة، فلم يفتحها في خلافة أبى بكر وفتحها في أول خلافة عمر، وفتح العلاء

---

[٢١٤] أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان؛ تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م) ج١: ٩٥.

السابون[٢١٥] ودارين في خلافة عمر عنوة، وهناك موضع يعرف بخندق العلاء، وقال معمر بن المثنى: غزا العلاء بعبد القيس قرى من السابون في خلافة عمر بن الخطاب ففتحها، ثم غزا مدينة الغابة[٢١٦] فقتل من بها من العجم، ثم أتى الزارة وبها المكعبر فحصره، ثم إن مرزبان الزارة دعا إلى البراز فبارزه البراء بن مالك فقتله، وأخذ سلبه، فبلغ أربعين ألفا، ثم خرج رجل من الزارة مستأمنا على أن يدل على شرب القوم، فدله على العين الخارجة من الزارة، فسدها العلاء فلما رأوا ذلك صالحوه على أن له ثلث المدينة وثلث ما فيها من ذهب وفضة، وعلى أن يأخذ النصف مما كان لهم خارجها".

---

[٢١٥] سبق الحديث عنه.

[٢١٦] سبق الترجيح أنها ما يُعرف موضعها الآن باسم الغُبَيْبة تصغير غابة، وهي تقع شمال غرب صفواء، وشمال شرق أم الساهك، وهي موضع مرتفع به عيون وآثار واضحة، ويمر بها الطريق السريع الذي يربط بين الظهران والجبيل، وبسبب ارتفاعه عن سطح البحر، فقد كان مفضلاً للسكن من قبل العجم كما هو واضح من هذا النص.

لعله حتى هذا الحد لا تبدو هذه العين متميزة عن غيرها من عيون القطيف الكثيرة التي تبلغ أكثر من ثلاثمائة عيناً، أو حتى إنها لا تتميز بذلك عن بضع عُيون قوية تحيط بموضع الزارة حالياً،[٢١٧] ويصلح أياً منها لأن تكون هي عين الزارة بكل جدارة واستحقاق، ولكن الأمر سرعان ما سينقلب إلى ١٩٠ درجة عندما نعرف أنّ هذه العين قد تشرَّفت بوقوف رسول الله محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – عليها، وأغلب الظن أنه شرب من مائها أو لعله اغتسل فيها لتنال بذلك هذه العين شرفاً لا يضاهى على باقي عيون القطيف القديمة المشهورة.

ويعود الفضل في معرفتي لذلك إلى رواية نادرة عن وفد عبد القيس ذكرها كلٌّ من الإمام أحمد بن حنبل والفسوي تكمل رواية أحدهما الأخرى، وهي عبارة عن حديث جرى بين الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – وبين وفد عبد القيس

[٢١٧] انظر الخارطة المرفقة للعين وما حولها في آخر هذا البحث.

وقت وفادتهم عليه في المدينة المنوّرة، وفيه ما يدل على وقوف الرسول على هذه العين ورؤيته لها، ومن ضمن هذه الرواية هو ذلك الحوار الذي دار بين الرسول الأكرم – صلى الله عليه وآله وسلم – وبين الوفد حول أشهر قلاعهم وحصونهم في البحرين، فكان أن سألهم قائلاً:[٢١٨]

"أَيُّ هَجَرٍ أَعَزُّ؟؛ قُلْنَا: الْمُشَقَّرُ؛ قَالَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ دَخَلْتُهَا وَأَخَذتُ إِقْلِيْدَهَا؛[٢١٩] [أَيُّ الخَطِّ أَعَزُّ؟؛ فَقُلْنَا: الزَّارَةُ؛ فَقَالَ: فَوَاللهِ لَقَدْ دَخَلْتُهَا وَأَخَذْتُ إِقْلِيْدَهَا]؛[٢٢٠] [وَقُمْتُ عَلَى عَيْنِ الزَّارَةِ؛

---

[٢١٨] هذا الحديث روي أصله في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد بُتِرَ جزٌ هامٌّ منه، ولكْن ذُكر في كتابه الآخر فضائل الصحابة بعض هذا المبتور، وأتم الفسوي البعض الآخر من مبتوره في كتابه المعرفة والتاريخ، فجمعته من هذه المصادر الثلاثة جاعلاً مسند الإمام أحمد أصلاً له، وأما الإضافات التي في الكتابين الآخرين، فقد جعلتها بين قوسين وأشرت إلى مصدرها في الحاشية.

[٢١٩] الأقليد هو المفتاح هنا، وقد يكون للكلام دلالات رمزية لأننا لا نعرف الوجه في أخذ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – لمفتاح مدينة المشقر أو قلعتها.

[٢٢٠] ما بين القوسين إضافة من فضائل الصحابة للإمام أحمد، وهو في غاية الأهمية لأنه سد نقصاً خطيراً في الحديث.

عَلَى الحَجَرِ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ المَاْءْ][٢٢١]".[٢٢٢]

إنّ وصف عين الزارة بأنها كانت تخرج من حجر هو أشبه بما يُعرف الآن بمصطلح العلامة الفارقة المعمول به في بطاقة الأحوال الشخصية، والتي بها يتميز صاحب بطاقة ما عن غيره من الحاملين لذات اسمه واسم أبيه وجده لأنّ موضع الزارة – كما سبق وقلت – تحيط به عدة عيون قوية كلها تصلح لأن تكون عين الزارة إلا أنَّ ما ورد في هذه الرواية النادرة من أن

---

[٢٢١] ما بين القوسين إضافة من فضائل كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي، وهو أيضاً على الغاية من الأهمية لأنه سيكون له الفضل في تحديد موضع العين كما سنرى بعد قليل.

[٢٢٢] انظر عن هذا الحديث:

- الإمام أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة ٢٠٠١م) ج٢٩: ٣٦٢؛ الحديث رقم ١٧٨٢٩.

- الإمام أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة (بيروت: مؤسسة الرسالة) ج٢: ٨٢٩؛ الحديث الرقم (١٥١٤).

- يعقوب بن سفيان الفسوي: المعرفة والتاريخ؛ تحقيق خليل منصور (بيروت: دار الكتب العلمية بيروت دت) ج١: ١٢٩.

هذه العين تخرج من حجر قد ضَيَّقَ لنا دائرة البحث ليحصرها في عين واحدة فقط، وذلك لأن كل العيون التي تحيط بأرض الزارة الآن هي عيونٌ محفورة في أرض رملية أو طينية باستثناء عينٍ واحدة كانت تنبع من حجر بالفعل، وقبل أن أسترسل في الكلام عن هذه العين العظيمة لا بد من توضيح بسيط لمعنى لفظة "الحجر" التي وردت في هذه الرواية.

لقد اعتاد العرب أن يصغروا الكبير، ويكبروا الصغير في لغتهم الفصيحة لا لمجرد التهويل أو التبسيط، وإنما لما يقتضيه وصفُ الحال أو بلاغة المقال، فلفظة (اليَمّ) – مثلاً – تعني في اللغة العربية البحر، ولكنها وردت في كلام العرب بمعنى النهر كما في قوله تعالى مخاطباً أمّ موسى – عليه السلام – ﴿فَاقْذِفِيْهِ فِيْ اليَمّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بالسَّاْحِلِ﴾،[٢٢٣] وقد أجمع أغلبُ المفسرين على أنّ المراد باليم هنا هو نهر النيل بمصر الذي مهما بلغ اتساعه وكبره إلا أنه لا يصل إلى مستوى البحر في اتساعه وضخامته، وعكسه ما ورد في كلا أمير المؤمنين علي –

[٢٢٣] سورة طة: ٣٩.

عليه السلام – من تسمية نهر الفرات بالنطفة، وذلك في قوله لبعض أصحابه:

"وقد أردت أن أقطع هذه النطفة إلى شرذمة منكم موطنين أكناف دجلة فأنهضهم معكم إلى عدوكم".[٢٢٤]

وقد علّق الشريف الرضي على هذا الكلام بقوله:

"ويعني بالنطفة ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وعجيبها".[٢٢٥]

وقول الشريف الرضي بأنّ هذا من غريب العبارات وعجيبها محمول على تعجبه من فصاحة الإمام وبلاغته لاستخدامه مثل هذه الكلمة التي توحي بتحقير وتصغير نهر عظيم كالفرات بتسميته بالنطفة، ومردّ ذلك يعود لأنَّ مقتضى الحال كان يتطلب من أمير المؤمنين – عليه السلام – أن يُهَوِّن

---

[٢٢٤] محمد بن الحسين بن موسى الموسوي العلوي = الشريف الرضي: نهج البلاغة؛ تحقيق صبحي الصالح (بيروت ١٩٦٧م)؛ الصفحة ٨٧.

[٢٢٥] محمد بن الحسين بن موسى الموسوي العلوي = الشريف الرضي: نهج البلاغة؛ تحقيق صبحي الصالح (بيروت ١٩٦٧م)؛ الصفحة ٨٧.

على أصحابه عبورهم لهذا النهر فجاء بهذه اللفظة التي تفيد التهوين، وهو عكس المراد من الآية الكريمة التي ذكرناها عن وضع أم موسى لموسى في التابوت ثم قذفه في اليم، فلأنّ هذا العمل مخالف لفطرة الأمومة، فقد كان لا بد من تصوير مدى خطورة هذا الأمر الذي أقدمت عليه هذه الأم نحو ابنها، وبالتالي فقد كانت كلمة **"يَم"** التي تعني البحر هي الأفصح والأبلغ لاستخدامها في الآية هنا بدلاً من كلمة نهر، وذات الأمر ينطبق على قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فقول الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم – إنه وقف على الحجر من حيث يخرج ماء عين الزارة، فالمراد من هذا الحجر ليس حجراً عادياً كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، وإنما أريد به هنا تلاً أو هضبة صخرية كانت هذه العين تخرج منها، وقد سمَّت العرب الجبل حجراً، فقد جاء في شعر الحماسة قول جوَّاس الكلبي مخاطباً بني أمية:

جِئْتُمْ من الحَجَر البَعِيْدُ نِيَاْطُـهُ
وَالشَّامُ تُنْكِـرُ كَهْلَهَـا وَفَتَاْهَـا

وعلق المرزوقي في شرحه للحماسة على هذا البيت بقوله:

"وقوله جئتم من الحَجَر أراد بالحَجَر الجِنْس[٢٢٦]، والمراد: جئتم من المكان الكثير الحَجَر، ومن بلاد الحَجَر، يعني الحجاز".[٢٢٧]

أي أن المراد بالحجر الجبال لأن الحجاز أرض جبلية، وبالتالي فهي كثيرة الحجارة.

وجاء في شعر الراعي النميري يصف صيّادَين:[٢٢٨]

وَصاحِبا قُترَةٍ صُفرٌ قِسِيُّهُما
عِندَ المَرافِقِ كَالسِّيدَين في الحَجَر

وإنما أراد كالسِّيْدَيْن (الذئبين) في الجبل، ولكن القافية جعلته يستغني عن الجبل، ويأتي بشيء من جنسه، وهو الحجر.

وعلى هذا فالرواية عندما تقول إنّ عين الزارة كانت تخرج

---

[٢٢٦] أي جنس الحجر أو نوعه.

[٢٢٧] أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي: شرح ديوان الحماسة؛ تحقي أحمد أمين عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الجيل ١٩٩١م) ج٢: ١٤٩٨.

[٢٢٨] عبيد بن حصين بن جندل النميري = الراعي النميري: ديوان الراعي النميري؛ تحقيق راينهارت فايبرت (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ١٩٨٠م) الصفحة ١٣٠.

من الحجر، فإنّ المراد بالحجر جبلاً أو تلاً أو هضبة صخرية كانت تنبع منها هذه العين، فهل يوجد عينٌ قريبة من موضع الزارة في القطيف كانت تخرج من تلٍّ أو هضبةٍ صخرية؟! والجواب هو نعم.

عَيْنُ الزَّارَةِ لا زَالَتْ مَوْجُوْدَةٌ وَلا زالت تَخْرُجُ مِنْ حَجَرْ

إلى الجنوب من أراضي الزارة مباشرة يوجد موضع يعرف بـ (بَرِّيَّةِ الحُرَيْف)[٢٢٩]، والتي أرجح أنها هي ما كان يُعرف قديماً باسم ميدان الزارة الذي ذكره المؤرخون الأوائل في أخبار الثائر العبدي الريان النكري[٢٣٠] نسبة إلى بني نكرة بن لكيز بن

---

[٢٢٩] سُميَتْ بذلك نسبة إلى الموضع الذي تقع فيه، والمعروف بالحُريف، والذي نُسبت إليه العين أيضاً كما نُسب إليه قرية وتلٌّ صخري عُرف عند الأهالي باسم (جبل الحُريف) وقد نُسف هذا التلُّ بالديناميت عام ١٣٦٩هـ ليستفاد من صخوره في ردم الطريق بين حاضرة القطيف وجزيرة تاروت!!، وكان هذا التلُّ عبارة عن كتلتين من الصخر يشقهما طريق ضيق يوصل إلى العوامية، وموضع هذا التل بالتحديد هو من المكان الذي تقوم فيه الآن محطة محروقات الغانم الواقعة على طريق العوامية والورش المقابلة لها إلى حيث يقوم الآن مركز فقر الدم المنجلي بالقطيف (انظر الصورة رقم ١٨).

[٢٣٠] انظر أخبار الريان النكري عند:

أفصى بن عبد القيس، والذي ذكروا أنه خرج ثائراً على بني أمية عام ٧٩ للهجرة من قريته المعروفة بـ (طاب) من قرى الخطّ،[٢٣١] فطرد والي الأمويين من القطيف، ثم احتمى بحصن الزارة؛ إلا أنّ الأمويين سرعان ما أرسلوا له جيشاً بقيادة يزيد بن أبي كبشة السكسكي الأزدي، فالتقوا بـ(ميدان الزارة)، ودارت الدائرة على الريان ومن معه، فقُتلوا، وصُلبت أجسادهم.

والذين شاهدوا موقع الزارة قبل ثلاثة عقود من الزمان لا شك أنهم رأوا النخل الكثيف الذي كان يحيط به من جميع جهاته باستثناء الجهة الجنوبية حيث ينفرج النخل عن أرض

•أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: أنساب الأشراف؛ تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي (بيروت: دار الفكر دت) ج٨: ٤٩.

•خليفة بن خياط العصفري: تاريخ خليفة بن خياط؛ تحقيق سهيل زكار (بيروت: دار الفكر ١٩٩٣م)؛ الصفحة ٢١٣.

[٢٣١] أرى أنها هي ما كان يُعرف حتى وقت قريب باسم (طابه)، والتي ذكر لوريمر في دليل الخليج أنها كانت تقع بين جبل المدرع الشمالي وبين النابية الواحة الواقعة غرب سيهات، وهي عبارة عن واحة بها عين ماء وآثار سكن قديم، وهي تُعد من برِّ الظهران التي كانت من مساكن بني نُكرة العبديين.

برية صلبة لا زرع فيها ولا نخل هي برية الحريف هذه،[٢٣٢] والتي أرجّح بقوة أنها هي ميدان الزارة المذكور للتو.

وأياً كان الأمر، فإنه كان يوجد ضمن هذه البرية دكة صخرية مسطحة، ومرتفعة قليلاً عما حولها، وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ١٧٠ متراً تقريباً، وأقصى عرض لها من الشرق إلى الغرب ٩٨ متراً أما ارتفاعها فلم يكن يتجاوز ٥ أمتار عما حولها، وكان الأهالي يطلقون على هذه الدكة ودكة مشابهة لها تقع جنوبها بقليل مسمى (جبل الحُرَيْف) تجاوزاً، وقد كُسحت هاتان الدكتان قبل عقدين ونيّف من الزمان، ثم أقيم فوق ما تبقى من الدكة الشمالية مركز فقر الدم المنجلي بالقطيف الواقع على شارع العوامية.

غير أن أهم ما كان يميز هذه الهضبة هو وجود عين غزيرة الماء تخرج من ركنها الشمالي الغربي، وكانت تُعرف مؤخراً باسم (عين الحريف)، وبعضهم يسميها بـ(عين أم دلاس).[٢٣٣]

---

[٢٣٢] انظر الصورة رقم (١٨) المرفقة آخر البحث.

[٢٣٣] منهم الحاج أبو علي عبد الله بن علي النمري من أهالي العوامية

فهذه العين هي العين الوحيدة من العُيون المحيطة بموضع الزارة التي ينطبق عليها قول الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – إنّ مائها يخرج من الحجر أي الدكة المسماة بـ(جبل الحُريف)، ولهذا فإنني أرى بيقين أنها العين التي كانت تُعرف قديماً باسم (عين الزارة) الشهيرة التي ذكرت في كتب التاريخ والمعاجم اللغوية، والتي لولا قيام العلاء بن الحضرمي بقطع مياهها عن مدينة الزارة لطال استسلام المحتمين بها إلى مدة أطول مما كانت عليه بكثير لأنها كانت – كما هو الحال عليه حتى وقت قريب – تضطلع بسقي بساتين الزارة وحقولها، والأمر في الحصار لم يكن متوقفاً على انعدام الماء عن المحاصَرين؛ بل انقطاعه عن مزروعاتهم وبساتينهم وحقولهم التي كان جل اعتمادهم عليها لتوفير الغذاء.

وهنا يتضح لنا المقصود من الرواية التي نَصَّتْ على أن الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم – وقف على الحجر من

أخبرني أنّ اسمها هو (عين أم دلاس)، وأن تسميتها بعين الحريف بسبب أنها تقع عند الجبل المسمى بالاسم ذاته، والحاج أبو علي من أهل الخبرة والدراية بالمواضع في القطيف وما يحيط بها.

حيث يخرج ماء عين الزارة، وهو أنه - صلى الله عليه وآله وسلم – إنما وقف على دكة (جبل الحُريف)، فشاهد هذه العين العظيمة، وهي تخرج من ركنها الشمالي الغربي، ولا شك أنه كان منظراً رائعاً خلاباً يرتسم في الذهن ولا ينمحي بسهولة منه، فلا أجمل من الجلوس فوق هضبة مرتفعة عما حولها، ومشاهدة عين ماء خرارة تخرج منها، وبساتين النخيل الخضراء الزاهية الألوان تحيط بتلك الهضبة والعين، وإلى الشرق والشمال الشرقي من هذه الهضبة خلف بساتين النخيل تلوح زرقة مياه بحر القطيف الزمردية ليشكل كل ذلك واحدة من أروع اللوحات الطبيعية التي كانت في المنطقة على الإطلاق.

وقد ذكر العالم اللغوي الكبير أبو منصور الأزهري عين الزارة في كتابه الشهير (تهذيب اللغة)، وذلك عندما وقع في أسر القرامطة عام ٣١١هـ، فقال عنها:

"عينُ الزَّارَةِ بالبَحْرَيْنِ معروفة، والزَّارَةُ قريةٌ كبيرةٌ بهَا"[٢٣٤]

[٢٣٤] محمد بن أحمد بن طلحة الهروي الأزهري: تهذيب اللغة؛ تحقيق أحمد عبد العليم البردوني (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤) ج١٣: ٢٤١.

وهذا النصّ يدلُّ على أن العين كانت موجودة، ومعروفة باسمها عين الزارة حتى بداية القرن الرابع الهجري، وهو يدلّ على أنّ أبا سعيد الجنابي لم يدفنها عندما فتح مدينة الزارة وقتل حاكمها علي بن مسمار الجَذَميَّ العبدي كما حاول أن يدفن عين هجر عندما فتح هذه المدينة وقتل حاكمها عياش بن سعيد المحاربي العبدي.[٢٣٥]

تَحْقِيْقُ زِيَارَةِ الرَّسُوْلِ - صَلَىْ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ - لِلزَّارَةْ

لقد ذهب بعض الباحثين في تاريخ هذه المنطقة إلى أنّ زيارة الرسول لها قد تكون أثناء العروج به إلى السماء إلا أنني لا أميل إلى هذا الرأي، والذي أميل إليه هو أنه قد زار المنطقة قبل أن يأتيه الوحي، ويجب أن لا يغيب عن بالنا أنّ حياة الرسول قبل البعثة لم تُكتب بالتفصيل الذي كُتبت به بعد البعثة، فمن المعروف أنه - صلى الله عليه وآله وسلم – كان قد عمل في التجارة للسيدة خديجة – رضي الله عنها – وهو في الحادية والعشرين من عمره، وهو العمر نفسه الذي

---

[٢٣٥] فصلت ذلك كله في شرح ديوان ابن المقرّب، وكتاب هجر وقصباتها الثلاث، فليراجعه من أراد.

تزوجها فيه على بعض الروايات[236]، وقد بُعث وهو في الأربعين من عمره أي أن بين عمله لها في التجارة وبين بعثته ١٩ سنة.

والتجارة في تلك الأزمان كانت تقوم على ارتحال التجار من بلد إلى آخر في أقطار شبه الجزيرة العربية المترامية الأطراف مثل البحرين وعمان واليمن والشام والعراق، وكانوا يرتحلون من سوق إلى أخرى طيلة العام على تفصيل ذكره المؤرخون، وذكروا فيه أماكن هذه الأسواق والشهور التي تقوم فيها.[237]

وقد ذكر المؤرخون أربعة أسواق كانت في منطقة البحرين؛ منها سوقان كبيران في واحة الأحساء، وهما سوق المشقر

---

[236] عبد الملك بن هشام بن أيوب البصري النحوي: تهذيب السيرة النبوية لابن إسحاق؛ تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري (القاهرة: مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده ١٩٣٦هـ) القسم الأول ج١: ١٨٧ الحاشية رقم (١).

[237] أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني: الأزمنة والأمكنة؛ تحقيق خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٦م)؛ الصفحة ٣٨٢.

بهَجَر،[٢٣٨] وسوق الأحساء الذي كان يُقام في الجرعاء على كثيب أحمر بالقرب من القلعة المعروفة الآن بـ(قلعة المحيرس)؛ [٢٣٩] كما ذكروا أيضاً سوقين في واحة القطيف، وهما سوق الخط الوارد في خبر خروج الريان النكري الذي مرّ بنا قبل قليل،[٢٤٠] وسوق دارين في القطيف[٢٤١]، ودارين قريبة من الزارة؛ بل إنّ الزارة هذه كانت هي الأخرى من أسواق المنطقة، فقدذكر بعض المؤرخين أنّ أبا سعيد الجنابي قبل أن يقوم بحركته

---

[٢٣٨] أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني: الأزمنة والأمكنة؛ تحقيق خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٦م)؛ الصفحة ٣٨٣.

[٢٣٩] لقد انتهيت من تحديد موضع هذه السوق في كتابي (هجر وقصباتها الثلاث – الطبعة الثانية)، وتحقيقي لـ(شرح ديوان ابن المقرب – الطبعة الثانية أيضاً).

[٢٤٠] أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: أنساب الأشراف؛ تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي (بيروت: دار الفكر دت)؛ ج٨: ٤٩.

وإن كان المحقق قد أخطأ عندما ذكر في الهامش السفلي أنّ الخط المذكور هو خطُّ عُمان، فالخط هي القطيف معروفة بهذا الاسم حتى وقتنا هذا.

[٢٤١] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي = أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب (بيروت: دار الفكر العربي) ج١: ١٨٥.

ويؤسس دولة القرامطة في القطيف كان يبيع الطعام والدقيق في عاصمتها الزارة،[٢٤٢] وإن كنتُ أرجحُ أنّ سوق الزارة هو سوق الخطّ المتقدم ذاته لأنّ الخطَّ هي القطيف، وإذا كان ثمة سوقٍ مركزي فيها، فالأولى أن يكون عند عاصمتها الزارة.

وقد مرّ بنا قول الرسول في الرواية السابقة أنه وقف على مدينتي المشقر والزارة وأخذ إقليدهما، فهذا يدل على أنه قد زار هاتين المدينتين بقصد التجارة للسيدة خديجة – رضي الله عنها – في سوقيهما الشهريين، وبالتالي فإننا نستطيع القول إن تلك الزيارة كانت في الفترة الواقعة بين الحادية والعشرين وبين الأربعين من عمره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم أي في الفترة الواقعة بين (٥٩٠ – ٦٠٩) للميلاد، ثم إنّ هذا الوصف الدقيق لعين الزارة وخروجها من هضبة صخرية دليل قوي على أنه شاهدها مشاهدة ذاتية، ووقف عليها بجسده الشريف صلوات الله وسلامه عليه وآله، فهذا الوصف الدقيق

[٢٤٢] سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة (دمشق: دار حسان ١٩٨٧م) ج١: ١٥٠، وهو ينقله عن كتاب تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ للقاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي.

الذي قاله عن عين الزارة قد أعطانا العلامة الفارقة الدالة عليها حتى بعد أكثر من أربعة عشر قرناً.

عَيْنُ الزَّارَةِ يُمْكنُ أنْ تَكْشِفَ عَنْ مَوْقعِ مَدِيْنَةِ الزَّارَة

لقد سررت كثيراً عندما أخبرني أحد الأصدقاء الآثاريين[٢٤٣] عن نية وكالة الآثار السعودية ممثلة في فرعها بالمنطقة الشرقية في القيام بعملية تنقيب للكشف عن أساسات سور مدينة الزارة العتيدة على يد نخبة من أبناء الوطن الذين أصبح لديهم خبرة لا يستهان بها من موظفي وكالة الآثار، وإنني هنا أتقدم بالشكر لهذا الفرع النشط لوكالة الآثار بالمنطقة الشرقية، والذي اكتشف الكثير من الآثار الرائعة، ومن أروعها قبر الأميرة بتل وليد الزاير بثاج الذي سَلِمَ من يد لصوص المقابر ليكشف عنه هؤلاء الفتية بكامل مصاغاته الذهبية من قناع الوجه الجنائزي الذهبي، والأسورة والقلائد وحلق الكساء بالإضافة إلى السرير الجنائزي الجميل ذي النقوش الطقوسية الأخاذة.

---

[٢٤٣] هو الأستاذ الباحث نزار آل عبد الجبار.

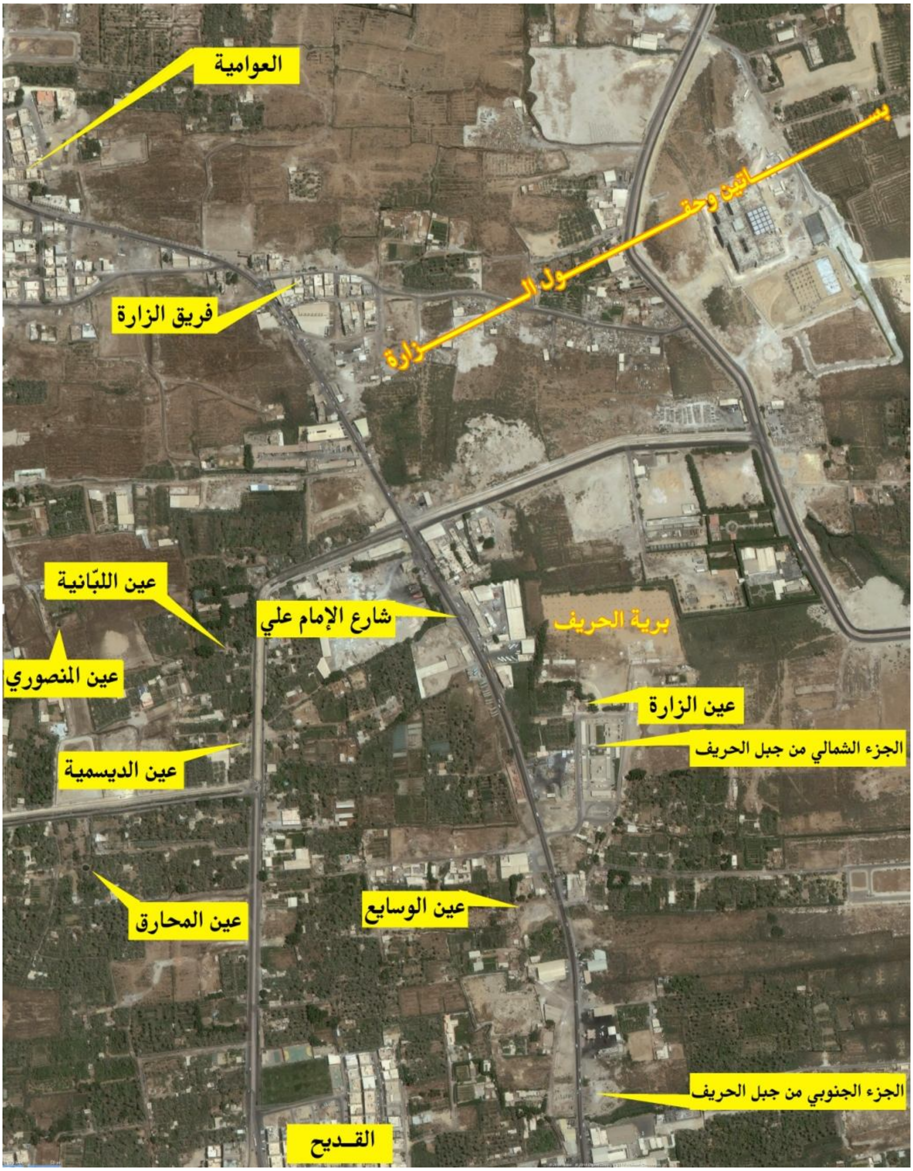
وأود بهذه المناسبة أن أوجه بعض المرئيات الخاصة بي، والتي لن يضرّ أعضاء الفريق المنقب الأخذ بها، وذلك أنه لا شك لدي أنّ هذه العين المعروفة الآن بعين الحريف أو عين أم دلاس، وقديماً باسم عين الزارة كان ماؤها يصل إلى مدينة الزارة عبر قناة مائية مطمورة تحت الأرض كما قلتُ في أول البحث؛ بحيث تدخل هذه القناة للمدينة، وتتقاطع مع سورها، ثم تمرُّ أسفل منه، وإن القيام بحفر مجسات عميقة بعض الشيء شمال العين مباشرة بحيث تغطي كامل جهتها الشمالية وجزءاً من كلي الجهتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية كفيلٌ بأن يوصل إلى هذه القناة المطمورة الخارجة من العين مباشرة خصوصاً وأنّ بعض أصحاب المزارع المحيطة بالعين قد أخبروني أنهم أثناء حفرهم في مزارعهم لتقليب التربة وزراعتها كانوا يصطدمون بحجارة صخرية تحت الأرض، ثم يتضح لهم أنها حجارة قنوات مائية، ومن هنا ينبغي تتبع القناة المتجهة صوب موضع مدينة الزارة الذي لا زال معروفاً حتى الآن، والسير معها، ولا شك حينها أننا سنصل إلى نقطة تقاطعها مع سور المدينة المطمور هو الآخر، وبالتالي يتم

الكشف عنه بإذن الله.

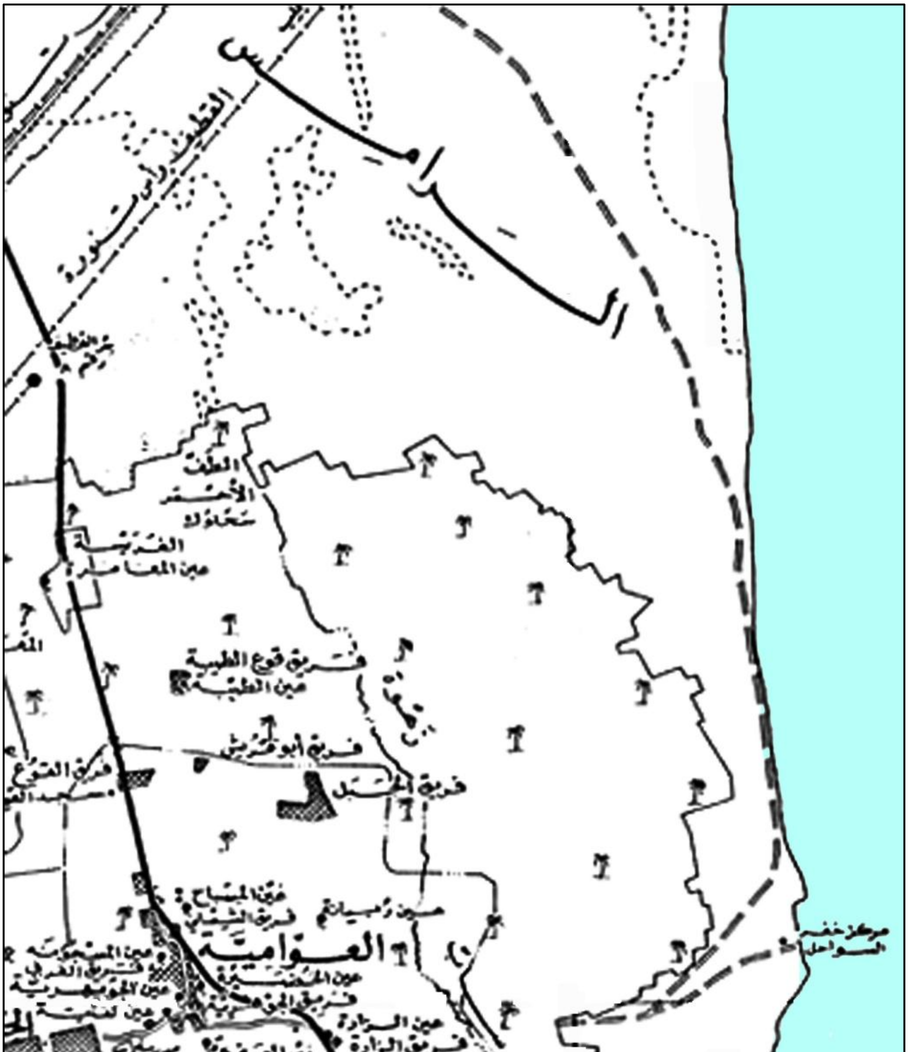
عَيْنُ الزَّارَةِ وَمَسْئوْلِيّةُ المُحَافَظَةِ عَلَيْهَا

أخيراً وكما أوضحت قبل قليل فإن هذه العين لا زالت موجودة حتى اليوم ولكن انخفض منسوب مياهها فلم تعد تجري، ويستخرج أصحاب البساتين المحيطة بها مياهها بواسطة المضخات الآلية لري بساتينهم، وتقع هذه العين الآن في الركن الشمالي الغربي مباشرة لمركز فقر الدم المنجلي لا يفصل بينهما سوى شارع بعرض خمسة أمتار فقط، وقد تم حفظها ولله الحمد بسور مبني من الطوب والإسمنت عليه باب يمكن قفله على العين، وصُبَّت الأرض المحيطة بها بالأسمنت، ولكن هل يكفي ذلك لإحياء هذه العين العظيمة؟! في اعتقادي إنه لا يكفي؛ فقد أدى إهمالها كغيرها من عيون القطيف الكثيرة إلى رمي بعض أصحاب البساتين المحيطة بها لمخلفاتهم فيها، وكذلك يفعل الكثير من الصبية الذين يقصدون العين، وكان الأولى بفرع مشروع الري والصرف بالقطيف لو أنه قام بتنظيف هذه العين وغيرها من العيون القديمة في القطيف وهيأ لها بركاً للاستحمام أسوة بعيون شقيقتها واحة الأحساء،

ولا سيما هذه العين التي تشرفت بوقوف النبي - صلى الله عليه وآله وسلم – عليها، فهي تستحق أن تلقى مزيداً من العناية والتنظيف والتعميق إن لزم الأمر، وكذلك بناء بركة لها للاستحمام لأن موقعها من المواقع الجميلة بالفعل في واحة القطيف، فإن لم يفعل فرع مشروع الري والصرف بالمنطقة ذلك، فيجب على أمانة محافظة القطيف القيام به، وإن لم تفعل الأمانة ذلك، فلا أقل من أن يهتم بالأمر بعض الغيورين من أهالي القطيف الذين أنعم الله عليهم بنعمه الكثيرة لإحياء هذه العين والمحافظة عليها وجعلها معلماً سياحياً لبلدهم، وأنعم بها من معلم تشرف بوقوف سيد الخلق عنده.



الصورة رقم (١٨): هـذه الصـورة: هـي صـورة فضـائية مقتبسـة مـن الموقـع الشـبكي (http://www.bing.com/maps) لجـزء مـن واحـة القطيـف، وقـد قمـت بتوضيح ما يجب توضيحه عليها كموقع الـزارة الأثـري، وأسمـاء المواضـع، وأشـهر العُيون المحيطة بها، ومنها (عين جبل الحُريف)، أو (أمّ دلاس) التي أوضـحت رأيـي أنها هي عين الزارة التي وقف عليها الرسول صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم، وقـد كتبتها باسمها القديم تيمناً بذكر الرسول لها به.



خارطة رقم (٩): وهي جزءٌ من خارطة قامت بصنعها أرامكو، ويبدو فيها الجزء الخاص بالزارة وبرية الحريف وجبلها، وعينها التي سُميت بـ(عين الحريف).



الصورة رقم (١٩): عين الحريف (الزارة) كما كانت تبدو عام ١٤٠٥هـ.



الصورة رقم (٢٠): عين الحريف (الزارة) كما كانت تبدو عام ١٤٢٥هـ.

اللُّؤْلُؤَةُ وَرَمْزِيَّتُهَا لِلْخُلُوْدِ عِنْدَ سُكَّانِ الخَلِيْج

مِنْ عَصْرِ جِلْجَامِشْ إلىْ عَصْرِ الفَرَزْدَقْ

مُرُوْرَاً بالمُسَيَّبِ بنِ عَلَسْ وَالأَعْشَىْ وَنَهْشَلِ بنِ حَرِّيّ

تمهيد:

إن المراد باللؤلؤة في هذا البحث هي تلك اللؤلؤة التي أسماها العرب القدماء بـ(الدُّرَّة)، وأسماها عرب الخليج المتأخرون بـ(الدّانة) مع العلم أنّ لفظة (الدانة) ليست عربية بالتأكيد؛ إذ لا يوجد لها ذكر في قواميس اللغة العربية القديمة، ولكنها ايضاً ليست بالتسمية الحديثة جداً،[٢٤٤] فهي مقتبسة عن اللغة الفارسية التي يوجد في قاموسها لفظة (دانه) التي لها معانٍ كثيرة منها (البذرة، التوتة، حبّة الفاصوليا، اللبّ)، وهي كلها معانٍ يمكن ربطها باللؤلؤة (الدُّرَّة)، ويسمي الفرس بعض حبات اللؤلؤ (جَوْ دانه) أي حبة الشعير لشبهها بها،[٢٤٥]

[٢٤٤] أقول ذلك لأنّ من المشهور عند عرب الخليج تلك الترنيمة الغنائية القديمة التي طالما رددوها في ليالي سمرهم وأفراحهم، وهي قولهم: "يا ليل دانة" (جريدة الوسط البحرينية؛ العدد ٦٥٢ | السبت ١٩ يونيو ٢٠٠٤م الموافق ١ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ)، وهي ترنيمة من التراث الخليجي القديم.

[٢٤٥] محمد بن أحمد البيروني: كتاب الجماهر في معرفة الجواهر (بيرت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٤م)؛ ١٢٥، وسأكتفي لاحقاً بتسمية المؤلف بـ(البيروني)، وكتابه بـ(الجماهر).

ويسمون بعضه (خاي دانه) أي حبة البيض[٢٤٦] وقد شاع استخدام (الدّانة) مجرّدة بدلاً من (الدُّرَّة) عند عرب الخليج فيما بعد القرن الحادي عشر الهجري، ونجد من ضمن معاني (الدّانة) عندهم أنها:

"اللؤْلؤَةُ الكَبيرَةُ؛ غَاليةُ الثَّمَنْ".[٢٤٧]

وهو ذات التعريف العربي القديم للؤلؤة (الدُّرَّة)، فقد جاء في مادة (درر) من لسان العرب:

"والدُّرَّةُ: اللؤْلُؤَةُ العَظيْمَة؛ قال ابن دُرَيْد هو ما عَظُمَ مِن اللؤْلُؤْ".[٢٤٨]

وفي الصحاح؛ مادة (عقل):

---

[٢٤٦] البيروني: الجماهر؛ الصفحة ١٢٩.

[٢٤٧] جمعة خليفة أحمد بن ثالث الحميري: دولة الإمارات العربية؛ رجال الغوص واللؤلؤ (دبي: هيئة المعرفة والتنمية البشرية دت) الصفحة ٢٥٩.

[٢٤٨] محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب؛ (بيروت: دار صادر ط٢ دت) ج٤: ٢٨٢.

"وعَقيْلَةُ كلِّ شَيْءٍ: أكرَمُه، والدُّرّة عَقيْلَةُ البَحْرْ".[249]

ومنذ قديم الزمان كانت اللؤلؤة (الدُّرَّة) المنسوبة إلى البحرين هي أجمل وأفضل وأغلى أنواع الدُّرّ على الإطلاق، ولهذا قال البيروني عن هذا النوع:

"إنَّ النَّجْم[250] البحْرَيْنيَّ إذا تَدَحْرَجَ[251] وبَلَغَ غايَتَهُ مِن مَحَاسِنِ الصِّفَات واتَّزَنَ[252] نِصْفَ مِثقَال، فهْوَ دُرَّة، وقيمتُها ألفُ دينار، ولَيس لما بَلَغَ مِثقالين منها قيمةٌ بالحقيقية، فاجعلها ما شئت ولا حَرَجْ".[253]

تشبيه كل ما هو جميل باللؤلؤ

---

[249] إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح؛ تحقيق أحمد عبد الغفور العطار (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٧م) ج٥: ١٧٧٠.

[250] سمي اللؤلؤ نجماً لأنه يشبه النجم في إضائته ولمعانه.

[251] تدحرج أي استدار، ويعني به التام الاستدارة.

[252] أي بلغ وزنه هذا المقدار الذي سيذكره.

[253] محمد بن أحمد الخوارزمي = أبو الريحان البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر؛ تحقيق فرتيز كرنكو (حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية ١٩٣٦م) الصفحة ١٢٩.

كان لجمال اللؤلؤة (الدُّرَّة) وخلابتها وما تتركه من بهر في عقل من يراها أنْ صيّرها ذلك مضرب مثل للجَمال والحسن، ونرى ذلك واضحاً حتى في أبلغ الكلام وأفصحه، وهو القرآن؛ حيث شبَّه الله سبحانه وتعالى غلمان الجنة باللؤلؤ المكنون في قوله:

﴿ **وَيَطُوْفُ عَلَيْهِمْ غُلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنهُمْ لُؤلُؤ مَكْنوْنْ** ﴾[٢٥٤]

وكذلك في قوله تعالى:

﴿ **وَيَطُوْفُ عَلَيْهِمْ وُلْدَانٌ مخَلدُوْنَ إِذَاْ رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤلُؤاً مَنْثوْرَا** ﴾[٢٥٥]

بل إنّ الله سبحانه وتعالى شبّه نوره بالكوكب الدرّي نسبة إلى الدرّة، فنراه يقول جل وعلا:

﴿ **اللهُ نوْرُ السَّمَوَاْتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيْهَاْ مِصْبَاْحٌ المِصْبَاْحُ في زجاجة الزجاجة كأنها كوكبٌ دُرّيّ** ﴾[٢٥٦]

---

[٢٥٤] الطور: الآية ٢٤.

[٢٥٥] الإنسان: الآية ١٩.

[٢٥٦] النور: الآية ٣٥.

وفي لسان العرب مادة (درر): **"وكوكب درّي .. منسوب إلى الدُّرّ"**[٢٥٧]

ومن هنا، فقد أكثر قدماءُ الشعراء العرب، ولاسيما شعراء الجزيرة العربية من تشبيه النساء الجميلات باللؤلؤة (الدُّرَّة) في شعرهم، ومن ذلك قول حسان بن ثابت:[٢٥٨]

وَلأنــتِ أَحسَــنُ إذ بَــرَزتِ لَنــا
يَــومَ الخُــروجِ بِســاحَةِ القَصــرِ
مِــن دُرَّةٍ أَغلــى المُلــوكُ بِهــا
مِمّــا تَرَبَّــبَ[٢٥٩] حــائِرُ البَحــرِ

فهؤلاء الشعراء، ولاسيما الذين عاشوا منهم بالقرب من البحر، وشاهدوا تلك المراكب البحرية الشهيرة، وهي تخرج من الموانئ الشهيرة لشرق شبه الجزيرة محملة برجال أشداء مقدامين لأجل البحث عن اللؤلؤ في مواقع معلومة لديهم

---

[٢٥٧] ابن منظور: لسان العرب؛ (بيروت: دار صادر ط٢ دت) ج٤: ٢٨٢.

[٢٥٨] عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان حسان (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى ١٩٢٩م) الصفحة ١٧٥.

[٢٥٩] تربب: أي رَبَّى بمعنى ربّاه.

وسط الخليج، ولطالما سمعوا من هؤلاء الرجال عن مغامراتهم أثناء الغوص لاستخراج المحار الذي يحوي بداخله اللؤلؤ، وما يواجهونه من أخطار محدقة بهم أثناء الغطس في البحر، وكذلك أثناء وجودهم في المراكب البحرية التي لم تكن بمنأى عن العواصف الخطرة والأمواج الهائجة التي كانت تُغرق الكثير منها.

الدُّرّة رمز الخلود عند شعراء العرب

ومن اللافت للنظر عند شعراء شرق الجزيرة العربية أنهم كانوا كثيراً ما يشبهون حبيباتهم باللؤلؤة (الدُّرَّة) ابتداءً، ثم يستطردون بوصف هذه الدُّرَّة ووصف الغواص الذي أسعده حظه باقتطافها، والأجمل من ذلك هو وصفهم بدقة مذهلة للحالة النفسية (السايكيولوجية) لهذا الغواص قبل ظفره بهذه الدرّة، وأثناء بحثه عنها، وحال رؤيته لها، وبعد حصوله عليها رغم المخاطر المهولة التي تحيط بها؛ حتى ليُخيّل للقارئ أنّ الشاعر هو نفسه الغواص، وأنّ ما ذكره في شعره ما هو إلا تجربة ذاتية حصلت له شخصياً مع أنّ هذا غير صحيح دائماً، ولكن نظراً لما يتمتع به الشعراء من حسٍّ شفاف وفكر لّماح،

فإنهم عندما يسمعون القصص والروايات من أصحابها فإنها تنطبع داخلهم بدقة عالية تبرز بوضوح من خلال تصويرهم لتلك الحالة النفسية للغواص في أشعارهم حتى كأن كلاً منهم هو ذلك الغواص نفسه يروي ما حصل له بلسانه.

إلا أنّ أكثر ما لفت نظري أثناء قراءتي لقصائد شعراء شرق الجزيرة العربية الذين تناولوا فيها وصف اللؤلؤة (الدُّرّة) هو نعتهم لها بأنها: (الخُلْد)[٢٦٠] أو (خُلْد الحياة)[٢٦١]، وأنّ من نالها ينال الخلود، وهو أمر مذهل لأنّه يقودنا إلى توصيفٌ ملحمي (Mythologies) قديمٌ جداً وجد في أحد أقدم النصوص المكتوبة التي وصلت إلينا حتى الآن، وهي (ملحمة جلجامش) التي

---

[٢٦٠] ميمون بن قيس البكري = الأعشى: ديوان الأعشى؛ تحقيق محمد حسين (القاهرة: ١٩٥٠م) الصفحة ٣٦٧.

وسأشير لاحقا للمؤلف بـ(الأعشى)، ولهذا الكتاب بـ(ديوان الأعشى).

[٢٦١] محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي: منتهى الطلب من أشعار العرب؛ تحقيق محمد نبيل طريفي (بيروت: دار صادر ١٩٩٩م)؛ ج٨: ١٢.

وسوف أشير لاحقا للمؤلف بـ(ابن المبارك)، ولكتابه هذا بـ(منتهى الطلب من أشعار العرب).

تحكي قصة هذا الملك السومري الباحث عن الخلود حتى وجده في لؤلؤة (ديلمون) المسمى الجغرافي الذي بات يعني عند أكثر المؤرخين والآثاريين كامل مناطق الساحل الشمالي الشرقي للجزيرة العربية وجزره بما في ذلك جزيرة البحرين، وجزيرة فيلكة، وشبه جزيرة قطر إلى مشارف عمان القديمة، ولهذا كان لا بد لنا من المرور أولاً بهذا الجزء المتعلق بالبحث عن الخلود في نصٍّ ملحمة جلجامش لأننا سوف نكتشف وجود تشابه كبير جداً بين هذا الجزء وبين ما ورد لدى شعراء شرق الجزيرة العربية بعده بأكثر من ثلاثة آلاف عام ليس في جعل اللؤلؤة رمزاً للخلود فحسب؛ بل في أكثر من وجه شبه آخر بين نص الملحمة ونصوص هؤلاء الشعراء كما سنرى عند استعراض الجزء المتعلق باللؤلؤة في ملحمة جلجامش ومقارنته بما ذكره هؤلاء الشعراء عنها في أعمالهم الشعرية هم أيضاً.

النبتة البحرية الواهبة للخلود في ملحمة جلجامش

على الرغم من أنّه لم يرد في ملحمة جلجامش ذكر اسمٍ لـ(اللؤلؤة) صراحة أو مقابل له في لغات بلاد ما بين النهرين

إلا أنّ ما ورد في العمود السادس من اللوح الحادي عشر منها يدلُّ دلالة واضحة عليها علماً بأنّ السلالات الأولى لسكان بلاد الرافدين كالسومريين والآكاديين والآشوريين لم يكن لديهم – فيما يبدو – في لغاتهم مسمى لـ(اللؤلؤ)، أو (اللؤلؤة)، ولهذا فإنّهم كانوا يطلقون عليه اسم (عيون السمك) كما ورد ذلك في بعض الألواح المسمارية التي تم العثور عليها في بلاد الرافدين منذ زمن السلالة الثالثة لأور وفترة إيزين – لارسا اللاحقة (نهاية الألفية الثالثة وبداية الألفية الثانية قبل الميلاد)،[٢٦٢] وهذا يعني أنّ تسمية (عيون السمك) إنما وردت في نصوص ما بعد السومريين الذين ينتمي إليهم جلجامش، ولم يُعثر حتى الآن على نصٍّ سومري ورد فيه اسمٌ خاص بـ(اللؤلؤ) أو (اللؤلؤة) أو ما يدلّ عليهما

---

[٢٦٢] انظر مثلاً:

- Samuel Noah Kramer: The Sumerians: Their History, Culture, and Character (University of Chicago Press, 1963), P. 283

- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام؛ (بغداد ١٩٩٣م) ج١: ٥٦٥.

غير هذا الاسم (عيون السّمك)، ومن ذلك ملحمة جلجامش التي تُرجم الاسم الدالّ فيها على اللؤلؤة بـ(النبتة) أو (الزهرة)، ولكنّ الوصف الذي وصفها به الرجل الخالد الساكن في دلمون (أوتونابشتيم)[٢٦٣] لجلجاميش عندما دلّه على نبتة تنبت في أعماق البحر (الأبسو)[٢٦٤] هو وصفٌ كافٍ لكي يدرك المرء أنّ المعني به هو الصدف الذي يحتوي على اللؤلؤ، ولنستمع إليه وهو يقول له:

"سأبُوحُ لكَ بسِرٍّ من أسرار الآلهة؛ يوجدُ نباتٌ مثلَ الشَّوك ينبتُ في المياهِ؛ إنه كالوَرْدِ شَوكُه يخزُ يديكَ كما يفعلُ الوَرْد"،[٢٦٥]

---

[٢٦٣] انظر:

G. Rodney Avant: A Mythological Reference AuthorHouse, 2005 P. 385.

[٢٦٤] تعني لفظة (الأبسو) عند سكان بلاد الرافدين القدماء المياه العميقة.

[٢٦٥] طه باقر: ملحمة جلجامش (بغداد: وزارة الإرشاد دت) الصفحات ١٠٢ – ١٠٣.

وسوف أشير للمؤلف لاحقا بـ(طه باقر)، ولكتابه هذا بـ(ملحمة جلجامش) مع ذكر الصفحة فقط.

ومع ذلك، ففي السطر التالي مباشرة لهذا الكلام ما يزيد الأمر تأكيداً ووضوحاً، إذ نجد فيه ما هذا نصه:

"وما أنْ سمعَ جلْجَامِش هذا القولَ حتَّىْ فتحَ المجرَىْ الذي أوْصَلَهُ إلى المياهِ العميقةِ، وَرَبط برجليهِ أحجاراً ثقيلة، ونزل إلى أعماق المياهِ حيث أبصر النبات، فأخذ النبات الذي وخز يديه، وقطع الأحجار الثقيلة من رجليه، فخرج من الأعماق إلى الشاطئ".[٢٦٦]

فهذا الوصفُ هو تقليد ظل قائماً في المنطقة عند غواصي صيد اللؤلؤ أن يربط كل غواص منهم ثقلاً من حجر أو حديد في قدميه ليسرِّع من إنزال جسده إلى قاع البحر من دون بذل جهد كبير ليستثمر جهده فقط في عملية البحث عن الصدفة الحاوية لـ(اللؤلؤ)، وهذه الصدفة معروف عنها أنّ لها حواف حادّة، وأنها تطبق على أي شيء يلامس باطنها، ولهذا فإنها إذا حصل وأطبقت على يد أحد الغواصين، فإنها تسبب له جروحاً، ومن هنا، فإنه يتضح لنا سبب تشبيهها بالوردة ذات

[٢٦٦] طه باقر: ملحمة جلجامش؛ الصفحة ١٠٣.

الشوك في نصّ (أوتونابشتيم) المتقدم، لأنّ الوردة إذا أراد شخص غير متمرّس قطفها، فإنه لا بد له من وخزات تأتيه من شوكها.

ومما يزيد الأمر تأكيداً أيضاً في أنّ المراد بهذه النبتة هي اللؤلؤة أو الصدفة الحاوية للؤلؤ هي تلك الجزئية من ملحمة جلجامش التي تشير إلى وجود الحيّة المائية باعتبارها عدوة لكل من يقطف هذه النبتة، فهي إن لم تستطع منع الغواص من أخذ النبتة بعَضِّه في يده، فإنها قد تخطفها منه بعد أخذه لها ولو بعد حين، ولهذا فإنّ في الملحمة فقرة تتحدث عن تسلل الحية المائية، وخروجها من الماء، واختطافها للنبتة أثناء غفلة جلجامش عنها للحظة من الوقت،[٢٦٧] والحية المائية أو ثعبان البحر كان دائماً مصدر قلق وخوف لدى غواصي اللؤلؤ بالإضافة إلى غيره من مخلوقات البحر كأسماك القرش والقناديل البحرية، ولكن تميزت الحيّات البحرية أو ثعابين البحر عن بقية المخلوقات البحرية الخطرة بأنها كانت غالباً ما تكون

[٢٦٧] طه باقر: ملحمة جلجامش؛ الصفحة ١٠٣.

جحورها بالقرب من الهيرات حيث تحتمي وتتربّى أصداف اللؤلؤ، فإذا ما رأى أحد الغواصين صَدَفَةً قُرب أحد هذه الجحور، ومد يده لاقتلاعها، فإنها عادة ما تخرج رأسها وتعضّه اعتقاداً منها أنه يريد إيذائها كما نعرف الآن، ولكنّ هذا الأمر لم يكن بهذا الوضوح عند القدماء، ولهذا فقد ربطوا بينه وبين عملية أخذ الصدفة الحاوية للؤلؤ ظناً منهم أنّ هذه الحيّة هي بمثابة الحارس لهذه الصدفة، وهو أمرٌ سنتبينه بوضوح في شعر الشعراء العرب الذين سنتناول شعرهم في هذا الشأن بالدراسة والتوضيح بعد قليل.

وإزاء كل هذا، فإنّ الصورة باتت واضحة لنا في أنّ المراد بالنبتة في نص ملحمة جلجامش هو اللؤلؤة أو المحارة الحاوية للؤلؤة، فهي الكائن البحري الوحيد الذي كان منذ قديم الزمان وحتى وقتنا القريب يستحق كل هذا العناء، ومواجهة أهوال البحر وأخطاره في سبيل الحصول عليه، ويؤكد ذلك ما قاله أوتونابشتيم لجلجاميش عندما دلّه على هذه النبتة:

"إذا مَا حَصَلَتْ يَدَاْكَ علىْ هذا النَّبَاتِ وَجَدْتَ الحَيَاةَ

الجَدِيْدَة".[٢٦٨]

وجملة **"الحَيَاْة الجَدِيْدَةْ"** هذه هي ترجمة طه باقري لملحمة جلجامش، وأما في ترجمة نانسي ساندرس، فقد ورد فيها:

"But if you succeed in taking it, then your hands will hold that which restores his lost youth to a man".[٢٦٩]

وأقرب تعريب إليه هو:

"إذا نَجَحْتَ فِيْ الحُصُوْلِ عَلَيْها سَوْفَ تَقْبَضْ يَدَاْكَ عَلَىْ ما يُعِيْدُ الشَّبَاْبَ المَفْقُوْدَ لِلْرَجُلْ".

غير أنّ الجملة وردت عند جاكسون بصورة أخرى هي كالتالي:

"That plant contains eternal life for you."[٢٧٠]

---

[٢٦٨] طه باقر: ملحمة جلجامش؛ الصفحة ١٠٣.

[٢٦٩] انظر:

SANDARS, Nancy K.: The Epic of Gilgamesh, Penguin Books, 1964, P. 116

[٢٧٠] انظر:

The Epic of Gilgamesh, Bolchazy-:Danny P. Jackson Carducci Publishers, 1997 P. 86

وواضح أن تعريبه هو:

"ذلكَ النباتُ يحتويْ حياةً أبديّةً لكْ".

وهو ما أكده طومبسون في ترجمته الأخيرة لملحمة جلجامش، فكتب عند هذا الموضع عن ذات النبات ما هذا تعريبه:

"إذا بَلَغَتْ يَدَاْكَ إلىْ هَذَا النَّبَاْتِ تَجِدْ الحَيَاةَ الأَبَدِيِّةَ بالتَّأكِيْدْ".[٢٧١]

وهكذا نرى أن كل الترجمات العالمية والمحلية لهذه الملحمة ترجمت هذه الجملة عن هذا النبات أو النبتة بما يفيد إكسابها صفة الخلود لمن يحصل عليها، ولسنا في حاجة الآن لتوضيح أنّ المعني بهذا الوصف ليس الصدفة التي أشير إليها باسم النبات أو النبتة في ملحمة جلجامش، وإنما المراد به هو اللؤلؤة العظيمة التي دائماً ما تتكون داخل الصدفة التي تشبه النبتة المشوكة بالفعل؛ أي أنّ ما يهبُ الشبابَ أو الخلودَ حسب ملحمة جلجامش هو اللؤلؤة، وهو ما ظل سكان

---

[٢٧١] انظر:

R. Campbell Thompson: The Epic of Gilgamesh, Complete Academic Translation, Forgotten Books, 1928, P. 88

ديلمون يرددونه ويعتقدونه حتى القرن السادس الميلادي حتى بعد أن أصبحت ديلمون تسمى البحرين؛[٢٧٣] حيث ذكر

---

[٢٧٣] اختلف علماء اللغات المسمارية على ترجمة الرمز المسماري () الذي يرمز إلى أرض مقدسة وصفت بأنها أرض الخلود، وبلاد الآلهة، ومبدأ الخلق والتكوين، وأنها تقع أسفل البحر المر (المالح)، فهناك من ترجم هذا الرمز بـ(دلمون/Dilmun)؛ في حين ترجمه آخرون بـ(تلمون/Telmun)، ويكاد يجمع معظم المختصين في دراسة تاريخ بلاد الرافدين حالياً أنّ دلمون هذه هي ذاتها الأرض التي أطلق عليها العرب لاحقاً مسمى (البحرين) الممتدة بامتداد الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية من جنوب البصرة الآن إلى حدود عمان القديمة التي يرى كثيرٌ من هؤلاء المختصين أيضاً أنها (مجان/Majan) الواردة هي الأخرى في أدبيات سكان بلاد الرافدين.

ويتراءى لي أنّ الترجمة (تلمون/Telmun) هي الأدقّ - وإن كانت الترجمة الأولى هي التي راجت أكثر - لأننا سنرى الجغرافي اليوناني سترابون في القرن الأول قبل الميلاد يطلق على جزيرة البحرين الحالية مسمى (تِيْر/Tyre)، وهو ذات الاسم الفينيقي القديم لمدينة صور اللبنانية أهم مدن الفينيقيين الذين يرى البعض أنّ أصولهم من هذه المنطقة هم أيضاً (جيوفري بيبي: البحث عن دلمون ترجمة أحمد عبيدلي؛ [نيقوسيا - قبرص ١٩٨٥م]؛ الصفحة ٧٣) - ومن الواضح وجود علاقة بين الاسم (Tyre) الذي كتبه سترابو بالاسم (ترْم) الذي ذكره نصر الإسكندري، ونصَّ على أنه الاسم القديم لمدينة أوال بالبحرين (نصر بن عبد الرحمن الإسكندري: الأمكنة والمياه والجبال والآثار؛ تحقيق حمد الجاسر [الرياض: دارة الملك عبد العزيز ٢٠٠٤م]

شعراؤها ذات الوصف وعينه لـ(اللؤلؤة الدرّة)، وكيفية

ج١: ١٦٤ – ١٦٥) – وبالفعل فإنه يبدو واضحا التشابه بين الاسمين (تير) و(ترْم)، أو (Tyre) و(Tarm)، ومن يدري فلربما كان الاسم القديم لأوال هو تير (Tyre) بالفعل، كما كتبها سترابو خصوصاً وأنّ هذه اللفظة أعني (تير) كانت معروفة وتُستخدم في الاصطلاح اللغوي المتعلق بالمسميات البحرية في المنطقة على أنه نجمٌ بحري، وكان بحارة الخليج القدماء يستخدمونه في مصطلحاتهم البحرية، ومنهم الربّان الخليجي الأشهر أحمد بن ماجد الذي كثر استخدامه لها في شعره، ومنه قوله يصف المسافات البحرية بالقرب من البحرين والقطيف:

وَمِنهُ للبحرينِ سِتَّةْ أزوَامْ

في مَغربِ العَقرَبِ بالتَّمَامْ

وَمَغرِبُ (التّيرِ) عَلَى تاروتَا

ترى القطيفَ عامراً منعوتَا

وقد اشتق من (التّيْر) في اللغة العربية لفظة (تيّار) الخاصة بالبحر، وقد تكون هذه اللفظة ذات أصل سامي قديم، ومن المعروف أنّ الجمع والتثنية في بعض اللغات الساميّة كالفينيقية الأوغاريتية يكون بإضافة حرف الميم إلى آخر الاسم مثل (بيتم) جمع أو تثنية (بيت)، فلعل الاسم (ترم) الذي ذكره نصر هو تثنية (تير) أي البحر، وبالتالي فإنّ (ترم) أو (تيرم) تعني (البحرين) ومن يدري فربما يكون لفظ (البحرين) هو تعريب من قبل العرب الأوائل للاسم (تيرم).

استخراجها من الماء، مع الإشارة إلى ثلاثة أركان رئيسة أشاروا إليها، وهي كالتالي:

١. نبتة بحرية (دُرَّة) في عمق البحر تهب الخلود لكل من يحصل عليها.

٢. غوّاص مقدام يُصرُّ على قطف هذه النبتة رغم الخطر المحدق به جرّاء ذلك.

٣. وجود الكائن المائي الخطر والمخيف، وعادة ما يكون الحيّة المائية الحارسة لهذه النبتة والتي لا تسمح لأحد بالاقتراب منها.

وسوف أستعرض فيما يلي بعض النصوص لشعراء بحرانيين أو شعراء زاروا البحرين وشاهدوا عمليات صيد اللؤلؤ بأم أعينهم، أو استمعوا إلى روايات أخاذة للغواصين بعضها حزين وبعضها مُفرح عن صيد اللؤلؤ.

المُسَيّب بن عَلَس الضُبَعِي البَكْريّ

هو المسيب بن علس بن مالك بن عمرو بن قمامة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن جشم بن بلال بن جماعة بن

جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار،[٢٧٣] وكان من أقدم شعراء المنطقة الذين ذكروا عملية الغوص على اللؤلؤ بتصوير أخاذ وتوصيف سَلس، وذلك في رائيته التي مطلعها:

أَصَرَمتَ حَبلَ الوَصلِ مِنْ فِتْرِ
وَهَجَرتَها وَلَجَجتَ في الهَجْرِ

فهو عندما يصل إلى وصف حبيبته يشبهها بـ(الجمانة) التي هي أكبر أنواع الدرّ وأجمله، فنراه يقول:[٢٧٤]

كَجُمانَةِ البَحْريِّ[٢٧٥] جاءَ بهَا
غَوّاصُها مِن لُجَّةِ البَحْرِ

وهذا هو ما أسميته بالركن الأول، وهو اللؤلؤة الدرّة أو

---

[٢٧٣] هشام بن محمد بن السائب الكلبي: جمهرة النسب؛ تحقيق محمود فردوس العظم (دمشق: دار اليقظة ١٩٨٣م) ج٢: ٣٤٢.

[٢٧٤] عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٧م) ج٣: ٢٢٣.

وسوف أشير للمؤلف لاحقاً بـ(البغدادي)، ولكتابه هذا بـ(خزانة الأدب) مع ذكر رقم الصفحة فقط.

[٢٧٥] البحري هنا يراد به الملاح. (الزبيدي: تاج العروس؛ بيروت ١٩٩٤م؛ ج٦: ٥٩)

الجمانة التي عادة ما يبدأ الشعراء بتشبيه حبيباتهم بها، ثم يستطرد بعدها مباشرة – وكعادة شعراء العرب – في وصف هذه الدرّة (الجمانة)، ومُثَنِّياً بذكر ما أسميته بالركن الثاني، وهو الغواص المقدام الذي خاطر بحياته ليأتي بها، فنراه يصفه بأنه:

صُــلبُ الفُــؤادِ رَئـيسُ أَربَعَــةٍ
مُتَخــالِفي الأَلــوان وَالنَجــرِ
فَتَنــازَعوا حَتّــى إذا اِجتَمَعــوا
أَلقَــوا إلَيــهِ مَقالِــدَ الأَمــرِ

فهذا غواص ذو قلبٍ صُلب كان تحت رئاسته أربعة غواصين مختلفين في ألوانهم وأصولهم، ولكنهم اتفقوا معه على الغوص لتحصيل اللؤلؤ وصيروه رئيساً لهم، وبالفعل، فقد ركبوا سفينة، وخاضوا بها عرض البحر:

وَعَـلَـت بِهِم سَجْحاءُ[٢٧٦] جارِيَـةٌ
تَهـوي بهِـم في لجَّـةِ[٢٧٧] البَحـرِ

---

[٢٧٦] السجحاء: طويلة الظهر. (البغدادي: خزانة الأدب؛ بيروت ١٩٩٨م؛ ج٣: ٢٢٤.

[٢٧٧] لجة البحر: حيث لا يدرك قعره. (ابن منظور: لسان العرب؛ مادة: لجج).

ثم يذكر الشاعر عناء هذا الملاح ومن معه، فهم كلما قصدوا موضعاً يعرفونه من البحر، وظنوا أنهم سيجدون اللؤلؤ فيه خاب ظنهم، وظلوا على هذه الحال لأكثر من شهر، وعندها قرر هذا الملاح الشجاع المضي إلى موضع من البحر محفوف بالمخاطر تهلك فيه المراكب وتخشى المرور به إلا أنّ هذا الملاح الشجاع المثابر أبى أن يعود من رحلته هذه خالي الوفاض، ويعبر ابن علس عن كل هذه المعاني بقوله:

حَتّـــى إذا مـــا ســـاءَ ظَـــنُّهُمُ
وَمَضــى بِهــم شَــهرٌ إلى شَــهرِ
أَلقـــــى مَراسِـــــيَهُ بِتَهلُكَـــــةٍ
ثَبَتَــت مَراســيها فَمــا تَجــري

وهنا يحق لنا أن نتسآءل ألا يذكرنا هذا العناء الشديد الذي كابده هذا الملاح ومن معه في إبحارهم بذلك العناء الذي كابده جلجامش ورفيقه أورشنابي، وما لقياه من أهوال البحر ومخاطره في سبيل الوصول إلى أرض دلمون حيث يوجد سرّ الخلود، وهو النبتة البحرية المُشْوِكَة التي تشبه الورد، وها هو ملاحنا المجهول في قصيدة المسيب بن علس يعاني ذات المخاطر

التي عاناها جلجامش إلى أنْ وصل إلى الموضع الذي عرف أنّ في أعماقه ما عانى كل هذه المعاناة لأجله، وهو اللؤلؤة (الدُّرّة)، وهنا يصف الشاعر هذا الغواص الشجاع وما فعله قبل الغوص لاستخراج اللؤلؤة، ومن أهم هذه الأفعال هو نزع الأسنان الأمامية (الرباعيتين)، والتي كان الغواصون يفعلونها أو يجبرون على فعلها، وهو تقليد قديم ظل قائماً لأكثر من ١٥٠٠ عام بعد ابن علس حيث كان الغواصون في المنطقة يعتقدون أن ذلك يجعلهم يمكثون مدة أطول تحت الماء،[٢٧٨] ومن العادات التي ذكرها وظلت قائمة حتى وقت قريب قبل أن يتوقف الغوص على اللؤلؤ هو عملية مجّ الزيت في البحر، وذلك لينير لهم بعض الأماكن التي تكون داكنة وعكرة بحيث تتعذر فيها الرؤية البصرية العادية، فكان الغواصون يضعون بعض الزيت في فمهم، وإذا صادفوا مثل هذه الأماكن العكرة كانوا يمجون هذا الزيت فيها، فتضيءُ لهم مثل نور الشمعة تحت الماء بحيث يرون ما في قاع البحر، وهذا التقليد ظل

---

[٢٧٨] هيا إبراهيم الجوهر: اللؤلؤ ودور زوجة الياباني؛ جريدة الاقتصادية؛ الخميس ٢٤ شعبان ١٤٣١ هـ. الموافق ٠٥ أغسطس ٢٠١٠ العدد ٦١٤٢.

معمولاً به حتى آخر أيام الغوص في الخليج من وقتنا الحديث، وذكره أكثر من مؤرخ ورحالة عابر، ولنستمع لابن علس، وهو يصف كل ذلك بقوله:

فَانْصَبَّ[279] أَسقَفُ[280] رَأسُهُ لَبِـدٌ[281]
نُزعَـت رَباعِيَتَـاهُ[282] لِلصَبـرِ
أَشْفَى[283] يَمُـجُّ الزَيـتَ[284] مُلـتَمِسٌ
ظَمـآنُ مُلتَهِـبٌ مِـنَ الفَقـرِ

ثم يذكر الشاعر بعد هذا أنّ هذه الدرّة التي أضنى هذا الغواص الشجاع نفسه للحصول عليها كانت هي – أو مثيلتها – السبب في موت أبيه الذي كان طموحه كطموح ابنه

---

[279] فانصب: أي رمى بنفسه في البحر وغاص لإخراج الدر.

[280] الأسقف، بفتح الألف والقاف، من السقف بفتحتين، وهو طول في انحناء

[281] لبد، بكسر الباء أي: متلبد.

[282] الرباعية مثل الثمانية؛ كل ضرس بين الناب والثنية.

[283] أشفى على الشيء أي أشرف عليه.

[284] يمج الزيت: أي يقذفه من فمه كما هو عادة الغائص؛ انظر (البغدادي: خزانة الأدب؛ بيروت ١٩٩٨م؛ ج٣: ٢٢٤).

في تحصيل هذه اللؤلؤة (الدُّرّة)، ولكنّ أباه قُتل دونها، فنسب الشاعر القتل إلى الدُّرة لأنّ رغبة الحصول عليها كان هو السبب في قتله، وحتى وإن لم يذكر الشاعر كيفية قتل والد هذا الغواص عند محاولته الحصول على هذه اللؤلؤة إلا أنّ موته لن يخرج عن أحد أمرين، وهما إما إنه مات غرقاً أثناء غوصه لاستخراجها، أو أنّ أحد هوامّ البحر الخطرة، ومنها الحية السامة أو ثعبان (الإنقليس)[٢٨٥] هي التي قتلته، وأياً كان الأمر فإنّ موت والد هذا الغواص كان من أكبر المحفزات له على الحصول على هذه اللؤلؤة، فهو قد هيأ نفسه لأحد أمرين إما أن يموت دونها كما مات والده قبله، أو أن يظفر بها، فيحقق أعظم رغبات حياته، ولنستمع لقول الشاعر في ذلك:

قَتَلَـــت أَبـــاهُ فَقـــالَ أَتبَعُـــهُ
أَو أَســـتَفيدُ رَغيبَـــةَ الـــدَهرِ

[٢٨٥] يسميه الغواصون في الخليج (الناتوش) من نتش ينتش نتشاً، والنَّتْشُ: جذبُ اللَّحم ونحوه قرصاً ونهشاً (انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين؛ مادة [نتش]).

نَصَــفَ النَهــار[٢٨٦] المــاءُ غــامِرُهُ
وَرَفيقُـــــهُ بالغَيــــبِ لا يَـــدري

وفي الشطر الثاني من البيت الثاني هنا ربما تكون أول إشارة وردت في نصٍّ عربي إلى ما يُعرف في علم الغوص الخليجي المتأخر باسم (السِّيْب)، وهو الرجل الذي يكون واقفاً في أعلى السفينة، وممسكاً الحبل الذي يلفه الغواص حوله حتى إذا أحس الغواص أنّه بحاجة إلى الخروج من الماء لتجديد النفس قام بسحب هذا الحبل أكثر من مرّة، فيفهم (السِّيْب) هذه الإشارة، ويقوم بسحب الغواص بواسطة ذلك الحبل بأقصى قوته حتى يخرجه من الماء، ولكنّ هذا السيب من دون أن يرى هذه الإشارة لا يعلم ما يجري لصاحبه الغواص في قاع البحر، ولهذا قال الرياشي في تفسير هذا البيت:

"وشَريكُهُ بالغيبِ، أيْ: بحيثُ يغيبُ عنهُ ولا يدريْ ما حَالُه؛ وإنما يغوصُ بحبلٍ معهُ طَرَفُه، وطَرَفُهُ الآخرُ معَ صَاحبهْ"،[٢٨٧]

---

[٢٨٦] نصف النهار: يريد أن وقت نزول هذا الغواص في الماء كان في منتصف النهار.

[٢٨٧] البغدادي: خزانة الأدب؛ ج٣: ٢٢١.

وهي إشارة هامة تدل على أنّ مهنة (السِّيْب) كانت موجودة لأكثر من ١٥٠٠ سنة، وأنها ليست وليدة الحقبة الحديثة؛ بل ربما كان (السِّيب) موجوداً حتى في ملحمة جلجامش قبل أكثر من ٣٠٠٠ عام، فنحن نعلم أنّ جلجامش كان له مرافق في رحلته إلى دلمون، وهو (أورشنابي)، وأنه عندما ظفر باللؤلؤة أو (النبتة ذات الشوك) خاطبه على الفور بقوله إنها (نبتة عجائبية يا أورشنابي) مما يدل على أنّ أورشنابي كان في الأعلى ينتظر خروجه، والموضع من الملحمة الذي يذكر حصول جلجامش على النبتة التي وخزته لم يذكر فيه سوى أنّ جلجامش قام بحل الحبل المربوط بالثقل من رجله ليخرج من قاع البحر، وذلك لأنّ النصّ في هذا الموضع حصل له طمسٌ أودى بالكثير من الكلمات بعد هذه الجزئية، وعندما اتضح الطمس كان جلجامش قد خرج من قاع البحر وخاطب أورشنابي بما ذكره عن النبتة اللؤلؤة، ويبدو – في رأيي – أنّ الطمس الواقع في هذا الموضع من الملحمة قد مُحيَ منه ما يفيد أنّ أورشنابي كان هو (السِّيْب) الخاص بجلجامش، وأنه عندما حلّ الثقل من قدمه جرّ الحبل الذي بينه وبين سيبه

أورشنابي، فقام بسحبه من قاع البحر.

وأياً كان الأمر، فقد ذكر ابن علَس خاتمة جميلة وسعيدة لهذا الغواص الجريء، فهو بعكس والده قد تمكن من الحصول على دُرّة الدرر، وأمنية الحياة التي كلما أعطي فيها سعراً مَهْمَا كان عالياً أبى أن يبيعها لعلمه أنها أغلى من كل ما عُرض عليه، ولنستمع لابن عَلَس وهو يقرر ذلك بقوله:

فَأَصــــابَ مُنيَتَـــهُ فَجـــاءَ بِهـــا
صَـــدَفِيَّةً[288] كَمُضــيئَةِ الجَمــرِ
يُعطــى بِهــا ثَمَنــاً وَيَمنَعُهــا
وَيَقــولُ صــاحِبُهُ أَلا تَشــري
وَتَرى الصَراري[289] يَسجُدونَ لَها
وَيَضُـــمُّها بِيَدَيـــهِ لِلنَحــرِ

أعشى قيس بن ثعلبة البكري

واسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعْب بن

---

[288] صدفية: نسبها إلى الصدفة، وهي بيت اللؤلؤة.

[289] الصراري جمع صار، وهو الملاح البحري.

علي بن بكر بن وائل،[290] وهو ابن أخت المسيب بن علس المتقدم،[291] وكان قومه بنو قيس بن ثعلبة يشكلون مع أخوتهم بني تيم اللات بن ثعلبة جيش الصنائع الذي كان أقرب جنود المناذرة إليهم،[292] كما كان لبني قيس بن ثعلبة مواضع سكنوها في إقليم البحرين القديم منها بعض أراضي الجوف جوف البحرين،[293] كما ذكر ياقوت من موارد شربهم ركية لقمان بثاج التي كانت لهم شركة مع بني عنزة، ثم غلبت عليها بنو سعد من تميم،[294]

---

[290] البغدادي: خزانة الأدب؛ ج١: ١٨٢.

[291] البغدادي: خزانة الأدب؛ ج٦: ٣٠١.

[292] أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الميداني: مجمع الأمثال؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥) ج١: ١١٨.

[293] محمد بن أبي الخطاب القرشي = أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام؛ تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: مطبعة نهضة مصر دت) الصفحة ٩٣.

[294] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٩٧٩م) ج٣: ٦٥ رسم [ركية لقمان].

وسوف أشير للمؤلف بـ(ياقوت الحموي)، ولكتابه هذا بـ(معجم

ولئن كان المسيب بن عَلَس قد أتقن وصف خروج غوّاصه للبحث عن اللؤلؤة (الدُّرَّة) وما صادفه في سبيل الحصول عليها من أهوال ومخاطر؛ إلا أنّ وصفه جاء تقريرياً جافاً بعكس ما نراه في نصّ ابن أخته أعشى بني قيس بن ثعلبة، فالأعشى عالج في نصّه قصة غوّاص هَرِم من دارين[٢٩٥] خرج لصيد اللؤلؤ، ونفسه تمنيه بالحصول على دُرّة طالما حلم بها منذ أن نبت شاربه إلى أن أدركه الهَرَم، وهو لا ييأس من الحصول عليها، ولنستمع إليه، وهو يبدأ نصّه أولاً بتشبيه حبيبته بـ(الدرَّة) أيضاً:[٢٩٦]

كَأَنَّهـــا دُرَّةٌ زَهـــراءُ أَخرَجَهـــا
غَوّاصُ دارينَ يَخشى دونَها الغَرَقا
قَد رامَها حِجَجاً مُذ طَـرَّ شـاربُهُ[٢٩٧]

البلدان) مع ذكر رقم الصفحة فقط.

[٢٩٥] ميناء القطيف الأشهر، ويقع في الجزء الجنوبي من جزيرة تاروت، وهو مشهور في أدبيات العرب.

[٢٩٦] الأعشى: ديوان الأعشى؛ الصفحة ٣٦٧.

[٢٩٧] طر شاربه: أي نبت وظهر.

حَتّى تَسَعسَعَ[٢٩٨] يَرجوها وَقَد خَفَقـا

ثم يبدأ الأعشى بما أوتي من بلاغة وفصاحة وذكاء فطري بتقديم قراءة سوسيولوجية رائعة لما يدور في خاطر الغواص من أفكار مقدماً وصفاً دقيقاً للصراع الذي كان لديه بين الرغبة والرهبة أو الإقدام والإحجام، فنراه يقول:

لا الـــنَفسُ تؤيسُـــهُ مِنهـــا فَيَترُكُهـــا
وَقَــد رَأى الرَغــبَ رَأيَ العَــين فَاحتَرَقـا
حِرصـاً عَلَيهـا لَـوَ اِنَّ الـنَفسَ طاوَعَهـا
مِنــهُ الضَـميرُ لَيـالي الغـيْم أَو غَرقـا[٢٩٩]

---

[٢٩٨] تسعسع: أي كبر وهرِم.

[٢٩٩] جاء ترتيب هذا البيت في ديوان الشاعر بعد البيتين التاليين، وهو خطأ في الترتيب لم يلتفت إليه محقق الديوان، فالشاعر يتحدث عن الغواص الذي ذكر أنه كان يبحث عن هذه اللؤلؤة منذ صباه إلى هرمه، وأنه قد رآهـا أخـيراً لأن نفسه لم تيئس من البحث عنها، وبالتالي فإنّ قول الشاعر في هذا البيت: "حرصا عليها"، و"لو أن النفس طاوعها" هي جمـل تقريـر حـال للغـواص العاقل، فوجب أن يكون هذا البيت في هذا الموضع لأنه إذا جاء بعـد البيـتين التاليين، فإنها تكون جمل تقرير حال لمارد البحر غـير العاقـل، وهـو لا يصـح عقلاً، وأيضاً كان مكـان لفظـة "الغـيم" في هـذا البيـت لفظـة "الـيمّ" في الديوان، وقد ذكر محققـه في الحاشـية أنّ المخطـوط ورد فيـه لفظـة "الغـيم"،

بل، ويقدم لنا الأعشى وصفاً دقيقاً لمارد بحري كان يحرس هذه اللؤلؤة (الدُّرَّة)، فيصفه على أنه ذو خلقة تشبه الجن، وله هيئة مخيفة، ويقدم لنا وصفاً جميلاً لما يجول في خاطر هذا المارد، فهو على استعداد للدفاع عن هذه الدرّة بكل قوّة، ولهذا تراه يطوف حولها كما يطوف الحارس الأمين حول ما يؤمر بحراسته:

وَمَــــاردٌ مِـــن غُـــواةِ الجِـــنِّ يَحرُسُـــها
ذو نِيْقَــــةٍ[٣٠٠] مُســــتَعِدٌّ دونَهـــا تَرَقـــا[٣٠١]
لَيسَـــت لَـــهُ غَفلَـــةٌ عَنهـــا يُطيـــفُ بِهـــا

ولكنه لم يجد لها معنى حسب قوله!!، واجتهد فكتبها "اليم"؟!، والواقع هو أنّ ما جاء به هو الذي ليس له معنى، ولفظة "الغيم" هي الأصح، والمعنى بها ظاهر واضح، فالشاعر يريد أن يقول إنّ هذا الغواص الشجاع كان حريصاً على الحصول على هذه اللؤلؤة (الدرّة) رغم المخاطر المحيطة بها، فخالف نفسه في منازعتها له بعدم الزج بها إلى لجة البحر في ليالي الغيم الممطرة حيث تكون الأمواج حينها خطرة ومخيفة جداً قد تؤدي إلى الغرق، فعصاها وأطاع ضميره أي عقله، فغاص إلى الدرّة رغم المخاطر المحدقة بها.

[٣٠٠] نيقة: أي هيئة مبهرة، ومنها اشتقت الأناقة.

[٣٠١] الترَق: شيءٌ شبيه بالدُّرج؛ أي أن هذا المارد كانه دُرْج كانت هذه الدرّة بداخله كناية عن حصانة مكانها.

يَخشى عَلَيها سَرى السارينَ وَالسَّرَقا[302]

في حَومِ لُجَّةِ آذِيٍّ لَهُ حَدَبٌ[303]

مَن رامَها فارَقَتهُ النَفسُ فَاِعتُلِقا[304]

مَن نالَها نالَ خُلداً لا اِنقِطاعَ لَهُ

وَما تَمَنّى فَأَضحى ناعِماً أَنِقا

وهكذا نرى أيضاً في نصّ الأعشى هذا توفر الأركان الثلاثة التي وجدناها في ملحمة جلجامش وقصيدة ابن علس السابقة، ففي هذا النصّ وجدنا الغواص الجريء المقدام، واللؤلؤة (الدرّة) الكائنة في أعماق البحر، والتي يرغب هذا الغواص في امتلاكها مهما كان الثمن، والكائن البحري المرعب الذي يكون معنياً بحراسة هذه اللؤلؤة والدفاع عنها ضد أي طامع بها.

---

[302] السَّرَق: بفتح السين والراء مع تشديد الأولى هو مصدر السرقة. (الأزهري: تهذيب اللغة؛ مادة [سرق]).

[303] اللجة: بالضم، ولُجة البحر حيث لا ترى أرضاً ولا جبلاً، والآذيّ: الموج الشديد، وقوله له حَدَب هو وصف للموج كأن حدبة الإنسان.

[304] أعتُلِق: كناية عن الموت.

إلا أنّ الأعشى أورد في خاتمة نصّه لفظة هامّة لم نجدها في نص ابن عَلَس، وهي لفظة "**الخُلد**"[٣٠٥] التي قرر أنها النتيجة الطبيعية لمن نال هذه اللؤلؤة، وهو ذات الأمر الوارد في ملحمة جلجامش كما مرّ بنا في أول البحث، فمن أين أخذ الأعشى هذا المعنى، وهو يبعد عن جلجامش بأكثر من ثلاثة آلاف عام تقريباً؟! لا شك أنه أخذ ذلك من الموروث التاريخي الشعبي لدى سكان المنطقة الذين هم أصل هذا المعتقد بلا ريب، وهو ما جعل جلجامش يتعنى كل ذلك العناء للقدوم إلى هذه المنطقة لكي يحصل على هذا الخلود.

ويؤكد ذلك أيضاً ما ذكره شاعرٌ معاصرٌ للأعشى من قبيلة بني تميم هذه المرة، وهي قبيلةٌ عاشت بطون كثيرة منها في

---

[٣٠٥] ليس بالضرورة أن يكون الخلد أو الخلود بمعناه المألوف لدينا هو مراد الأعشى وقبله جلجامش، فقد ورد في شعر عرب المنطقة أنّ الخلود هو الثراء، وذلك في قول طرفة بن العبد:

إِنَّ الثَراءَ هُوَ الخُلودُ وَإِنَّ ... المَرءَ يُكرِبُ يَومَهُ العُدمُ

(يوسف بن سليمان = الأعلم الشنتمري: شرح ديوان طرفة بن العبد البكري؛ تحقيق وترجمة ماكس سلغسون ١٩٠٠م؛ الصفحة ١٥٩).

سواحل الجزيرة العربية الشرقية وعلى ضفاف الخليج، وهذا الشاعر هو نَهْشلُ بن حَرِّيّ الذي سنتناول نصه بالدراسة الآن.

نهشل بن حرِّي الدارمي التميمي

هو نَهْشل بن حَرِّيّ بن شِقة بن ضَمْرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم؛[٣٠٦] شاعر مخضرمٌ من بني تميم، ثم من بني دارم، وبنو نهشل بن دارم قومه الأدنون كانوا يسكنون البحرين، ومن منازلهم فيها (لَصَاْف) و(بطن فَلْج)،[٣٠٧] وهما يقعان في الجزء الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية فيما يُعرف بـ(الصُّمّان) غير بعيد عن ساحل الخليج، وكان نهشل بن حَرِّي من سكان الأولى منهما، وهي (لصاف) المعروفة الآن بـ(اللصافة)، ولهذا

[٣٠٦] محمد بن السائب الكلبي: جمهرة النسب؛ تحقيق ناجي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٦م) الصفحة ٢٠٨ وما قبلها.

[٣٠٧] حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية / المنطقة الشرقية (البحرين قديماً) (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر؛ دت) ج٤: ١٤٨٧ رسم [القممية].

قال أبو المهوش الأسدي يهجوه ويتهكم ببلده:[308]

قدْ كُنتُ أحسَبُكُم أسُودَ خَفِيِّةٍ
فإذا لَصَاْفُ تبـيْضُ فيهَا الحُمَّرُ

ولنهشل بن حَرّي خمسة أبيات ذات أهمية كبرى لموضوع بحثنا هذا جاءت ضمن قصيدة له سينية مطلعها:[309]

أَجِدَّكَ شاقَتكَ الرُسومُ الدَوارسُ
بِجَنَبَي قَساً قَد غَيَّرَتها الرَوامِسُ

وفي هذه الأبيات الخمسة يشبه نهشل بن حرّي – كعادة من سبقه من الشعراء – حبيبته بـ(الدُّرَّة)، ثم يستطرد في وصف هذه الدرّة، وذكر الغواص المقدام الذي وصفه بـ(حوتٌ مغامس)، والذي اقتنصها من لجة البحر بعد أن تعدى الأخطار المحيطة بها، ثم يذكر كيف أنّ تجار اللؤلؤ كانوا يأتون هذا الغواص واحداً تلو الآخر بقصد شراء هذه الدُّرَّة منه، وهو يابى كل الأسعار المعروضة عليه منهم لأنها في نظره

[308] البغدادي: خزانة الأدب؛ ج٦: ٣٧٣ "بتصرف"، وقد مرّ بنا ومعه بيتان آخران في بحث (عدولى) المتقدم.

[309] ابن المبارك: منتهى الطلب من أشعار العرب؛ ج٨: ١١ – ١٢.

أغلى من كل سعر، ولنستمع إليه وهو يقول:

لَيــالِيَ سَــلمى دُرَّةٌ عِنــدَ غــائِص
تُضيءُ لَكَ الظَلماءَ وَاللَيلُ دامِـس[310]
تَناوَلَهــا في لُجَّــةِ البَحــر بَعــدَما
رَأى المَوتَ ثُمَّ اِحتالَ حوتٌ مُغامِس[311]
فَجاءَ بِها يُعطى المُنى مِن وَرائِها
وَيَأبى فَيُغليها عَلى مِن يُماكِس[312]
إذا صَدَّ عَنها تاجِرٌ جاءَ تاجِرٌ
مِنَ العُجمْ مَخشِيٌّ عَليهِ النَقارس[313]
يَسومونَهُ خُلدَ الحَياةِ وَدونَها
بُروجُ الرُخام وَالأُسودُ الحَوارسُ

وها هو نهشل بن حَرِّي في هذا البيت الأخير يكرر ما مر بنا في نصّ جلجامش ونصّ الأعشى، وهو وصف اللؤلؤة

---

[310] دامس: أي شديد الظلام.

[311] المغامس: الشجاع الشديد من الرجال، وحوت صفة لهذا الغائص شبهه بالحوت في قوته وجلده، وحوت هو فاعل تناولها في الشطر الأول.

[312] المماكسة في البيع هو استنقاص ثمن المبيع.

[313] النقارس: جمع نِقرس، وهو شيءٌ كالتاج يوضع على الرأس.

(الدُّرَّة) باعتبارها رمزاً للخلود أو (خُلْد الحياة) هذا بالإضافة إلى توفر الأركان الثلاثة التي سبق الحديث عنها عند تناولنا لنص جلجامش، وهي اللؤلؤة (الدُّرَّة) أو النبتة البحرية، والغواص الشجاع (المغامس) الذي لا يذخر جهداً في الحصول عليها، ، والركن الثالث هو الكائن البحري الخطر، وهو وإن لم يذكره ابن حرِّي في شعره صراحة إلا أنّ جملة "رأى الموت" في البيت الثاني فيها تلميح لهذا الكائن البحري الخطر.

الفرزدق

الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عُقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم،[٣١٤] وهو من سكان كاظمة، وبها قبرُ أبيه غالب، ويسكنها قومه بنو دارم

---

[٣١٤] الحسن بن بشر الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وانسابهم وبعض شعرهم؛ تحقيق ف. كرنكو (بيروت: دار الجيل ١٩٩١م) الصفحة ٢١٦.

التميميون،[٣١٥] وكاظمة التي هي الآن تابعة لدولة الكويت كانت حتى وقت قريب أحد أهم مراكز خروج الغواصين للبحث عن اللؤلؤ في الخليج، ولا شك أن الفرزدق قد شاهد خروج أسلاف هؤلاء الغواصين في زمنه، وسمع قصصهم، وما يلاقونه من أهوال في سبيل الحصول على اللؤلؤ، وهو ما يوضح ذلك الوصف الأخاذ والسَّرد المتقن والقراءة السوسيولوجية الجميلة التي نلاحظها في نصه الذي نتناوله بالدراسة هنا، وهو عبارة عن أحد عشر بيتاً ضمن قصيدته الهائية التي مطلعها:[٣١٦]

عَرَفتُ بِأَعلى رائِس الفَأوَ بَعدَما
مَضَت سَنَةٌ أَيّامُها وَشُهورُها

فالفرزدق يبدأ تلك الأبيات الإحدى عشر من نصّه هذا بتشبيه حبيبته بالدرّة كما هو المعتاد، ثم يستطرد في وصف ما قام به جالبُ هذه الدُّرّة، وهو غواص مقدام آخر لم تثن عزمه

[٣١٥] ياقوت الحموي: معجم البلدان؛ ج٥: ١٧٥.

[٣١٦] همام بن غالب بن ناجية التميمي = الفرزدق: شرح ديوان الفرزدق؛ تحقيق إيليا الحاوي (بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣م) ج١: ٥٨٤.

هيبة ذلك الموضع المخيف من البحر، ولم يمنعه تحذيرات الغواصين الباكية من وجود حية خطرة **"موكّلة بالدرّ"** تقوم بحراسته، وتمنع الصيادين من أخذه، فأقدم على الغوص إلى هذه الدُّرّة الثمينة واضعاً في اعتباره الحصول عليها، فهي التي طالما بحث عنها، وكانت له بمثابة الحدّ الفاصل بين الموت والحياة أو كما قال: **"هي الموت أو دنيا ينادي بشيرها"** معللاً نفسه بأنّ الآجال آتية آتية، ولنستمع إليه وهو يقول:

كَـــدُرَّةِ غَـــوّاص رَمـــى في مَهيبَـــةٍ[٣١٧]
بِأَجرامِهِ[٣١٨] وَالنَفسُ يَخشـى ضَـميرُها
مُوَكَّلَــةً بِالــدُرِّ[٣١٩] خَرســاءَ قَــد بَكــى
إِلَيــهِ مِــنَ الغَــوَّاص مِنهــا نَــذيرُها
فَقــالَ أُلاقــي المَــوتَ أَو أُدركُ الغِنــى

---

[٣١٧] مهيْبة: أي مخيفة، ويقصد بها لجة بحر عميق تكثر بهـا الكائنـات المائيـة الخطرة.

[٣١٨] بأجرامه: أي بجسده.

[٣١٩] موكلة بالدرّ: أي حارسة للدر، ويعني بذلك الحية حتى ولـو لم يـذكرها، وقد نصبها لأنها مفعول "ضميرها" في البيت الأول.

لِنَفسِـــيَ وَالآجـــالُ جـــاءٍ[٣٢٠] دُهورُهـــا

وبالفعل فقد رأى هذا الغواص الجريء تلك اللؤلؤة (الدُّرّة)، ولكنه وجد إلى جانبها أيضاً تلك الحيّة الخطرة التي تحرسها، وهنا قرر قراره الأخير، وهو الحصول على هذه الدرّة مهما كان الثمن؛ حتى ولو كان الثمنُ حياته، وبالفعل، فقد اقتطف تلك الدرّة بيده، ولكنه في الوقت نفسه تلقى عضة **"المنيّة"** في ذات اليد من تلك الحية السامة الحارسة لها، وهنا يقول الفرزدق:

وَلَمّا رَأى ما دونَهـا[٣٢١] خـاطَرَت بِـهِ
عَلـى المَـوتِ نَفـسٌ لا يَنـامُ فَقيرُهـا
فَــأَهوى وَناباهــا حَــوالَي يَتيمَــةٍ[٣٢٢]
هِـيَ المَـوتُ أَو دُنيـا يُنـادي بَشـيرُها

---

[٣٢٠] جاءٍ: أي آتٍ.

[٣٢١] ما دونها: أي ما دون اللؤلؤة (الدرّة)؛ يشير بذلك إلى الحية لأنها تدافع دونها.

[٣٢٢] يتيمة: أي درّة يتيمة، وهي أعظم اللؤلؤ وأجمله وأكثره سعراً.

فَأَلقَــت بِكَفَّيــهِ المَنِيَّـــةَ[٣٢٣] إذ دَنـــا
بِعَضَّـــةِ أَنيــابٍ سَــريع سُــؤورُها[٣٢٤]

وعندما أحس بدنو أجله وهو في قاع البحر قام بجرّ الحبل الذي يربط بينه وبين مساعده في أعلى السفينة (السِّيْب) بقوّة، والذي سرعان ما قام بسحبه بأقصى قوّته، ولكن نظراً لطول المسافة بينهما لم يخرج إلا وقد بدأت روحه تفارق جسده بعد أن تمكّن السمُّ منه، ولم ينجع معه الدواء الذي أعطوه له، ففارقت روحه الدنيا وهو قابضٌ على تلك الدُّرّة بيده لم يُفلتها حتى وهو ينازع رمقه الأخير لأنها كانت ثمن حياته الذي قبضه مقابلها، ولنستمع الآن إلى هذا الوصف الشيّق الجميل على لسان الفرزدق، وهو يصف بداية تحريكه للحبل بعد أن عضته الحية، فنراه يقول:

فَحَــرَّكَ أَعلــى حَبلِــهِ بِحُشاشَــةٍ[٣٢٥]

---

[٣٢٣] فألقت بكفيه المنية: كناية عن عضها له في يده كما سيذكر في الشطر الثاني.

[٣٢٤] السُؤُوْر: جمع سَوْرة، وهو الأثر. يريد أن أثر العضة سريع جداً.

[٣٢٥] الحشاشة: آخر رمق من الحياة.

وَمِن فَوقِهِ خَضراءُ[٣٢٦] طام بُحورُهـا
فَما جـاءَ حَتّـى مَـجَّ[٣٢٧] وَالمـاءُ دونَـهُ
مِنَ النَفس أَلواناً عَبيطاً بُحورُها[٣٢٨]
إذا مـا أَرادوا أَن يُحـيرَ مَدوفَـةً[٣٢٩]
أَبى مِن تَقَضّي نَفسِـهِ لا يَحورُهـا

وهكذا لفظ هذا الغواص الشجاع آخر أنفاسه بعد أن أتى بواحدة من أغلى أنواع الدرّ وأكثره ثمناً، وهي (الدرّة اليتيمة)، وبالتالي فإنّ والدته حين سمعت بموته أخذها ما يأخذ الوالدات عند موت أبنائهن، وحزنت لفقده، ولكنها عندما أروها الدرّة الهائلة التي أحضرها ابنُها هوَّن ذلك من مصابها لأنها علمت أنّ جهد ابنها لم يذهب هدراً كما هو حال غيره من الصيادين، وأنّ ما جلبه معه فيه **"الغِنى"** الذي لا قبله ولا بعده، وهو ما

[٣٢٦] خضراء: يريد بذلك ماء البحر ومعروف عن الخليج أنه في كثير من مواضعه يكون لونه أخضراً.

[٣٢٧] مجّ: أي قذف من فيه.

[٣٢٨] العبيط: الدم الطري؛ يريد أنه قذف دماً عبيطا من فمه بغزارة قبل أن يصل إلى ظهر السفينة.

[٣٢٩] يحير: أي يبلع، والمدوفة: دواء يُبلُّ بالماء، ويعطى المريض في حينه.

جعلها ترى كل قيمة يعرضها تجار اللؤلؤ عليها لشرائها منها هي قيمة قليلة مهما بلغت من كثرة المال، وهذا ما صوّره الشاعر الفرزدق في هذين البيتين:

فَلَمّا أَرَوها أُمَّهُ هانَ وَجدُها
رَجاةَ الغِنى لَمّا أَضاءَ مُنيرُها
وَظَلَّت تَغالاها التِجارُ وَلا تَرَى
لَها سيمَةً إلّا قَليلاً كَثيرُها

وهكذا نرى أنّ ثمة إجماع واضح بين هذه النصوص التي استعرضتها على أنّ الحصول على اللؤلؤة الدرّة أو اليتيمة كان منتهى الطموح بالنسبة لسكان المنطقة منذ أقدم العصور كما رأينا في ملحمة جلجامش العائدة للألفية الثالثة قبل الميلاد، وظلت كذلك لديهم حتى إلى ما قبل ظهور الإسلام بقليل وبعده كذلك كما رأينا في نصوص المسيَّب بن عَلَس، والأعشى، ونهشل بن حرِّي، وأخيراً الفرزدق؛ بل وظلّت كذلك للقرون اللاحقة حتى وقتنا الحديث، فلا زال عرب الخليج يتوارثون قصصاً تراثية لغواصين شجعان لا يثنيهم شيءٌ عن الحصول على اللؤلؤة (الدرّة) أو (الدّانة) كما

صاروا يطلقون عليها مهما كانت الأخطار المحدقة بها، وما قصّة الغواص الخليجي المسمى (عناد) الشهيرة والمتداولة بين أبناء الخليج إلا امتدادٌ طبيعي لقصة جلجامش، وقصص الغواصين المقاديم الشجعان الذين مرّوا بنا في نصوص المسيب بن علس والأعشى ونهشل بن حرِّي والفرزدق.

فقد ذكر في هذه القصة المتداولة في المنطقة أنه كان يوجد حاكم أو خليفة موصوف بالقوة والمجد، وأنه كان لهذا الحاكم ابنة شابة في غاية الجمال كان يوجد لديها لؤلؤة سوداء لا مثيل لها في الكون، فكانت تتمنى لو يكون لديها لؤلؤة ثانية مماثلة لها لتجعل منهما قرطين لأذنيها الجميلتين، فقامت بإحضار الغواصين، وطلبت منهم أن يحضروا لها أختاً لهذه اللؤلؤة الفريدة والدانة الوحيدة، ووعدت أن تهب من يحضرها ما يشاء مقابل ذلك، فأجمعوا على أنه لا يوجد سوى غواص واحد يستطيع أن يحقق لها ذلك هو (عناد) الذي كان غواصاً أسود اللون، فاستدعته وطلبت منه ذلك، وما أن رآها حتى خفق قلبه خفقاً شديداً من جمالها، ووقع في حبها، وبالفعل ذهب هذا الغواص الشجاع للبحث عن هذه الدرّة النادرة

لأجل من فتنته، فوصل إليها بعد جهدٍ جهيد حيث كانت – كما تقول الرواية – في صدفة في قعر مغارة مظلمة تحت مياه البحر؛ كما تذكر الرواية أنّه كان يوجد وحشٌ مائي مخيف يحرسها،[٣٣٠] ولكن هذا الغواص الشجاع، وإكراماً لفاتنته لم يثنه ذلك الوحش ولا تلك المخاطر، فغطس في تلك الأعماق المظلمة واستطاع أن يحصل على لؤلؤة سوداء كانت نسخة طبق الأصل عن اللؤلؤة التي تملكها أميرة بغداد، وعاد الغواص الشجاع عودة الظافرين إلى أميرة قلبه التي فتنته خافق القلب حاملا اللؤلؤة النادرة إلى الأميرة الفاتنة، ولما دخل عليها استقبلته بفرح لا يوصف دفعها إلى تطويق الغطاس ومعانقته قائلة: اطلب يا بطلي الشجاع ما تريد فإن طلبك مجاب سلفًا؛ إلا أنّ لسانه لم يطاوعه على البوح بما يكنه قلبه لأنه كان يرى أنّ ما يتمناه لن يُستجاب له، فأخذت الأميرة تداعب اللؤلؤتين بيديها الناعمتين وهي تختلس النظر إليه،

---

[٣٣٠] جان جاك بيريبي: الخليج العربي؛ تعريب نجدة هاجر، وسعيد الغز (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٥٩م) الصفحة ١٦٣ (بتصرف).

فما كان من الغواص الشجاع إلا أنْ استلّ خنجرًا طويـًلا، وأغمده في قلبه، وهو يتمتم قائلا: وداعًا يا أميرتي الجميلة.[٣٣١]

خلاصة البحث

أولاً: إنّ قصّة البحث عن اللؤلؤة في منطقة الخليج – كما سبق وقلت – هي قصة ظلّت تتكرر في المنطقة لآلاف السنين من قبل جلجامش إلى وقتنا القريب، قد تختلف تفاصيلها تبعاً للزمان والمكان، ولكنها تحتفظ بجوهرها، أو ما أسميته بأركانها الثلاثة:

١. اللؤلؤة (الدرّة) المتواجدة دائماً في أماكن عويصة في قاع البحر.

٢. الغواص المقدام الحالم الذي لا يثنيه شيءٌ عن تحقيق حلمه بالحصول على هذه اللؤلؤة.

٣. الخطر المحدق حول هذه اللؤلؤة المتمثل في حية البحر

[٣٣١] نورة النعمة: مقعد الضحى؛ مقال منشور بجريدة العرب القطرية؛ الأحد ٢١ أغسطس ٢٠١١م؛ الموافق ٢١ رمضان ١٤٣٢هـ؛ العدد: ٨٤٧٠ (بتصرف).

عادة، وقد يكون غير ذلك كأسماك القرش وبعض المخلوقات البحرية الخطرة.

ثانياً: لقد رأينا من النصوص السابقة كيف أن هذه اللؤلؤة (الدرّة) أو (الدانة) كان الحصول عليها بمثابة الحصول على (الخلود)، أو (خلد الحياة)، أو (الشباب الدائم) بغض النظر عن كون المعنى المراد من هذه الألفاظ هو المعنى الحقيقي أو المجازي كما سبق وشرحت.

ثالثاً: إنّ تشابه قصص هذه النصوص التي استعرضتها لشعراء المنطقة قبل الإسلام وبعده بقليل، وتشابه ما ورد فيها من أوصاف دقيقة لاستخراج اللؤلؤة مع ما ورد في قصة جلجامش يدلُّ على أنّ قصّة جلجامش أو جزئية كبيرة منها هو ليس من الأساطير كما كان يُعتقد في السابق، وأنّ هذه القصة أو تلك الجزئية منها هي قصة حقيقية واقعية، ولكنّ الناس بمرور الوقت أضافوا إليها وزادوا عليها بعض الزيادات الخرافية مما جعلها تبدو كأنها أسطورة، وهذا ما يذكرنا بالمثل الخليجي المشهور: (لكل شيء أساس، وما زاد فمن الناس).

آلُ مُـرَّة القَبيْلَةُ المعَاْصِرَةُ

هَلْ هُمْ منْ بقَايَا عَبدِ القَيْس؟

مقدمة

لا شك أنّ الحديث عن أنساب القبائل الحديثة وربطها بالقبائل القديمة المشهورة في شبه الجزيرة العربية هو أمرٌ شائكٌ للغاية، وعلى الخصوص إذا حاول الباحث الالتزام بأصول المنهج العلمي للبحث لأنه سيصطدم بأمرٍ لطالما أرّق الباحثين في تاريخ هذه الجزيرة، وهو شح المصادر التاريخية المدونة عن مدنها المركزية، وفقدان هذه المصادر بالنسبة لبلداتها الداخلية وقراها النائية وقبائلها المتبدِّية، ولاسيما الفترة الواقعة بين القرن السادس الهجري، وحتى أواخر القرن العاشر.

إلا أنّني أرى أنّ الباحث في التاريخ ليس عليه الاستسلام لأي ظرف كهذا الذي ذكرت، وأن عليه أن يظل باحثاً عن الحقيقة بالدليل العلمي الذي ليس من صوره فقط الروايات التاريخية الثابتة والمدونة في أمهات كتب التاريخ؛ بل عليه أن يبحث عن ضالته وأدلته في ثنايا كتب التراث المخطوط والمطبوع، وأن لا يقبل أبداً أي معلومة أو نتيجة يقدمها له أي باحث سابق أو مؤرخ قديم أو حديث من دون أن يمحصها

بنفسه، ويخضعها لمنهج النقد العلمي السليم حتى يقتنع بصحتها وسع جهده وطاقته.

ولذلك فإنني عندما أتساءل في عنوان بحثي هذا عن قبيلة آل مرّة المعاصرة التي ينسبها الكثيرون على أنها قبيلة يمنية همدانية يامية، وأقول هل هم من بقايا عبد القيس الرّبعيّة، فإنني وإن عدمت الدليل النقلي المباشر الذي يجعلني أجزم بذلك؛ إلا أنّه تهيأ لي من القرائن المعتبرة والاستقراء المنطقي للأحداث التاريخية، ودراسة المكان والزمان لقبيلة (آل مُرّة) ما يجعلني مقتنعاً في قرارة نفسي بانحدار هذه القبيلة الْمُعْرِقة في البداوة من تلك القبيلة العظيمة عبد القيس التي عندما هاجرت من تهامة والحجاز إلى إقليم البحرين القديم الممتد من حدود كاظمة شمالاً إلى مشارف عمان القديمة جنوباً ارتبط إقليم البحرين بها وببطونها، وتقاسمته فيما بينها، وصارت هي صاحبة هذا الإقليم الذي صار يُعرف ببلاد عبد القيس، وحتى قيل في الأمثال: **"عَرِفَ النَّخْلُ أهْلَهْ"**[٣٣٢] يقصدون به هذه

---

[٣٣٢] عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع؛ تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٣م) ج١:

القبيلة عندما هاجرت إلى البحرين، وربطت أرسنة خيولها بكرانيف نخله متخذة له موضع سكن دائمٍ، مع التأكيد على أنه لا زالت هذه المنطقة حتى عصرنا هذا وطناً للكثير من الأسر والعوائل التي تعود أصولها إلى هذه القبيلة حتى وإن عدمنا الدليل على تعيينها، ولذلك فإنه لا بد من التعريف أولاً بهذه القبيلة، ومن ثم نعود للحديث عن آل مُرَّة.

نسب عبد القيس وأشهر قبائلها وبطونها الكبيرة

تنتسب هذه القبيلة إلى جدها الأعلى الذي أخذت اسمها منه، وهو عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان،[٣٣٣] وكما نرى فإنّ هذه القبيلة تنتمي إلى الجذم العربي الكبير ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وهو الجذم الذي انحدرت منه قبائل عربية شهيرة

٨١، وسأشير إليه لاحقاً بـ(البكري)، ولكتابه بـ(معجم ما استعجم) عند الرجوع إليه مرة أخرى.

[٣٣٣] هشام بن محمد الكلبي: جمهرة النسب؛ تحقيق ناجي حسن (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٦م) الصفحتان ٤٨٣ – ٤٨٤، وسأشير إليه بـ(االكلبي)، ولكتابه هذا بـ(جمهرة النسب) اختصاراً عند الرجوع إليه مرة أخرى.

مثل: عنزة بن أسد بن ربيعة، وبكر بن وائل، وتغلب بن وائل، والنمر بن قاسط، وبالطبع قبيلتنا عبد القيس، ويكون الجدّ عبد القيس بن أفصى والد القبيلة عَمّاً لقاسط بن هِنْب بن أفصى الذي هو والدُ قبيلة النمر بن قاسط، وجدُّ القبيلتين الشهريين بكر وتغلب ابني وائل بن قاسط.[٣٣٤]

وأما عن نسل عبد القيس والقبائل المنتمية إليه، فهي كثيرة جداً؛ حتى لقد قال أحد شعرائهم وهو مالك بن تاجرة العبدي:[٣٣٥]

ونحن بنو الفحل الذي سال بوله
بكلّ بلادٍ لا يبول بها فحل
أبى الناس والأقوامُ أنْ يحْسِبُونَهم
فكلٌّ كثير عند قِلِّهمُ قِلٌّ

وبطبيعة الحال لا يتسع المقام هنا لتناول كل البطون التي

---

[٣٣٤] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحتان ٤٨٣ – ٢٨٤.

[٣٣٥] سعيد ومحمد ابنا هاشم بن وعلة العبديان = الخالديان: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين؛ تحقيق السيد محمد يوسف (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨م).

انحدرت من هذه القبيلة وفروعها، ولكنني سأشير فقط إلى أشهر القبائل التي تحدّرت منها تلك البطون، وهي كما يلي:

• اللَّبُؤ بن عبد القيس: وهم قبيلة عظيمة ذكرهم هشامُ الكلبي في كتابه جمهرة النسب[٣٣٦] عند الكلام عن بطون عبد القيس، كما ذكرهم ابن قتيبة في كتابه المعارف،[٣٣٧] وقال إنهم بالموصل[٣٣٨] وتوَّج[٣٣٩] كثير، وقال عنهم ابن دريد أنهم حيٌّ عظيم لهم وجود كبير في توج[٣٤٠]، ويبدو أنّ سكن اللبؤ بالموصل وما حوله هو أقدم من سكنهم في البحرين مع قبيلتهم عبد

---

[٣٣٦] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٥٨٢.

[٣٣٧] عبد الله بن مسلم بن قتيبة: المعارف؛ تحقيق ثروت عكاشة ط٣ (مصر: دار المعارف ١٩٦٩م) الصفحة ٩٣، وسأشير لاحقاً للمؤلف بـ(ابن قتيبة)، وللكتاب بـ(المعارف).

[٣٣٨] تقع الموصل شمال غرب بغداد بـ٣١٠ كلم.

[٣٣٩] جاء في معجم البلدان للحموي في رسمها:

"توج: بفتح أوَّله، وتشديد ثانيه وفتحه أيضا، وجيم، وهي توز بالزاي: مدينة بفارس قريبة من كازرون"، وكازرون هذه تقع غرب شيراز بـ٨٣ كلم.

[٣٤٠] محمد بن الحسن = ابن دريد: الاشتقاق؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الجيل الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م) الصفحة ٣٢٤.

القيس، فقد ذكر أبو البقاء الحلي أنه غزاهم ملك الحيرة امرؤ القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عَديّ بن نصر الذي حكم قرابة العام ٤٢٠ للميلاد[٣٤١]، وكانوا مع بكر بن وائل والنمر بن قاسط، وذكر أنهم كانوا جميعاً متجاورين في الدار لأنَّ بينهم أخوّةٌ من قِبَل أمهم هند بنت تميم بن مرّ،[٣٤٢] ويجمع بينهم جدهم المشترك أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.[٣٤٣]

- شن بن أفصى بن عبد القيس: وهم مشهورون جداً، وضرب بهم أكثر من مثل عربي؛ كقولهم: **"وافق شَنٌّ**

---

[٣٤١] جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام (بيروت: دار مكتبة الحياة ١٩٧٩م) الصفحة ٢٦٤.

[٣٤٢] كذا ذكر أبو البقاء، ولكن الذي ذكره الكلبي وابنه هشام ومعظم النسابين أنها هند بنت مرّ اخت تميم لا ابنته. انظر:

- الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٥٨٢.
- الكلبي: نسب معد واليمن الكبير؛ ج١: ١٠١.

[٣٤٣] هبة الله بن نما الحلي = أبو البقاء الحلي: المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية؛ تحقيق صالح موسى درادكة ومحمد عبد القادر خريسات (عَمَّان: مكتبة الرسالة الحديثة/ الطبعة الأولى دت) ج١: ٢٨١.

طَبَقَةْ"[٣٤٤]، و**"يَا شَنُّ أثخِنِيْ قَاْسِطاً"**[٣٤٥]، و**"يَحْملُ شَنٌ ويُفَدَّى لُكيْز"**،[٣٤٦] ومن بني شنّ هؤلاء الجُعَيْد بن صَبِرَة بن الدِّيْل بن شَنّ بن أفصى بن عبد القيس الذي دانت له قبائل معد بن عدنان كلها على ما ورد في شعر الحارث بن همام بن مُرّة بن ذهل بن شيبان البكري،[٣٤٧] وولده عمرو بن الجُعيْد هو الذي قاد عبد القيس من تهامة إلى البحرين فأسكنهم في أراضيها،[٣٤٨] وقد ورد اسم شنّ هذا، واسم أحد بطونها، وهم بنو صَبِرة مع اسم بني عمومتهم الآتين نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وكذلك جدهم عبد القيس في نقش عبدان الحميري

---

[٣٤٤] إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٧م) ج٤: ١٥١١.

[٣٤٥] أحمد بن محمد الميداني: مجمع الأمثال؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار المعرفة دت) ج٢: ٤١٣.

[٣٤٦] أحمد بن محمد الميداني: مجمع الأمثال؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار المعرفة دت) ج٢: ٤١٣.

[٣٤٧] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٥٩٤.

[٣٤٨] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٥٩٣.

العائد للعام ٣٦٥ للميلاد.[٣٤٩]

• لكيز بن أفصى بن عبد القيس: ومنهم تفرعت جماهير عبد القيس وقبائلُها حتى إنّ اسمهم كان يطلق أحياناً على كامل القبيلة اكتفاءً به لها[٣٥٠]، وقد تم إطلاق هذا الاسم في نقش (كوربوس ٥٩٧) العائد إلى نهاية القرن الخامس الميلادي (٤٩٩م) على العبديين الذين كانوا مع الأزد في عُمان، وقد وُصفوا فيه بـ**"الحَرَسُ الأَكثَرُ بَأسَاً"** لسادة عُمان[٣٥١] ومن قبائل

---

[٣٤٩] انظر:

Abadan1, Robin-Gajda 1994, 113-137, pls. 49-57/ csai.humnet.unipi.it (CSAI: Corpus of South Arabian Inscriptions).

[٣٥٠] عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٧م) ج١٥: ١٣٥، وسأشير للمؤلف فيما يلي بـ(ابن أبي الحديد)، ولشرحه بـ(شرح نهج البلاغة).

[٣٥١] د. أسمهان سعيد الجرو: نقش كوربوس ٥٩٧ (CIH ٥٩٧)؛ بحث منشور في مدونة النقوش السامية (Corpus Inscriptionum Semiticarum)، وانظر عن هذا النقش:

Ryckmans. J, " L'institution monarchique en Arabie méridionale avant l'Islam " (Bibl. du Muséon, 28), Louvain, 1951, p. 230-231.

وبطون لكيز الكثيرة: نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس القبيلة التي قدمت أشهر شعراء عبد القيس على الإطلاق (المثقب، والممزق، والمفضل)[٣٥٢]، ومن قبائل لكيز الكبرى: بنو وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس الذي تزوج مالك بن فهم الأزدي قائد أزد عُمان ابنة جدهم وديعة، فأنجب منها ابنيه معن وهُناءة،[٣٥٣] وبنو وديعة هم الذين كان لهم الخِنُّ الموضع ذي النخل الكثير إزاء يبرين.[٣٥٤]

وقد تفرعت من وديعة أيضاً قبائل وبطون كثيرة؛ منهم: العُمور، وهم بنو الدِّيل، وعِجل، ومحارب أبناء عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس[٣٥٥]، وبنو جذيمة بن

---

[٣٥٢] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحتان ٥٩٠ – ٥٩١.

[٣٥٣] يزيد بن محمد بن إياس الأزدي الموصلي: تاريخ الموصل؛ تحقيق علي حبيبة (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٩٦٧م) الصفحة ٩٩.

[٣٥٤] الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب؛ تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م) الصفحة ٢٨١، وقد ورد اسمهم فيه "ودعة"، والأصح ما أثبته في الأعلى، والخنُّ لا زال معروفاً حتى الآن، وهو يقع جنوب الهُفوف بـ ٢٣٠ كلم.

[٣٥٥] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار إحياء التراث

عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وهم رهط الصحابي الجليل الجارود بُشر بن عمرو بن حنش بن المعلى بن الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف[٣٥٦]، ومن قبائل بني وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس القبيلة الضخمة الشهيرة التي كان فيها العدد والشهرة، وهم بنو عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس التي تفرعت منها هي الأخرى عدة قبائل وبطون، ومنها: بنو مُرّة بن عامر بن الحارث الذي انحدر منهم العُيونيون حكام إقليم البحرين القديم في القرون الخامس والسادس والسابع الهِجْرية[٣٥٧]، ومنهم أيضاً: بنو مالك بن عامر بن الحارث الذين انحدر منهم بنو الخارجية، وهم بنو

العربي ١٩٧٩م) ج٣: ٤٢٠ رسم (صلاصل)، وسأشير للمؤلف لاحقاً بـ(ياقوت الحموي)، ولكتابه (معجم البلدان).

[٣٥٦] محمد بن سعد: الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر) ج٥: ٥٥٩.

[٣٥٧] للوقوف على نسب العيونيين ينظر الدراسة الخاصة بالشاعر علي بن المقرب العُيوني، والملحقة بديوانه المشروح، والمحقق من قبل الكاتب.

عامر بن معاوية بن مالك بن عامر بن الحارث، وسيكون لنا مع هؤلاء الأخيرين وقفة طويلة فيما يلي من البحث.

قبيلة عبد القيس ومنازلها في شرق الجزيرة العربية

كثيراً ما أشار مؤرخون عرب إلى قبيلة عبد القيس بأنهم أهل إقليم البحرين الذي كان في السابق يمتد من كاظمة – الواقعة الآن في دولة الكويت شمالاً – إلى مشارف إقليم عُمان القديم الذي كان يضمّ بالإضافة إلى عُمان ما صار يُعرف الآن باسم الإمارات العربية المتحدة.

فعند ذكر ياقوت الحموي لبيت ابن مفرغ الحميري الذي يقول فيه:

تركت قريشاً أن أجاور فيهم
وجاورت عبد القيس أهل المشقر

قال معقباً عليه: **"ونَسَبَ المُشَقَّرَ إلى عَبد القَيس، وَهُمْ أَهْلُ البَحْرَيْنْ"**[358]، وقبل ذلك ورد ذكر عبد القيس على أنهم أهل

[358] ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥: ١٣٤ رسم (المشقر).

البحرين على لسان الخليفة عمر أيضاً.[٣٥٩]

في حين ذكر ابن قتيبة بني نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، فقال عنهم إنهم: **"أَهْلُ البَحْرَيْنْ"**[٣٦٠]، وعندما زار ابن بطوطة هجر في القرن الثامن الهجري، وهي إحدى قصبات البحرين ذكر في رحلته أنّ معظم سكانها من عبد القيس[٣٦١]، وقبله نصّ أبو الصباح اليشكري على أنّ هجر كانت سوق بني محارب من عبد القيس، وهم بنو محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس كما تقدم نسبهم في العُمُور، وذكر أيضاً أنّ القطيف كانت لبني جذيمة من عبد القيس[٣٦٢] رهط الجارود الذي سبق وذكرت ارتفاع نسبه ونسبهم قبل قليل، وأكد ذلك صاحب كتاب المناسك الذي

---

[٣٥٩] ابن أبي عاصم الشيباني: كتاب الأوائل؛ تحقيق محمود نصار (بيروت: دار الجيل ١٩٩١م) الصفحة ٤٨.

[٣٦٠] ابن قتيبة: المعارف؛ الصفحة ٩٣.

[٣٦١] محمد بن إبراهيم اللواتي = ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة (بيروت: دار صادر دت) الصفحة ٢٨٠.

[٣٦٢] الهمداني: صفة جزيرة العرب؛ الصفحة ٢٧٩.

ذكر أنّ بهجر منبران أحدهما في مدينة هجر دار ملك ابن عياش، وهو عيّاش بن سعيد زعيم بني محارب العبديين الذين مرّ ذكرهم[٣٦٣]، وأنّ المنبر الآخر كان في جبلة دار ملك آل الرَّجّاف من عبد القيس[٣٦٤]، وهم من بني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وبنو الرجّاف ذكرهم شارح الديوان المقرَّبي في نسب زعيمهم العريان بن إبراهيم بن الرجاف[٣٦٥] الذي كان حاكم جواثى أثناء خروج أبي سعيد الجنابي في إقليم البحرين[٣٦٦]، وأما القرى البحرانية التي ذكرها الجغرافيون والمؤرخون لعبد

---

[٣٦٣] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي وآخرين (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج٥: ٢٨٧٢.

[٣٦٤] مؤلف مجهول: المناسك وأماكن طرق الحج، ومعالم الجزيرة تحقيق حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٤٠١هـ ١٩٨١م.) الصفحة ٦٢٠.

[٣٦٥] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٥: ٢٨٧٥.

[٣٦٦] علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف (بيروت: دار صادر مصورة بالأوفست عن طبعة بريل – ليدن ١٨٩٣م.) الصفحة ٣٩٣.

القيس فهي أكثر من أن تستقصى.

وقد ذكر الكلبي في كتابه عن تفرق القبائل المفقود الآن خبر خروج عبد القيس من تهامة والحجاز إلى أنْ وصلوا البحرين، فاحتلوها من القبائل العربية التي كانت فيها مثل إياد وهم أكثر من كان بها، وبعض قبائل تنوخ، فطردوهم عنها واقتسموها بينهم، ولحسن الحظّ فقد احتفظ لنا البكري بأغلب النصّ الذي ذكره ابن الكلبي تقريباً في كتابه المفقود عن تفرق قبائل العرب، ورحيل عبد القيس من تهامة، وسببه، ونزولها البحرين، ويهمنا هنا أنْ نذكر منه ما يعنينا في بحثنا هذا، وهو قوله بعد ذكره للحروب الكثيرة التي خاضتها عبد القيس في سبيل ذلك:[٣٦٧]

"فغلبتْ عبدُ القيسِ علىْ البحرينِ، واقتسمُوْها بينهمْ.

فَنزلتْ جذيمةُ بنُ عوفِ بنِ بكرِ بنِ عوفِ بنِ أنمارِ بنِ عمرو بنِ وديعةِ بن لُكَيْزِ بنِ أفْصَىْ بنِ عبدِ القيسِ، الخطَّ

[٣٦٧] البكري: معجم ما استعجم؛ ج١: ٨١، وما بعدها.

وأعْنَاءَها.[368]

ونزلتْ شَنٌّ بنُ أفْصَىْ بنِ عبدِ القيسِ طَرَفَهَا وَأدْناها إلى العِرَاقْ.

ونَزلتْ نُكْرَةُ بنُ لُكيْزِ بنِ أفْصَىْ بنِ عبدِ القَيْسِ وَسَطَ القَطيْفِ وَمَاْ حَوْلَهْ.

وقالَ ابنُ شَبّةْ: نَزَلَتْ نُكْرَةُ الشّفَاْرَ وَالظَّهْرَانَ، إلىْ الرَّمْلِ ومَا بينَ هَجَر إلىْ قَطَر وبَيْنُوْنَةْ[369]، وإنما سُمِّيَت بَيْنُوْنَةُ لأَنَّها وَسَطٌ بينَ البَحْرَينِ وعُمَاْن، فصَارتْ بينهما.

وَنزلَت عامرُ بنُ الحارثِ بنِ أنمارِ بنِ عمرو بنِ وديعةِ بن لُكَيْزِ بنِ أفصَى بنِ عبدِ القَيْسِ، وَالعُمُوْرُ - وَهُمْ بنو الدِّيْلِ بنِ عَمْرو، وَمُحَاربِ بنِ عمرو، وعِجْلِ بنِ عمرو بن وديعةِ

---

[368] الأعناء: الجوانب والنواحي (الصِّحَاح؛ بيروت ١٩٨٧م؛ ج٦: ٢٤٤٠).

[369] الرمل وبينونة لا زالا معروفين حتى الآن، فالرمل هو ما يُعرف الآن بالربع الخالي كما سنرى، وبينونة هي واحة نخل نسب إليها ما حولها، وتقع الآن داخل دولة الإمارات العربية المتحدة يمرُّ بها الطريق المعبد الرابط بين المملكة العربية السعودية وبين أبو ظبي، وسنرى فيما يلي من البحث أنّ الرمل هو مساكن قبيلة بني مُرّة حالياً، ولا يشركهم فيه غيرهم.

بن لُكَيْزِ بنِ أفْصَىْ، وَمَعَهم عَمِيْرَةُ بنُ أسَدِ بنِ رَبيعةِ حُلَفَاْءَ لهُمْ - الجَوْفَ وَالعُيُوْنَ وَالأحْسَاءَ، حِذاءَ طَرَفِ الدَّهْنَاْءِ، وَخَالَطُوْا أهْلَ هَجَرَ فيْ دَاْرِهِمْ.

ودخلتْ قبائلُ منْ عَبدِ القَيْسِ - وهُم بنو زاكية بن وَابلَة بنِ دُهْنِ بنِ وديعةِ بنِ لُكَيْزِ بن أفْصَىْ بنِ عبدِ القيسِ، وَعَمْرو بنُ وديعةِ بنِ لُكَيْز، وَالعَوَقَةُ، وَعَوْفُ بنُ الدِّيْلِ، وَعَائِشُ بنُ الدِّيْل بن عَمْرو بنِ وَدِيْعَةِ، وَعمروُ بنُ نُكْرَة بن لُكَيْز بنِ أفْصَى - جَوْفَ عُمَاْن، فصَاروا شُرَكَاءَ للأزْدِ بهَا فيْ بلادِهِمْ، وَهُمُ الأتلادُ: أتلادُ عُمَاْنْ".

ومن هذا النّصِّ يتضح لنا أنّ كامل إقليم البحرين (هجر والخط وقراهما) صارت لعبد القيس؛ كما يتضح منه أيضاً أنّ عبد القيس قد شاركوا الأزد في عُمان، وأهم المواضع العُمانية التي سكنتها بطون من عبد القيس هي تؤام[٣٧٠] التي وصفها ابن قتيبة وياقوت الحموي بأنها قصبة عُمان مما يلي

[٣٧٠] سلمة بن مسلم العوتبي: الأنساب (روى – سلطنة عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٩٤م) ج٢: ٢٧٧، وسأشير للمؤلف لاحقاً بـ(العوتبي)، ولكتابه بـ(الأنساب).

الساحل[٣٧١]، وهي المعروفة الآن بالبريمي.

ويهمني هنا أن أتناول بشيء من التفصيل قبيلة من هذه القبائل العبدية التي ورد في نصّ البكري أنها سكنت عُمان، وهم:

بنو عمرو بن وديعة بن لكيز

وهم بنو عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وقد مرّ بنا عند الحديث عن قبائل عبد القيس ذكر بني وديعة بن لكيز بن أفصى، وأنه قد تفرع منهم قبائل وبطون كثيرة، ومنهم العُمور، وهم بنو الدِّيل، وعِجل، ومحارب أبناء عمرو بن وديعة بن لكيز، وبنو جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز، وبنو عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز، ونلاحظ أنّ هذه القبائل ببطونها وفروعها تشكل لب قبيلة عبد القيس، وهم كلهم من بني عمرو بن وديعة بن لكيز، وقد مرّ بنا في نصّ البكري أيضاً وغيره أنّ العُمور، وبني عامر بن الحارث قد

---

[٣٧١] ياقوت الحموي: معجم البلدان؛ ج٢: ٥٤ رسم (تؤام).

نزلوا من البحرين الجوف والعيون والاحساء، حذاء طرف الدهناء، وخالطوا أهل هجر؛ كما مرّ بنا في النصّ نفسه أنّ بني جذيمة بن عوف سكنوا الخط وأعنائها، فكيف بعد هذا يذكر في النصّ نفسه أنّ بني عمرو بن وديعة بن لكيز الذين ينتسب إليهم كل هؤلاء الذين ذكرتهم من سكان هجر والخط سكنوا جوف عُمان؟!، وجاوروا الأزد فيها؟!، والواقع هو أنّ راوي هذا النص لم يرد بعمرو بن وديعة بن لكيز الذين سكنوا جوف عمان كل بني عمرو بن وديعة الذين ذكرناهم، وإنما أراد بطوناً منهم سكنوا جوف عُمان، وهم الذين أشار إلى بعضهم الكلبي في جمهرة النسب، وأشار إلى بعضهم الآخر العوتبي الصُّحَاري في كتابه الأنساب كما سنرى.

فقد ذكر هشام بن الكلبي بطنين هامين من عبد القيس نصّ على أنهما سكنا عُمان أيضاً، وهما البطنان الأخوان:

١. بنو عوف بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

٢. بنو ربيعة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو

بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.[٣٧٢]

والبطن الأول بنو عوف بن عامر بن الحارث هم الذين خصص لهم العوتبي عنواناً خاصاً قال فيه عنهم إنهم أهل بادية وماشية وإبل، وعدد كثير ونجدة، وذكر أنهم كانوا يسكنون قطر وناحية البحرين، وأنّ منهم من يقدم عُمان،[٣٧٣] ويؤيد ذلك رواية لمحمد شيبة بن عبد الله بن حميد السالمي عن حاكم قطر الأسبق الشيخ علي بن عبد الله بن جاسم بن محمد بن ثاني بن محمد ذكر فيها هذا الشيخ أنّ أسرته آل ثاني من المعاضيد من بني تميم كانوا قد نزلوا قطر قبل تمام الألف الهجري، وأنهم زاحموا عبد القيس على قطر حتى استولوا عليها منهم،[٣٧٤] وورد في كتاب الأنساب للعوتبي نفسه في موضع آخر منه أنّه في عام ٢٧٨ للهجرة حدثت الوقعة المعروفة بوقعة الخيام أو القاع من عوتب بين العُمانيين من نزارية

---

[٣٧٢] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٥٨٣.

[٣٧٣] العوتبي: الأنساب ج١: ١٥٢.

[٣٧٤] محمد شيبة بن عبد الله بن حميد السالمي: نهضة الأعيان بحُريّة عُمان (دون معلومات طبع) الصفحة ٤٧.

وهناوية، وأنّ قائد النزاريين الفضل بن الحواري السامي – من بني سامة – قصد تؤام (البريمي) واستعان ببني عوف بن عامر هؤلاء في حربه ضد الهناوية.[٣٧٥]

فاتضح من هذه الأخبار أنّ بعض بني عوف بن عامر كانوا يتقاسمون الأراضي التي نزلتها بنو أعمامهم نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس الذين مرّ في خبر البكري أنهم كانوا ينزلون الرمل وما بين هجر إلى قطر وبينونة التي سميت بذلك لأنها وسط بين البحرين وعمان، ولكن الواقع هو أنه ليس كل بني عوف بن عامر كانوا يدخلون عُمان لأننا نجد ابن المقرَّب قد ذكرهم في قصيدة قالها في مدح أهل القطيف والأحساء في زمنه، فذكر من سكانهما بني عوف بن عامر هؤلاء، وذلك قوله:[٣٧٦]

إذا ثــوّب الــداعي بهــا يــا لَعــامر
أتت مثل أسد الغاب غُلــبٌ رقابُهــا

[٣٧٥] العوتبي: الأنساب ج٢: ٣٢٠.

[٣٧٦] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج١: ١٩٢.

مُقدَّمُها من صُلب عوف بـن عـامر
إلى المـوت فتيـانٌ شـديد غلابُهـا

ومن بني عوف بن عامر هؤلاء الحارث بن امرىء القيس بن حجر بن عامر بن مالك بن زياد بن عصَر بن عوف بن عامر بن الحارث، المشهور بـ(كاوان)، وإليه نُسبت الجزيرة التاريخية الشهيرة في الخليج المعروفة بـ(جزيرة ابن كاوان).[٣٧٧]

وأما بنو ربيعة بن عامر بن الحارث أخوة بني عوف هؤلاء، فلم يذكرهم العوتبي ولا غيره حسب اطلاعي، ولا ذكروا منازلهم في عمان أو في غيرها، ولكنّهم قد يكونون هم المعنيون في قصيدة ابن دريد الثائية التي قالها محرضاً لقومه من الأزد في عُمان لكي يأخذوا بثأرهم من النزارية العُمانيين، وكان من ضمن ما ذكره في هذه القصيدة قوله:[٣٧٨]

---

[٣٧٧] ياقوت الحموي: معجم البلدان؛ ج٢: ١٣٩ (جزيرة بن كاوان).

وهي تعرف الآن باسم جزيرة القشم، ويسميها أهـالي عمـان والإمـارات بالجزيرة الطويلة، وتقع إلى الغرب من جزيرة هرمز الشهيرة مباشرة.

[٣٧٨] محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريـد الأزدي؛ جمع وتحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي (القـاهرة: لجنـة التـأليف

فَمـــا لَكُـــم إن لَـــم تَحوطـــوا ذِمـــارَكم
سَـــوامٌ وَلا دارٌ بـــ(حَتَّى) وَ(دامِـــثِ)[379]
وَ(خَـــتٍّ)[380] فَـــإن تَستَعصِـــموا بِجِبالِهـــا
فَأَوعارُهـــا مِثـــل السُـــهول البَـــوارِثِ
فَـــــلا وَزَرٌ إلا القَواضِـــــبَ وَالقَنـــــا
وَإلا فَكونـــوا مِـــن جُنـــاةِ الطَرائِـــثِ[381]
كَأَشلاءِ مَن قَد حَلَّ بِـ(الرَمل)[382] راضِـياً
بـــِخُطَّةِ خَسْـــفٍ بـــالمَلا المُتَواعِـــثِ[383]

والترجمة والنشر ١٩٤٦م)؛ الصفحة ٦٣ وما بعدها.

[379] السَّوام: النّعم السائمة، وأكثر ما يقال ذلك للإبـل، و(حَتَّـى) جبـل في عُمان معروف، و(دامث) موضع فيها أيضاً بحسب شارح القصيدة المجهول.

[380] خَتٌّ: مدينة وموضع بجبـال عُمـان (يـاقوت الحمـوي: معجـم البلـدان؛ رسمها)، و(الزبيدي: تاج العروس؛ رسم [ختت]).

[381] يقول لهم في هذا البيت إنه لا وزر لكم أي لا ملاذ لكـم إلا سـيوفكم ورمـاحكم، وإلا فـإنكم سـوف تكونـون جنـاةً للطرائـث، وهـو جمـع الجمـع لطرثوث النبات البري المعروف؛ يحذرهم من تهجيرهم إلى البراري.

[382] تقدم الحديث عن الرمل هذا، وأنه الموضع الذي بين البحرين وعُمـان الذي كان يُعرف باسم الرَّمل والرِّمال، وهو اليـوم يُكـوِّن الجـزءَ الأكـبر مـن الصحراء المسمّاة حديثاً باسم الرُّبع الخالي في شبه الجزيرة العربية.

[383] المتواعث: الشاقّ.

كَـــدَأبِ (رَبيْـــع) وَ(العُمُـــوْر) وَلَفِّهـــا

وَمَـــن حَــلَّ أَرفاغــاً بِتِلــكَ المَرامِــثِ[٣٨٤]

إذا آنَســـوا ضَـــبّاً بِجانِـــبِ كُديَـــةٍ

أَحـــالوا عَلـــى حافاتِهـــا بِالمَباحِـــثِ[٣٨٥]

أَو اللَبْــو حَيــثُ اِنتاطَــتِ الأَرضُ دَارُهَــا

بِــرَمْل (حَجُــوْر) أَو بِــ(قَاع الحَرائِــثِ)

فمن الواضح أنّ ابن دريد يشير إلى سكن قوم أسماهم بـ(بني ربيع) في الرَّمل، وقرن معهم في السكن (العُمور)، وهم من عبد القيس، وقرن معهم في السكن في عُمان، ثم في (رمل الحجور)،[٣٨٦] – وهو جزءٌ من الرّمل صوب عُمان – بني (الْلَبُؤ) وهم بنو اللبؤ بن عبد القيس؛ قبيلة ضخمة من عبد القيس كان معظمهم يسكنون في توّج والموصل،[٣٨٧] وبعضهم

---

[٣٨٤] الأرفاغ: مجامع الأوساخ، والمرامث: مواضع تنبت الرِّمث؛ نباتٌ برّي.

[٣٨٥] الكدية: الأرض الصلبة الغليظة، والمباحث ما يُحفر به.

[٣٨٦] ورد اسم هذا الرمل في القصيدة (الحجون)، والصحيح أنه الحجور كما ورد في قافية قصيدة للفرزدق.

[٣٨٧] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: المعارف؛ تحقيق ثروت عكاشة (القاهرة: دار المعارف ١٩٦٩م)؛ الصفحة ٩٣.

سكن البحرين،[388] وها هو ابن دريد ينص على أنّ بعضهم سكن عُمان أيضاً.

وأرى أنّ (ربيع) في شعر ابن دريد هو مُرَخَّم ربيعة، وقد قال الشارح المجهول في شرحه لهذه القصيدة – كما في ديوان ابن دريد) – إنّ ربيع هؤلاء من بني معدّ، ولم يوضح من أي بني معدّ هم، وأرى أنهم بنو ربيعة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، بقرينة ذكرهم مع العُمور واللبؤ، وهما قبيلتان من عبد القيس، ولما سبق أن ذكرته من ذكر هشام الكلبي لسكنى البطنين الأخوين من بني عامر بن الحارث في عُمان، وهما عوف بن عامر بن الحارث، وأخوتهم بنو ربيعة بن عامر بن الحارث،[389] ولما ذكره العوتبي أيضاً عن بني عوف هؤلاء أنه كان

---

[388] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب تحقيق عبد الخالق الجنبي(بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)ج٣: ١٨٣٤.

[389] هشام بن محمد الكلبي: جمهرة النسب؛ تحقيق محمود فردوس العظم (دمشق: دار اليقظة العربية ١٩٨٣م)؛ ج٢: ٣٢٥.

منهم **"من يقدم عمان"**،[390] وهذا يعني أنهم كانوا يرعون إبلهم في هذا الرّمل الواقع بين عُمان والبحرين، وبالتالي فإنّ إخوتهم بنو ربيعة كانوا معهم فيه، وهذا كله كفيل بتسويغ رأيي في أنّ (ربيع) الاسم المرخّم في قصيدة ابن دريد هم بنو ربيعة هؤلاء.

وأيضاً، فإنه يوجد بطونٌ أخرى من عبد القيس، ثم من بني عمرو بن وديعة سكنوا عُمان لم يذكرهم الكلبي، وذكرهم العوتبي المتأخر عنه، وذكر ارتفاع نسبهم، ويهمني أن أذكر ما يختص ببحثي هذا منهم، وهم:

بنوقُرَّة

وهم بنو قُرّة بن مالك بن مُرّة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وقد ذكر العوتبي عنهم أنهم كانوا يسكنون السرّ ونواحي تؤام[391]،

---

[390] سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: الأنساب (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٩٤م)؛ ج١: ١٥٢.

[391] تؤام العمانية هذه هي المعروفة الآن بواحة البريمي الواقعة بين سلطنة عُمان والإمارات العربية المتحدة.

ووصفهم بالبأس والنجدة.[٣٩٢]

وبنو قُرّة هؤلاء هم الذين ذكرهم الشاعر العبدي الحُسين بن ثابت الجذمي – نسبة إلى جذيمة بن عوف – في قصيدته التي حفظها لنا العماد الأصفهاني في ملحق القسم العراقي من خريدته؛ في ترجمة الشاعر نفسه من القسم (الملحق) الخاص بشعراء القطيف والأحساء والبحرين؛ حيث جاء فيها:[٣٩٣]

ووِلْـد (مُـرَّة) مـن بـدو وحاضـرةٍ
ومن بـني (قُـرَّةٍ) فاسـتنجد النسـبا

وليلاحظ القارئ أنّ الحسين بن ثابت قرن بني قُرّة هنا مع من سَمَّاهم بـ(ولد مُرَّة) في الشطر الأول من البيت، ولهذا تفصيل هامٌّ لبحثنا سيأتي لاحقاً عند الحديث عن مُراد ابن ثابت بـ(ولد مُرّة) في قصيدته هذه.

---

[٣٩٢] العوتبي: الأنساب؛ ج١: ١٥٠، والرشاطي في (اقتباس الأنوار المخطوط).

[٣٩٣] العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر (مخطوطة مكتبة نـور عثمان بإسطنبول رقم ٢/ ١٧٣٢) الورقات ١٦٦ – ١٦٩.

بنو الصِّيْق

وهم بنو الصّيْق بن مالك بن مُرّة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وهم أخوة بني قُرّة، ومن بني الصّيق هؤلاء آل مِهْزَم أحد أشهر بيوتات البصرة في فترة ما بين الدولتين الأموية والعباسية[٣٩٤]، ومنهم الأديب المعروف أبو هفان المهزمي العبدي.

بنو الخارجيّة

وهذا البطن هو ما يهمني الحديث عنه بالتفصيل هنا لارتباطه بهذا البحث ارتباطاً وثيقاً، فهذا البطن من بطون عبد القيس سكن عُمان من زمن قديم، وسُمُّوا بني الخارجية نسبة إلى أمهم كما ذكر العوتبي الذي اعتنى بهم، وأفرد لهم عنواناً خاصاً كعادته في الاهتمام بالقبائل والبطون العمانية، وقد ذكر هذا البطنَ العبقسيَّ بعضُ الكُتَّاب العرب القدماء،

---

[٣٩٤] انظر:

- الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحتان ٥٨٣ – ٥٨٤.
- أحمد بن علي النجاشي الأسدي: رجال النجاشي؛ تحقيق محمد جواد النائيني (بيروت: دار الأضواء ١٩٨٨م) ج٢: ١٦.

ومنهم الآمدي المتوفى سنة ٣٧٠هـ عند ترجمته لشاعرهم الشهير زياد الأعجم فذكر أنه من عبد القيس[٣٩٥]، وقال عنه إنه **"أَحَدُ بني عَامرِ بنِ الحارثْ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِيْ الخَارِجيَّةْ"**[٣٩٦]، واكتفى بذلك، ولم يرفع نسبهم، وقد ترجم أبو الفرج الأصفهاني لزياد الأعجم، فنسبه على أنه **"زيادُ بنُ سُليمانِ مَوْلَىْ عبدِ القيسِ؛ أَحَدُ بنِيْ عَامِرِ بنِ الحَارِثْ، ثُمَّ أَحَدُ بنِيْ مَالكِ بنِ عَامرِ الخَارِجيّةْ"**[٣٩٧]، ومن يقرأ نسبه هذا عند أبي الفرج - والذي رواه عن الأخفش الذي يرويه هو الآخر عن السكري – يظن أنّ بني الخارجية هم بنو مالك بن عامر بن الحارث أنفسهم، ولكن الصحيح أنهم بطنٌ منهم، وذلك بدلالة قول عالمٍ لغوي قدير هو اليزيدي المتوفى عام ٣١٠هـ، والذي نسب زياداً

---

[٣٩٥] وردت في المطبوع "عبد القين" وهو خطأ واضح.

[٣٩٦] الحسن بن بشر الآمدي: المؤتلِف والمختلِف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم؛ تحقيق ف. كرنكو (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٢م) الصفحة ١٣١ – ١٣٢، وسأشير للمؤلف لاحقاً بـ(الآمدي)، وإلى كتابه بـ(المؤتلف والمختلف).

[٣٩٧] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني؛ تحقيق سمير جابر (بيروت: دار الفكر الطبعة الثانية) ج١٥: ٣٧٠.

بهذه الصورة:

"زِيادُ بنُ سُلَيْمَانِ الأَعْجَمُ؛ وَيُكْنى أبَا أُمَامَة، وَهْوَ رَجُلٌ منْ عبدِ القيسِ؛ أحَدُ بنيْ عَامرِ بنِ الحَارِثِ، ثُمَّ أحَدُ بنيْ مَالِكِ بنِ عَامِرِ، ثُمَّ أحَدُ بنيْ الخَارِجيّةْ".[٣٩٨]

ومنه يتضح أنّ بني الخارجية من بطون بني مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس؛ إلا أنه حتى الآن لم نعرف ارتفاع نسبهم إلى بني مالك بن عامر بن الحارث، وهو ما تكفل لنا به العوتبي الذي عقد لهم – كما سبق وقلت - عنواناً خاصاً في كتابه الأنساب، وسأنقله بالنصّ هنا لما له من أهمية في إثبات ما أردت إثباته في هذا البحث؛ قال:

"نَسَبُ بنيْ عَامِرِ بنِ مَالِكْ[٣٩٩]**، مِنْهُمْ مُعَاوِيَةُ بنُ يحيَىْ الّذيْ**

---

[٣٩٨] محمد بن المبارك اليزيدي: الأمالي؛ تحقيق الحبيب عبد الله بن أحمد العلوي (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٤) الصفحة ١.

[٣٩٩] كذا ذكر نسبهم مختصراً، وسوف يذكره كاملاً بعد قليل، وربما يعود ذلك لأنّ كتاب العوتبي هذا حقق على نسخ تكثر فيها الأخطاء؛ كما إن محققها لم يكن لديه إلمام كبير بالأنساب والتاريخ، فكثرت فيها لاخطاء لهذين

خَرَجَ منِ الدِّيَاْرِ[٤٠٠] فيْ مائتيْ رَجُلٍ منْ بنيْ عَمِّهِ، فَنَزَلَ بـ(جُرّفَاْر)[٤٠١] مِنْ قُرَىْ عُمَانِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إلىْ أوَاْل[٤٠٢]، فَقَاْتَلَ مجُوْسَاً كَانُوْا بهَا، فأجْلاْهُمْ عَنْهَا، وَتَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ، وَقسَمهَا عَلىْ بنيْ عَمِّهْ[٤٠٣]، وَهُمْ بنُوْ الخَارجيّة؛ يَسْكُنُوْنَ بـ(رَمْلِ عُمَاْن)، وَهُمْ أهلُ شِدَّةٍ وَبَأس؛ رُمَاةٌ بالنَّبْلِ، وَهُمْ أهْلُ حِفَاْظٍ، وَالخَاْرِجيّةُ أُمُّهُمْ؛ قال الشاعر:

ألَمْ تَــــرَ أنَّ الخَارجيَّـــةَ أمُّنَـــاْ

وَأنَّ أبَاْنَـــاْ عَــامِرُ بـــنُ مُعَاْويَـــةْ

وهم: بنُوْ عَاْمِرِ بنِ مُعَاْوِيَة بنِ عَبدِ اللهِ بنِ مَالكِ بنِ عَاْمِرِ بنِ الحَارِثِ بنِ أنْمَارِ بنِ عَمْرو بنِ وَدِيْعَةِ بنِ لُكَيْزِ بنِ أفْصَىْ بنِ عَبدِ القَيْسِ بنِ أفْصَىْ بنِ دُعْمِيٍّ بنِ جَدِيْلَة بنِ أسَدِ بنِ

السببين.

[٤٠٠] يقصد بذلك ديار عمان.

[٤٠١] هي جلفار، وكانت تقع بالقرب من رأس الخيمة الآن.

[٤٠٢] هي جزيرة أوال (البحرين).

[٤٠٣] لا زال يُعرف في جزيرة سترة من جزر أوال قرية من قراها تسمى الخارجية حتى الآن، ولكن لا أعرف إن كان لها علاقة ببني الخارجية هؤلاء أم لا، وقد يكون لها ذلك.

رَبِيْعَةَ بنِ نزَارِ بنِ مَعَدٍّ بنِ عَدْنَاْنْ".[٤٠٤]

وهكذا تم لنا معرفة ارتفاع نسب هذا البطن الهام من قبيلة عبد القيس، وهم بنو عامر بن معاوية الخارجية، وهُمْ بطنٌ هامٌ من عبد القيس لأنهم قدموا شخصيات تاريخية فذة من شعراء وزعماء وعلماء وأدلاء طرق، فقد رأينا كيف أنه كان منهم الشاعر الذائع الصِّيْت زياد الأعجم، وكذلك كان منهم شاعرٌ لا يقل عنه صيتاً وشهرة، وهو أبو الجويرية عيسى بن أوس بن عضبة أو عصبة العبدي الذي ترجم له الآمدي، فقال إنه: **"أحَدُ بنِيْ عَامرِ بنِ مُعَاْوية بنِ عبدِ اللهِ بنِ مَالكِ بنِ عامرِ بن الحارثِ بنِ أنمارِ بنِ عمرو بنِ وديعة بنِ لُكَيْزْ"**،[٤٠٥] ولكنه لم ينعتهم هنا بـ(بني الخارجية) كما فعل في ترجمة زياد الأعجم الذي لم يرفع نسبه، وإنْ كنا لسنا بحاجة إلى ذلك الآن بعد أن عرفنا ارتفاع نسبهم.

---

[٤٠٤] سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: الأنساب ج١: ١٥٠.

[٤٠٥] الآمدي: المؤتلِف والمختلِف (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٢م) الصفحة ٧٩.

ومن الشخصيات العبدية التي قدمها بنو الخارجية الصحابي الجليل السيدُ بن بشر بن عصَر بن عمرو بن مالك بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث سيد بني عامر بن الحارث بعد أبيه؛ كان شريفاً جواداً، وله وقائع وأيام مشهورة في العرب، وأدرك الإسلام، ووفد على رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فأسلم، وذُكر له بعد الإسلام أثرٌ جميلٌ في قتال بكر بن وائل على الردّة مع الجارود سيّد عبد القيس الأكبر.[٤٠٦]

وكذلك قدّم بنو الخارجية هؤلاء الزعيم الجسور معاوية بن يحيى الذي تقدم للتو أنه رحل من عُمان، وقصد جزيرة أوال، فطرد المجوس عنها، وسكنها مع قومه، وقسمها على بني عمه.

كما قدم هذا البطن العبقسي أحد أشهر حكام إقليم البحرين القديم في أواسط القرن الثالث الهجري، وهو العريان بن إبراهيم بن الرجَّاف بن العريان بن مورق بن

---

[٤٠٦] عبد الله بن علي الرشاطي: اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار؛ مخطوط في المكتبة الأزهرية تحت الرقم: ٣٠٢٦٦٤؛ باب [العامري].

رجاء بن بشر بن صهبان بن الحارث بن وهب بن عُصْبة بن كعب بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث[٤٠٧]؛ الذي ذكره هو الآخر أكثر من مؤرخ كالمقريزي في اتعاظ الحنفا،[٤٠٨] وقبله ذكره المسعودي في التنبيه والإشراف،[٤٠٩] ولكن ورد اسم أبيه فيه (الهيثم)، ومن الواضح أنه تحريف (إبراهيم)، وبالمناسبة فهذا الزعيم الخارجي – نسباً – العبدي – قبيلةً – كان رئيس جواثى المدينة الأحسائية الشهيرة كما ذكر المسعودي في ذات الموضع، وهذا الزعيم العبدي هو الذي حقق انتصاراً ساحقاً في البحرين ضد صاحب الزنج، فكسره وأخرجه منها كما ذكر المقريزي في المصدر المتقدم.

---

[٤٠٧] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج٥: ٢٨٧٥.

[٤٠٨] المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا بتحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي بمصر١٩٦٧م) ج١: ١٥٩ هامش (٣).

[٤٠٩] علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف (بيروت: دار صادر مصورة بالأوفست عن طبعة بريل – ليدن ١٨٩٣م.) الصفحة ٣٩٢.

وكذلك فإنّ من الشخصيات العلمية التي قدمها بنو الخارجية العالم والأديب والنسابة أبو الحسن علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي، وهذا الأديب الخارجي العبدي هو الذي روى عنه العماد الأصفهاني في الخريدة الكثير من أخبار الشعراء البصريين والبحرانيين واليماميين، وسيكون لنا عنه حديثٌ فيما يلي من البحث.

غير أنّ أكثر الشخصيات التاريخية - التي قدمها بنو الخارجية – غموضاً وإثارة للجدل هو الزعيم (علي بن مرّة)، وهو الشخصية التي قدمها لنا النسَّابة العَوْتَبِيُّ الذي أدرك القرن السادس الهجري، والذي كان لسلسلة نسب هذه الشخصية الخارجية التي ذكرها الفضلُ في تأكيد ارتفاع نسبه إلى بني الخارجية، ثم إلى عبد القيس كما رأينا قبل قليل؛ ولكنّ هذه الشخصية الغامضة التي ذكرها العوتبي أعني علي بن مُرّة لم يُذكر – على ما يبدو – سوى عند العوتبي الذي اكتفى برفع نسبه إلى بني عامر الخارجيين فقط من دون ذكر أي تفاصيل أخرى عنه، وإن كان ذكره له عند ذكر قبيلته التي ينحدر منها هو دليل على كونه شخصية مَرْمُوْقَةٌ ومُقَدَّرةٌ في

قبيلته يُشار إليها بالبنان جرياً على عادة النسابين العرب في ذلك، ونصُّ ما قاله العوتبي عن نسب هذه الشخصية هو قوله بعد النصّ الذي سبق ونقلته للتو عنه في بني الخارجية:

"وَمِنْهُم عَليٌّ بنُ مُرَّة بنِ عَليٍّ بنِ أحمدَ بنِ يُوْسُفَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ جَابرِ بنِ محمّدِ بنِ زَيْدِ بنِ العَتَمِ بنِ كَعْبْ بنِ ظَالْمِ بنِ هُزَيمةَ بنِ زيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عامرِ بنِ مُعَاْوِيَةْ".

ومع ذلك، فسوف يكون لي وقفة طويلة مع هذا الشخص الغامض الذي لا أخفي هنا ترجيحي له لأنْ يكون هو ذاته علي بن مُرّة الجدَّ الأعلى لقبيلة آل مرّة المعاصرة، والذي لم يذكر النَّسَّابَةُ المعاصرون من نسبه سوى أنه علي بن مرة كما سنرى فيما بعد.

مساكن بني الخارجية في شرق الجزيرة العربية

من الهامّ جداً أنْ ألفت نظر القارئ إلى ما ذكره العوتبي في نصّه المتقدم عن مساكن بني الخارجية هؤلاء عندما قال إنهم يسكنون بـ(**رمل عمان**)، فقد رأينا أنّ البكري قد ذكر هذا الرمل مجرّداً دون نسبة عندما ذكر رواية ابن شبة في أنّ بني

نُكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس قد سكنوه من ضمن مساكنهم في البحرين وعمان كما تقدم.

وقد عُرِّف هذا الرمل في القرنين الثاني والثالث الهجريين بـ(رمال بني سعد) من تميم، وذلك عندما انتجعوا البحرين بعد رحيل عبد القيس إليها بمدة، فاحتلوا منهم بعض مواطنهم التي استوطنوها في البحرين، ومنها: الأحساء، وعينين، وصُلاصل، ويبرين، وقطر، وفي معجم ما استعجم ذكر أنّ بني سعد بن زيد مناة بن تميم نفذت إلى يبرين وتلك (الرمال) المحيطة بها حتى خالطوا بني عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر.[٤١٠]

وقد ذكر ياقوت نقلاً عن ابن السكّيت (توفي عام ٢٤٤هـ) موضعاً سماه بـ(حامر) قال عنه إنه من وراء يبرين في رمال بني سعد؛[٤١١] كما نقل عن أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي (توفي عام ٢٠٤هـ) قوله عن القرية الأسطورية (وبار) أنها منقطعة

---

[٤١٠] البكري: معجم ما استعجم؛ ج١: ٨٨.

[٤١١] ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢: ٢٠٨ رسم (حامر).

بين رمال بني سعد وبين الشحر ومهرة[٤١٢]، فالشحر ومهرة هما من بلاد حضرموت وعُمان، ويبرين لا زالت معروفة الموضع حتى الآن، فيتضح من تحديد هذين المكانين أعني (حامر) و(وبار) أن رمال بني سعد هي الرمال الواقعة بينهما، وهي جزءٌ مما يُسمى برمال الربع الخالي الآن، وقد بقيت يبرين لآل سعد التميميين حتى ظهور القرامطة، وتأسيسهم لدولتهم في إقليم البحرين القديم حيث أخربوا يبرين وشردوا سكانها عنها كما يذكر أكثر من مؤرخ.[٤١٣]

---

[٤١٢] تقع بلاد المهرة قرب حدود ظفار، ووادي حضرموت، وتبعد عن المكلا نحو ١٨٦ ميلاً، وفيها ست مدن رئيسة، وهي: الغيظة، وجاذب، وحوف، وقشن، وسيحون، والإبل المهرية منسوبة إليهم، وتُعدُّ من أشهر إبل العرب.

بتصرف عن:

علي عبد الكريم الفضيل شرف الدين: الأغصان لمشجرات أنساب عدنان وقحطان (الرياض: مكتبة العزيزية ١٩٩٥م) الصفحة ٤٧١.

[٤١٣] علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف (بيروت: دار صادر مصورة بالأوفست عن طبعة بريل – ليدن ١٨٩٣م.) الصفحة ٣٩٣.

وفيه في ذكر ما فعله أبو سعيد الجنابي بيبرين وأهلها: "وأباد أهلها، وكانت من أطيب بلاد الله، وأكثرها أهلا وعمائر، ونخلا وشجرا، فلا أنيس

وفي الحقبة نفسها ورد تسمية القسم الواقع بين يبرين والشحر من هذه الرمال بـ(الجُزء)، فقد ورد في كتاب (الأمكنة والمياه): **"رَملُ الجُزء - بضَمِّ الجيْمِ وَسُكُوْن الزَّايْ بعْدَهَا هَمْزَة - بَيْنَ الشّحْرِ ويَبْرِيْنَ، مَسِيْرَةُ شَهْرٍ؛ تحُلُّهُ أفْنَاْءُ القَبَائِلِ منِ اليَمَنِ وَغَيرِهِمْ، عَامَّتُهُمْ بنوْ خُوَيْلِد بنِ عُقَيْل، سُمِّي بذلَكَ لأنَّ الإبلَ تَجْزَأُ فيهِ بالكَلأِ أيَّامَ الرَّبيْعِ، فَلاْ تَردُ الماءَ"**[٤١٤]، ولكن ياقوتاً الذي نقل تسميته بالجزء، ونسبته إلى بني خويلد عن الأصمعي - المتوفى عام ٢١٦هـ - قال في (معجم البلدان): **"تَنْزلُهُ أفْنَاْءُ القَبائِل، مِنِ اليَمَنِ وَمَعَدٍّ، وعَامَّتُهُمْ مِنْ بنيْ خُوِيْلِدْ بنِ عُقَيْلْ".**[٤١٥]

ثم بحلول منتصف القرن الخامس الهجري استطاعت قبيلة

بها اليوم"، وللوقوف على تفصيل هذا الأمر يراجع: حمد الجاسر: معجم البلاد العربية السعودية/ قسم المنطقة الشرقية؛ رسم (يبرين).

[٤١٤] نصر بن عبد الرحمن الإسكندري: الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار؛ أعده للنشر حمد الجاسر (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية + دارة الملك عبد العزيز ٢٠٠٤م) ج١: ٢٨٨.

[٤١٥] ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٢: ١٣٢ رسم (جُزء).

عبد القيس – المَعَدّيـّة – أن تستردّ سيطرتها على (الرِّمال) من جديد بفضل بطنٍ خطيرٍ منهم صار في هذا الوقت قبيلةً ضخمةً تدعى بـ(بني الخارجية) و(بني خارجة)[٤١٦] أيضاً، فقد ذكر شارح الديوان المقرَّبي في أواسط القرن السابع الهجري أنه عندما استطاع عبد الله بن علي العُيوني العبدي من التغلب على بقايا القرامطة في الأحساء في العِقد السابع من القرن الخامس الهجري، وأسس الدولة التي عُرفت لدى الباحثين في التاريخ باسم الدولة العُيونية؛ سار إليه في العام ٤٧٤هـ جيشان ضخمان أحدهما من بلاد فارس بقيادة من أسماه الشارح بـ(القاضي القاروتي)، والآخر من العراق من طرف السلطان السلجوقي خمارتكين، فلما وصل الجيشان إلى الأحساء أدرك عبد الله بن علي العُيوني أنه لا طاقة له ولجنده

[٤١٦] ورد في قصيدة الحسين بن ثابت القطيفي التي عَدّد فيها بطون عبد القيس قوله:

واهتف أبيرق واستنجد بخارجة ... ومن حصيص فكن للأسد منتخبا

فهو سماهم هنا (خارجة)، وسيأتي عن شارح الديوان بعد قليل تسميته للرمال الواقعة بين عُمان والبحرين برمل خارجة، وهو نسبة إليهم.

بهذين الجيشين، فكان أنْ أعمل فيهما الحيلة التي استطاع أن يقضي عليهما بسببها، وتذكر الرواية أنّ عبد الله بن علي أظهر لهم الطاعة والتجمل في الأحوال والأفعال معهم، ثم أطمعهم في أرض عُمان حتى رغبوا فيها، فأرسلَ عندها سرّاً إلى من سمّتهم الرواية بـ**"قومٍ منِ العَرَبِ مِنْ بَادِيَةِ عَبدِ القَيْسِ يُعْرَفُوْنَ ببَنِيْ الخَاْرِجيّة"** ووصفهم الشارح بأنهم: **"ممنْ يَسْكُنُ رَمْلَ عُمَاْن المعْرُوْفُ فيْ وَقْتِنَا هَذا برَمْلِ خَاْرِجَةْ"**، وفي نسخة أخرى: **"فَبَعَثَ إلىْ قَومٍ مِنْ بنيْ الخَاْرِجيّةِ ممنْ يَسْكُنُ الرَّمْلَ الذيْ بَينَ عُمَاْنَ وَالبَحْرَيْنْ"**، وملخص القصة بعد ذلك أنه طلب من هؤلاء الخارجيين أن يسيروا مع هذين الجيشين نحو عُمان، ولكنه طلب منهم سرّاً أن يبيتوهم على غير ماء في وسط الرمل المعروف بهم ثم ينسلوا عنهم ويتركوهم فيه، ففعل الخارجيون ذلك استجابة لابن قبيلتهم عبد الله بن علي العُيوني الذي يلتقي معهم في العمارة العبدية الشهيرة بني عامر بن الحارث، وتركوا ذلك الجيش لمصيره المؤلم في تلك الرمال المرعبة، فكانت النتيجة أن هلك الجيش كله بحسب الرواية نفسها، ولم ينجُ منهم سوى رجل واحد سار به فرسه

الأصيل إلى الأحساء على الغاية من الهلع والرعب، وتكمل الرواية أنّ الخارجيين رجعوا إلى الجيش المغدور بعد موت أفراده كلهم، فغنموا أسلابهم.[٤١٧]

وهكذا نجد أن شارح الديوان المقرَّبي سمّى هذا الرمل باسم (رمل عمان) مقروناً ببني الخارجية؛ كما فعل العوتبي قبل قرنين من الزمان تقريباً عندما ذكر أنه كان سكناً لهم في كتابه الأنساب، وفي رواية النسخة الأخرى من الديوان المقرَّبي تمّ وصفه بالرمل الذي بين عمان والبحرين، وشارح الديوان المقرَّبي كان يتحدث عن وقعة حدثت في العام ٤٧٤ للهجرة، وهو وقتٌ كان العوتبي حياً فيه من دون شك لأنه كان من مخضرمي القرنين الخامس والسادس الهجريين، ولكن ينبغي الالتفات إلى قول شارح الديوان المقرَّبي - وهو من رجالات القرن السابع الهجري – أنّ هذا الرمل كان يُعرف في وقته بـ(رمل خارجة)، وهي تسمية أطلقت عليه بسبب كون ساكنيه والمسيطرين عليه هم بنو الخارجية العبديّون بحسب ما يتضح

---

[٤١٧] بتصرف عن شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب (بيروت: دار المحجة البيضاء) ج٤: ٢٢١٨.

من كلام الشارح نفسه.

وقد سبق أن مرّ بنا قول البكري أنّ بينونة كانت من منازل قبيلة عبد القيس أوَّل نزولهم في البحرين وعُمان، وقد مرّ في المصدر ذاته أنها سُمِّيت بينونة لأنها في مكان وسط بين البحرين وعُمان، وهذا يعني أنها كانت تقع في هذا الرمل الذي حدده شارح الديوان المقرَّبي، وسمّاه (رمل خارجة) نسبة إلى بني الخارجية العبديين، ثم عُرف بعد ذلك بمدة باسم (الرمال) على الإطلاق إلى قريب عصرنا الحاضر حيث أطلق عليه الرحالة الغربيون اسم الربع الخالي.

وأيا كان الأمر فإنّ الذي ذكره شارح الديوان المقرَّبي في منتصف القرن السابع الهجري[٤١٨] تقريباً هو آخر ما لدينا من أخبار موثقة عن قبيلة بني الخارجية العبديين، وهو شاهد إثبات على وجودهم أو وجود عبد القيس عامة في الرِّمال أو الرَّمل

---

[٤١٨] اعتمدت في ذلك على وجود رواية تذكر أن وفاة ابن المقرَّب كانت على أبعد تقدير في العام ٦٣١هـ، وإن كنت قد ذكرت رأيي في الدراسة الخاصة بهذا الشاعر، – والملحقة بتحقيق هذا الشرح – بأن وفاة هذا الشاعر قد تكون أبعد من هذا التاريخ.

الذي ظلّ لفترة طويلة محتفظاً بنسبته إليهم لمدة طويلة.

وحيث لم أجد فيما لدي من مصادر بحث ورود أي خبر صريح عن بني الخارجية فيما بعد القرن السابع الهجري، وكان هذا الخبر الذي ذكره شارح الديوان المقرَّبي هو آخر ما دوّنه التاريخ الموثَّق عنهم، فإنني سوف أضطر إلى إغلاق الستارة على هذه القبيلة، وهي سيدة لهذه (الرمال) في القرن السابع الهجري لأفتحها في القرن الثاني عشر الهجري على هذه (الرمال) نفسها، ولكنها بدون سيادة قبيلة بني الخارجية العبدية عليها، وإنما بسيادة قبيلة ذات شهرة ورَهبة تعرف بـ(آل مُرَّة) التي يوجد شبه إجماع بين المؤرخين والنسابة المعاصرين على أنها أقدم قبائل الجزيرة العربية المعاصرة وأكثرها إيغالاً في البداوة، والتي لها من البطون والفروع والأفخاذ الكثيرة ما يؤيد ذلك؛ لأنّ هذه الفروع والبطون لم تكن لتتكون بين ليلة وضحاها، وأنّ كثرتها تدل على أنّ الجد الأعلى الذي ترقى إليه هذه البطون المريّة كلها، وهو علي بن مُرَّة هو جدٌّ قديم بالفعل كما ذكر المؤرخون والنسّابون.

وإذاً ألا يحق لنا أنْ نتسائل عن وجود علاقة نسب بين هاتين القبيلتين اللتين قطنتا المنطقة نفسها التي تُعد من أكثر مناطق الجزيرة العربية انعزالاً تاماً عن غيرها من مناطق الجزيرة الأخرى وأقلها توفراً على الماء شريان الحياة؟ هذا بالإضافة إلى العديد من الصفات الإنسانية المتوارثة التي اتصفت بها كلا القبيلتين، وهذا التساؤل هو ما سأحاول الإجابة عليه فيما يلي من البحث.

قبيلة آل مرّة أكثر القبائل المعاصرة بداوة وعراقة

تُعرف قبيلة آل مُرّة لدى سكان الجزيرة العربية بأنها أقوى القبائل في الجزء الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية[٤١٩]، وأنها من أقدم قبائل العرب، وأصحها نسبا، وأشدها مراسا، وأبعدها عن الحضر.[٤٢٠]

---

[٤١٩] شعبة البحث التابعة لشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو): المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ (الظهران – المملكة العربية السعودية يناير ١٩٥٠م) الصفحة ٩١، وسأشير إلى المعد في الإحالات الآتية بـ(شعبة البحث)، وإلى البحث بـ(المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا).

[٤٢٠] عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب (بيروت: دار العلم للملايين

كما تُعرف بأنها قبيلة شديدة المراس، عريقة حتى اليوم في البداوة[٤٢١]، وفي الباحثين من يرى أنّ جدّهم مُرّة قديمٌ جداً، وهو أقدم من بقيت سلالاتهم في جزيرة العرب إلى الآن[٤٢٢]، وأنّ من خصائصهم معرفة كثير من أفرادهم باقتفاء الأثر،[٤٢٣] والقيافة،[٤٢٤] وقد كان لشهادتهم في ذلك قيمتها في محاكم المملكة العربية السعودية،[٤٢٥] التي كانت تقوم بتعيين قَاصّ أثر

١٩٦٨م) ج٣: ١٠٧٠، وسأشير إلى المؤلف بـ(كحالة)، وإلى كتابه بـ(معجم قبائل العرب) فيما يلي من البحث.

[٤٢١] خير الدين الزركلي: الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠م) ج٧: ٢٠٥.

[٤٢٢] خير الدين الزركلي: الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠م) ج٧: ٢٠٥.

[٤٢٣] هـ. ر. ب. ديكسون: عرب الصحراء؛ تعريب محمد حسن التيتي؛ نشره وحققه سعود بن غانم الجمران العجمي (الكويت ١٩٩٧م) الصفحة ٤٨٤، وسوف أشير إلى المؤلف فيما يلي بـ(ديكسون)، وإلى كتابه بـ(عرب الصحراء).

[٤٢٤] حمد بن إبراهيم الحقيل: كنز الأنساب ومجمع الآداب (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية ١٩٨٨م) الصفحة ١٩٣.

[٤٢٥] انظر:

مرّي في كل فصيلة من فصائل الشرطة في نجد والأحساء للاستفادة من هذه الخبرات لديهم؛ حتى لقد اشتهر بين سكان المنطقتين قولهم: **"في السماء برقية، وفي الأرض مُريّة"**.[٤٢٦]

ونظراً لقدم هذه القبيلة في الجزيرة العربية، فقد رجح بعض الباحثين الغربيين أنهم من أخلاف السكان الذين كانوا موجودين في البلاد قبل ظهور العرب فيها؟!!.[٤٢٧]

وفي حين يرى الزركلي أن قبيلة آل مرة هذه تتكون من خليط من قبائل وبطون يمانية وعدنانية[٤٢٨] يرى بعض النسابة

- شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩١.
- خير الدين الزركلي: الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠م) ج٧: ٢٠٥.

[٤٢٦] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٥، ويقصدون بالبرقية أسلاك الهاتف التي كانت قد مدت للتو حينها، وبالمريّة أي أشخاص من بني مرّة.

[٤٢٧] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٤.

[٤٢٨] خير الدين الزركلي: الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠م) ج٧: ٢٠٥.

المحدثين أنّ آل مُرّة ينحدرون من قبيلة يام الهمدانية اليمانية،[٤٢٩] وزاد بعضهم، فذكر دون ذكر مصدر أنّ جدهم هو مُرّة بن جُشم بن يام!، وأنّ أغلب بطون القبيلة ينحدرون من فرعين رئيسين لهذا الجدّ، وهما آل علي بن مرّة، وآل شبيب.[٤٣٠]

إلا أنّ المغيري يرى أنّ جميع بطون آل مُرّة ينحدرون من ابنه علي بن مُرّة، وأنّ شبيب جدّ آل شبيب هو شبيب بن علي بن مُرّة،[٤٣١] وأنا شخصياً أميل إلى هذا الرأي.

ويوجد في منطقة نجران ثلاثة أفخاذ يمتُّون بصلة القرابة إلى آل مرّة ولكن يبدو أنها ليست قرابة أبوية، وهذه الأفخاذ هي: آل دمنان، وآل هتيلة، وآل هندي،[٤٣٢] ويرى الأمير عبد الله بن

---

[٤٢٩] انظر:

- ديكسون: عرب الصحراء؛ الصفحة ٣٣٤.
- شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٢.

[٤٣٠] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٢.

[٤٣١] عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيرى اللامي الطائي: المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب؛ الصفحة ٨٥ (نسخة إلكترونية).

[٤٣٢] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٢.

عبد الرحمن آل سعود شقيق الملك عبد العزيز أنّ هذه الأفخاذ الثلاثة تتبع لبعض الفروع الأخرى من سلالة شخص اسمه جشم، ويغلب الظنّ لديه بأنه جشم بن يام[٤٣٣]؛ كما يرى أحد نسابي القبيلة أنّه من الأليق إدراج آل هندي كفخذ من قبيلة يام عامة، وليس من آل مُرّة.[٤٣٤]

وتدلّ أغلب أقوال آل مُرّة على أنّ آل هتيلة ليسو من آل مُرّة صليبة، ولكنهم ينحدرون هم وآل مُرّة من سلالة شخصٍ ما اسمه (سلمان)، وأنهم يدعون لأجل ذلك بآل سلمان؛[٤٣٥] كما يوجد بعض كلام في أنّ بطن الغياثين المنتمي إلى علي بن مُرّة ربما يكونون من الدواسر،[٤٣٦] وهذا في رأيي عائد إلى وجود

---

[٤٣٣] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٣.

[٤٣٤] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٣.

[٤٣٥] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٣

[٤٣٦] انظر:

- عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري: الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب (القاهرة: مطبعة المدني دت)؛ الصفحة ١٣٨.
- شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٣.

بطنٍ في الدواسر يسمى الغياثين أيضاً، وهو ما سبب هذا الاعتقاد.

وبعكس ما قاله عنهم بعض الباحثين من أنّ آل مرّة يتحدثون لغة غريبة فيما بينهم ليست عربية[٤٣٧]، فإنّ الأغلبية الساحقة من البدو في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية تجمع آرائهم على أنّه إذا كان يوجد من القبائل من يتكلم اللغة العربية الفصيحة، فهم آل مُرّة؛[٤٣٨] كما يرى بعض الباحثين أنّ شبه انعزال القبيلة في الرمال قد ساهم بلا ريب في انتقال لغتهم القديمة المتداولة من جيل إلى جيل دون أن يطرأ عليها من التغيير إلا القليل؛[٤٣٩] كما يرى دونالد كول أنّ سكنهم للربع الخالي قد ساهم في بقائهم على عاداتهم القديمة، وعدم

---

[٤٣٧] أخشى أن يكون قد حصل اشتباه في هذا الأمر، وأنّ من قال ذلك كان يقصد قبيلة (مهرة) وليس آل (مرّة) لأنّ المعروف أنّ قبيلة المهرة هم الذين يتحدثون بلغة خاصة بهم تُسمى المهرية لا يفهمها غيرهم.

[٤٣٨] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٦.

[٤٣٩] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٧.

تعرضهم للكثير من التغييرات أسوة بباقي القبائل الأخرى.[٤٤٠]

منازل آل مُرّة في شرق الجزيرة العربية

تحدُّ صحراءُ الدهناء ديار آل مُرّة من الغرب، ويسرح المرّيون بإبلهم في رمالها إلى السهول الحصبائية الواقعة غرب هذه الصحراء؛ كما تُعد سهول الريدة، وأبو بحر، ومنطقة الحجر الجيري الواقعة في القسم الجنوبي من الصمّان، والحدَب الواقعة حول يبرين وحرض من ديار آل مرّة بدون منازع، ويشكل الخط الواصل بين الهُفوف وميناء العُقير الحد الشمالي لديارهم، وأما المواضع التي تتألف منها الفُروق والنعلة (نعلة شدقم) الواقعة غرب واحة الهُفوف وشمالها الغربي، فهي مشتركة بين آل مُرّة والعجمان؛ كما يشتركون مع هؤلاء الأخيرين ومع قبيلة بني هاجر في مراعي وادي المياه (الستار) الخصبة، وأما من الجنوب حيث ما يسمى بالربع الخالي، فإنّ آل مُرّة لهم كل الأجزاء الشاسعة منه، والممتدة من

---

[٤٤٠] دونالد باول كول: بدو البدو حياة آل مُـرّة في الربـع الخـالي (بـيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٤هـ) الصفحة ٣٢، وسـوف أشـير إلى المؤلف بـ(دونالد كول)، وإلى كتابه بـ(بدو البدو) فيما يلي.

رمال الظفرة قرب عُمان والإمارات العربية المتحدة في الجهات الشرقية منه إلى منطقة نجران في الجهات الغربية، وإلى حيث توجد المراعي في الجهات الجنوبية الوسطى من هذه الصحراء المرعبة.[٤٤١]

وأما واحتي يبرين والخنّ وما حولهما، فهي تُعدُّ من ديار بني مرّة بموجب حقٍ قديمٍ لهم فيها لا نزاع عليه بين قبائل المنطقة،[٤٤٢] ومن الناحية الشرقية للرمال (الربع الخالي)، فإن حدود قبيلة آل مُرّة تصل إلى ديار قبيلتي العوامر والمناصير عند رمال الظفرة،[٤٤٣] ومن الجهة الشرقية فإنّ ديارهم تحاذي كل الحافة الغربية للسبخة العملاقة المعروفة بـ(سبخة مطي)،

[٤٤١] بتصرف عن شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٩.

[٤٤٢] انظر:

- ديكسون: عرب الصحراء؛ الصفحة ٤٨٤.
- دونالد باول كول: بدو البدو؛ الصفحة ٣٨.
- شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٨.

[٤٤٣] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ١٠١.

وتصل إلى سهل الجنّ، وجوّ العزبة، وبطن الطرفاء، والجيبان، فواحتي السكك ونباك أسفل شبه جزيرة قطر،[٤٤٤] ومن هذه الحدود الأخيرة الرابطة بين حدود الإمارات العربية المتحدة (عُمان قديماً) وشبه الجزيرة القطرية والأجزاء الجنوبية الشرقية لشرق الجزيرة العربية يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك ذلك التقاطع الواضح كل الوضوح بين مساكن آل مُرّة في الرّمل (الربع الخالي)، وبين مساكن بني الخارجية العبديين فيه، وهو ما سأتناوله بشيء من التفصيل الآن.

الرَّمل أو الرِّمال المسكن المشترك لبني الخارجية وآل مُرّة

لقد رأينا فيما مضى كيف أنّ شارح الديوان المقرّبي أكّد في خبر الجيش القاروتي المغدور ما قاله العوتبي قبله بأكثر من قرن من الزمان حول سكنى بني الخارجية العبديين لرمل عمان، ولكنه كان أكثر توضيحاً من العوتبي لموضع هذا الرمل عندما حدده – كما في رواية النسخة الأخرى – بأنه الرمل الواقع بين عُمان والبحرين، وقد كان هذا الشارح أكثر تحديداً

[٤٤٤] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ١٠٢.

له عندما علّق على قول الشاعر في ميميته الشهيرة:

مِنَّاْ الَّذِيْ حَاْزَ مِنْ (ثاْج) إلىْ (قَطَر)
وَصَيَّرَ (الرَّمْلَ) مِنْ مَاْل العَـدُوِّ حِمَـىْ

فقال: **"الرَّملُ يَعْنِيْ طَرِيقَ عُمَاْن المعْرُوْفَة برِمَالِ خَاْرِجَةْ"**.[٤٤٥]

وليلاحظ القارئ أنه سمّاه بـ(الرَّمل) و(الرمال) وأضافه إلى (خارجة)، و(الرمال) هو الاسم الذي كان أكثر استخداماً له في العصور الحديثة كما سنرى.

وقال الشارح أيضاً في شرح البيت:

لَيَــاْلِيَ يَحْمِــيْ (الجَاْبريَّــةَ) مِــنْهُمُ
إلَىْ (الرَّمْل) مِطْعَاْمُ العَشِيَّاْتِ مِطْعَاْنُ

"الرَّملُ: رَمْلُ خَارِجَة بطريقِ عُمَانْ".[٤٤٦]

وقد افتخر ابن المقرَّب بالابن الثاني لمؤسس الدولة العُيونية، وأحد زعمائها الأقوياء، وهو الفضل بن عبد الله بن

---

[٤٤٥] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقـرَّب (بـيروت: دار المحجـة البيضـاء ٢٠١٢م) ج٤: ٢٢٨٤.

[٤٤٦] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقـرَّب (بـيروت: دار المحجـة البيضـاء ٢٠١٢م) ج٥: ٢٥٨٥ – ٢٥٨٦.

علي العُيوني لأجل تحريمه على قبائل البدو الرعي في براري البحرين من السّودة المعروفة حتى الآن بمراعيها الخصبة – شمال النعيرية – إلى هذا (الرّمل)، وذلك في قوله عنه:[٤٤٧]

همــامٌ حمــى البحــرين ســبعاً ومثلــها
ســنين وســارت في الفيــافي مواكبــه
ولم يرعَ مــن ثــاج إلى الرَّمــل مصــرمٌ
علــى عهــده إلا اســتبيحت حلائبــه

وعلَّق الشارح على ذلك بقوله: **"ومعنى الأبيات أنَّ الفضلَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عليّ العُيُونيّ؛ كانَ قدْ حَمَى مَا بينَ السّودَةِ إلى رَمْلِ خَارِجَة من المراعيْ، فَكُلُّ مَنْ نَزَلَ بهَا مِن البَادِيَة أخَذ مَالَهْ"**.[٤٤٨]

وقد بقي هذا الاسم معروفاً حتى وقتنا هذا باسم (الرّمل)، و(الرَّملة)، و(الرِّمال)، فعندما سأل الرحالة والمستكشف

---

[٤٤٧] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج١: ٢٨٠.

[٤٤٨] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج١: ٢٨٤.

الإنجليزي ويلفرد ثيسجر عام ١٩٤٥م مرشديه من قبيلة بني كثير عنه باسم (الرُّبع الخالي) لم يعرفه أحدٌ منهم، وبعد أن وصفه لهم وحدد موضعه صرخ أحدهم قائلاً: **"آهْ .. إنّهُ يَعْنِيْ الرِّمَاْلْ"**،[٤٤٩] وهو ما أكده قبله العالم الجيولوجي في شركة أرامكو توماس بارجر، وقال إنّ أدلاءهم من آل مُرّة والعوامر كانوا يطلقون مسمّى (الرِّمَال) على كامل المنطقة التي تقع إلى الجنوب من الأحساء حتى الساحل المتصالح (الإمارات العربية الآن).[٤٥٠]

ويلفت نظرنا في المعلومات التي وفّرها لنا ابن المقرَّب وشارح شعره عدة أمور منها:

- إنّ رمل عمان أو رمل خارجة هذا يقع فيما بين البحرين وعُمان يمر به الطريق بينهما.

- استمرار سكن بني الخارجية من عبد القيس لهذا الرمل

[٤٤٩] ثيسجر: الرمال العربية؛ ترجمة إبراهيم مرعي (دبي؛ الإمارات العربية المتحدة: موتيفيت للنشر ٢٠٠٥م) الصفحة ٤٥

[٤٥٠] توماس سي. بارغر: تحت القبة الزرقاء؛ ترجمة ريمون باليكي (بيروت: دار برزان للنشر ٢٠٠٤م) الصفحة ٦٥.

حتى وقت شارح الديوان المقرّبي في القرن السابع الهجري بنصّ قوله **"المعْرُوْفُ فِيْ وَقتِنا هَذاْ برَمْلِ خَارِجَةْ"**.

- وصف راوي الخبر لهؤلاء الخارجيين بأنهم أدلاء خبراء بأراضي عمان والطريق إليها، وهو ما يتضح من الخبر وما فعلوه بالجيش في تلك الصحراء المخيفة، وهو إنْ دلّ على شيء، فإنه يدلُّ على خبرتهم التامّة بطرقه ومسالكه لقدم سكنهم فيه.

- وصف الشارح لبني الخارجية هؤلاء على أنهم من بادية عبد القيس لا حاضرتها.

وفي رأيي، فإنَّ ما فعله الأمير العُيوني فضل بن عبد الله من جعله ما بين السّودة إلى رمل خارجة حمى لا يرعى فيه أحد إنما كان يعني البدو غير المنتمين لقبيلته، وهو ما ساهم في بروز نجم بني عمومته بني الخارجية الذين لا شك أنه استعان بهم لمساعدته في تحقيق ذلك في منطقتهم (الرمل) على الأقل بحكم القرابة القريبة جداً التي تجمع بينهم باعتبار أن بني الخارجية يعودون في نسبهم إلى بني مالك بن عامر بن الحارث،

والعُيونيون يعودون في نسبهم إلى أخوتهم بني مُرة بن عامر بن الحارث،[451] وفي رأيي فإنّ ما فعله الأمير فضل هذا، وما فعله والده قبله من الاستعانة بهم في إهلاك الجيش الذي قصده كما مرّ بنا هو ما قوّى جانب بني الخارجية، وجعلهم يسيطرون على هذه الرمال التي صارت بعد قرن من الزمان تُسمى بهم على التخفيف (رمل خارجة).

وبعد هذا الاستعراض، فلم يعد رمل خارجة مجهولاً لنا الآن، وبفضل هذه النصوص من شرح الديوان المقرّبي صرنا نعرف أنّ المراد به هو جزءٌ مما يُسمّى الآن - قسراً – بـ(الربع الخالي)، وهو الجزءُ الواقع فيما بين جنوب منطقة الأحساء وحدود دولة قطر مع حدود دولة الإمارات العربية المتحدة؛ بل ويشمل جزءاً كبيراً من الحدود الداخلية لهذه الإمارات منها بينونة، وهذه المنطقة خاصة قد أوضحت للتوّ أنّ سكانها الحاليين هم قبيلة آل مُرّة المشهورة التي رأينا كيف أنّ أفرادها يصرّون على أنهم سكان هذه الرمال المخيفة منذ زمن قديم

---

[451] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج٥: ٢٧٨٦، ٢٨٩٤.

جداً لا يتذكره حتى أهل المعرفة منهم كما يقول ذلك الباحث الأمريكي دونالد باول في كتابه عنهم،[٤٥٢] والذي ألفه عام ١٣٩٠هـ بعد أنْ عاش معهم لعام ونصف، فإذا كان أفراد هذه القبيلة يؤكدون بأنهم سكان هذا الرمل منذ زمن بعيد لا يتذكرونه لقدمه، وإذا كنت قد أثبتُّ قبل قليل أنّ هذا الرمل كان يُعرف برمل خارجة حتى القرن السابع الهجري نسبة إلى قبيلة بني الخارجية العبدية التي كانت تسكنه كما تقدم، فإنّ هذا يستدعي على أقل التقديرات القول بأنّ بني مُرّة قد ينحدرون في نسبهم من بني الخارجية من عبد القيس بعكس ما يقوله النسّاب عنهم الآن من أنهم من بني يام من همدان، ولست بحاجة لكي أذكر القارئ هنا بالأخطاء الكثيرة حول انتساب بعض قبائل الجزيرة العربية الحديثة إلى قبائل ليس بالضرورة أنها تنحدرُ منها.

ثمّ لو كان الأمر يقف بنا عند هذا الحدِّ فقط لما تجرأت أنْ أنسب قبيلة عريقة أصيلة كبني مُرّة إلى قبيلة غير القبيلة التي

[٤٥٢] دونالد كول: بدو البدو؛ الصفحة ٣٧.

تسالم كثيرٌ من الكتاب والنسّابون - بما فيهم بعض أبناء القبيلة نفسها - على انتسابهم إليها وهي قبيلة يام الهمدانية، ولكنني أسير في بحثي هذا وفق قاعدة علمية واضحة، وهي أنه (لا مُسلَّمات إزاء ما يثبته البحث العلمي)، وكذلك وفق قاعدة علمية أخرى فحواها أنه (لا رأي يعلو على النقد العلمي).

فقد لفت نظري وبقوّة اسمُ هذا العَلَم الخارجي[٤٥٣] الذي ورد في كتاب الأنساب للعوتبي، وهو علي بن مُرّة بن علي الذي اكتفى بذكر سلسلة نسبه إلى الجد الأعلى لبني الخارجية العبديين، ولم يذكر عنه أي شيءٍ آخر، فقد جرت العادة في هذا الكتاب أنّ مؤلفه كان يذكر البطن المنحدر من القبيلة التي يتحدث عنها، ثم يذكر بعض الأشخاص المشهورين منهم بأسمائهم، ويذكر ما اشتهروا بها أو ما قاموا به من أعمال، وأقرب مثال على ذلك هو الشخصية الخارجية الثانية التي ذكرها عند الحديث عن بني الخارجية، وأقصد به معاوية بن

---

[٤٥٣] نسبة إلى بني الخارجية العبديين.

يحيى الخارجي العبدي الذي ذكره باسمه واسم أبيه فقط، ولكنه ذكر ما قام به من قيادته لبني عمه وهجرته بهم من عمان إلى جزيرة أوال واتخاذه لها سكناً له ولهم، فهذا العلم على الرغم من أنّ العوتبي لم يذكر ارتفاع باقي نسبه إلا أنه ذكر ما قام به، ولكنّ هذا العلم الخارجي الثاني، وهو علي بن مُرّة بن علي لم يذكر عنه أي شيء مطلقاً باستثناء رفع نسبه إلى قبيلته بني الخارجية، وسواءً أكان ذلك من فعل العوتبي نفسه أو من فعل أي شخصٍ آخر كأنْ يكون أحد أحفاد علي بن مُرّة من الذين اطلعوا على إحدى نسخ كتاب العوتبي فقام بإضافة اسم جدّه عند البطن المنحدر منه، وهو أمرٌ يحدث كثيراً في مخطوطات الكتب العربية القديمة، ولاسيما كتب الأنساب، وأياً كان الأمر، وسواءً أكان رفع نسب هذا العَلَم إلى الجد الأعلى لبني الخارجية هو من العوتبي نفسه أم هو من أحد المطلعين على كتابه، فإنّ ذكر هذا العلم بهذه الطريقة يدل على أنه كان ذا شأن كبير لأننا تعودنا من النسابين أنهم لا يذكرون ممن ينتسبون إلى القبائل والبطون التي يتحدثون عنها إلا كل ذي شأن وشرف، ولهذا فإنّ ذكر ارتفاع نسب هذا العلم في كتاب

الأنساب إنما تمّ لأنه كان يعني بالنسبة لمن رفع نسبه شخصية هامّة جداً، وأنه كان له شأنٌ ما أوجب ذكره من دون غيره من أفراد هذه القبيلة.

وفي الوقت ذاته، فإنه مما لفت نظري بالفعل هو أنَّ الجدّ الأعلى الذي تنتسب إليه قبيلةُ آل مُرّة اسمه علي بن مُرّة كما نص على ذلك المغيري وغيره،[٤٥٤] وإن كان المغيري قد أبعد النجعة جداً عندما جعل مُرّة ابناً مباشراً ليام بن جشم بن حاشد بن جشم بن جبران[٤٥٥] بن نوف بن همدان لأنّ يام جدٌّ

[٤٥٤] عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري: الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب (القاهرة: مطبعة المدني دت)؛ الصفحة ١٣٨.

وقد لفت نظري أنّ بعض الكتاب في الشبكة الإلكترونية (الإنترنت) من الذين تناولوا نسب بني مرة ذكروا أنّ جدهم الأعلى هو علي بن مرة بن علي، وهو موافق لنسب علي بن مرة الذي ذكره العوتبي كما رأينا، ولكن نظراً لكون هذه البحوث الشبكية هي في أغلبها بحوث غير موثقة، فإنني لم أذكر ذلك في نص البحث، ولكن إنْ صحّ هذا النسب لجد آل مرَّة، وأنه علي بن مرة بن علي، فهذا دليل قوي جداً لا يُستهان به لأنّ اسم العليين واسم أبيهما واسم جدهما كلها مشتركة، وهو أقرب أكثر لأن يكونا شخصاً واحداً.

[٤٥٥] كذا كتبت، والذي ذكره النسابون القدما هو خيران.

جاهلي قديم، وقد ذكره النسابة القدماء كالهمداني عالم همدان وعلامتها،[456] فلم يذكروا أنه كان لـ(يام) ابنٌ اسمه مُرَّة، وبالتالي فإنّ كلام المغيري ومن نحا نحوه لا يُعوّل عليه في نسبة (علي بن مرة) إلى يام، وإن كنت أميل إلى رأيه في كون هذا الرجل هو الجدُّ الأعلى لكافة فروع وبطون القبيلة بما فيهم (آل شبيب) الذي يرى المغيري أنه شبيب بن علي بن مرة؛[457] في حين لم يرفع غيره من النسابة المعاصرين نسبه.

وأياً كان الأمر فإنّ الإسم (علي بن مرة) الجد الأعلى لبطون بني مرة أو أغلبها هو موافق لاسم العلم الخارجي العبدي واسم أبيه في كتاب الأنساب للعوتبي،[458] وهذا يعني أنه قد

---

[456] انظر الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير؛ الكتاب العاشر تحقيق محب الدين الخطيب (بيروت: دار المناهل ١٩٨٧م) الصفحة ٧٥ وما بعدها، وسأشير للمؤلف فيما يلي بـ(الهمداني)، ولمؤلفه بـ(الإكليل) فقط.

[457] عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري: الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب (القاهرة: مطبعة المدني دت)؛ الصفحة ١٣٨.

[458] تقدم للتو أنّه حتى اسم الجد لكلي الشخصين قد يكون مشتركاً أيضاً.

أصبح لدينا أكثر من قرينة قوية على انتساب آل مرّة إلى بني الخارجية من عبد القيس، وهي كما يلي:

١. الأرض الوعرة التي سكنها كلاهما، والتي لا يسكنها أي أحد، وهي (الرَّمل)، أو (الرِّمال) أو ما يُعرف الآن بـ(الربع الخالي).

٢. الاسم المشترك للعَلَم (علي بن مرّة) الذي هو جدٌّ أعلى لجميع بطون قبيلة بني مرّة المعاصرة أو أغلب بطونها، وفي الوقت ذاته هو اسمٌ لعلم عبديّ من بني الخارجية حرص صاحب كتاب الأنساب أو أحد المطلعين القدماء عليه على تدوين اسمه ونسبه تاماً إلى الجد الأعلى لبني الخارجية.

وليس هذا كل ما لديّ للاستدلال على هذه النتيجة التي توصّلت إليها حتى الآن، فهناك قرينة أخرى لا يمكن أن يخطئها القلب أبداً، وهي صفاتٌ فريدة موروثة تميزت بها كلا القبيلتين قبيلة عبد القيس وقبيلة آل مُرّة المعاصرة أعني بها القيافة والدلالة واقتفاء الأثر.

فقد رأينا كيف أنّ عبد الله بن علي وصف بني الخارجية

بالخبرة بطرق الرمال وطريق عُمان لقادة ذلك الجيش، ورأينا مدى معرفتهم بالأماكن المرعبة والقاتلة في هذه الرمال بدليل ما فعلوه في ذلك الجيش المغدور؛ بل إنّ هذه الدلالة قد اشتهرت بها قبيلة عبد القيس خاصة بين قبائل العرب حتى قيل إنّ منهم أهدى العرب في الجاهلية.[٤٥٩]

وبالفعل فقد قَدَّمت عبدُ القيس أشهر مرشدي العرب على مر العصور وهو (دُعَيْمِيْص الرَّمل العبدي) المضروب به المثل: **"أهْدَىْ مِنْ دُعَيْميْصِ الرَّمْلْ"**،[٤٦٠] وأرى أنّ الرَّمل المذكور في هذا المثل هو ذاته الرّمل رمل بني الخارجية أو رمل خارجة الذي تقدّم الحديث عنه.

وقد وصف أبو عبيدة دعيميص الرَّمل هذا بأنه أهدى

[٤٥٩] عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني: شرح نهج البلاغة؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٥٩م) ج١٨: ٥٧.

[٤٦٠] الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري = أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش (بيروت: دار الجيل دت) ج٢: ٣٧٦.

العرب في الجاهلية، وأبعدهم مغاراً وأثراً في الأرض من عَدْوِه، وأنه كان يهتدي بالنجوم، وذكر أنه كان يدفن بيض النعام في الرمل مملوءاً ماءً، ثم يعود إليه فيستخرجه،[٤٦١] ويرى الجاحظ أنه لم يكن في العرب مثله في الدلالة؛ كما روى له بيت شعر قاله لابنه الصغير الذي يتضح منه أنه كان ذا قيافة أيضاً كأبيه[٤٦٢] وعندما عقد ابن حبيب فصلاً في كتابه (المحبّر) لأدلاء العرب ذكر دعيميص الرمل العبدي أولهم، وذكر أنه هو أول من اكتشف صحراء (وَبَار) التي لم يبلغها أحدٌ غيره،[٤٦٣] وهذا دليل آخر على أنّ (الرّمل) المنسوب إليه دعيميصٌ هذا هو رمل بني الخارجية بين عُمان والبحرين بحدودهما القديمتين، فوبار جزءٌ من هذا الرمل كما سنرى بعد قليل.

---

[٤٦١] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة؛ ج١٨: ٥٧.

[٤٦٢] عمرو بن بحر الجاحظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان؛ تحقيق محمد مرسي الخولي (القاهرة: دار الاعتصام للطباعة والنشر ١٩٧٢م) الصفحة ٣٠٥.

[٤٦٣] محمد بن حبيب البغدادي: المحبر (بيروت: دار الآفاق الجديدة دت)؛ الصفحة ١٨٩.

وقدمت عبد القيس أيضاً (الأريقط العامري العبدي) نسبة إلى بني عامر بن الحارث الجد الأعلى لبني الخارجية أيضاً، ولعله يكون منهم، والأريقط هذا هو المرشد الذي كان بمعية ابن أخت أشجٍّ عبد القيس حين بعثه إلى يثرب ليأتي له بخبر الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.[٤٦٤]

وصحراء وبار التي اكتشفها دعيميص الرّمل بالمناسبة هي جزءٌ من (الرَّمل) أو (الرِّمال) أو ما يُعرف الآن بالربع الخالي الذي يسكنه بنو مُرّة، ويسكن وباراً منهم الآن الجرابعة من بطونهم المشهورة،[٤٦٥] وهم بالمناسبة من صريح نسل علي بن مرة هذا الذي نتحدث عنه باتفاق كل النسّاب، وذلك مما يقوي كون دعيميص الرمل العبدي من أسلاف هذه القبيلة التي اشتهرت شهرة عظيمة بالدلالة والقيافة في العصور المتأخرة، وهو أمرٌ يصلح كقرينة قوية - مع ما ذكرته سابقاً - في إثبات انحدار بني مُرة من بني الخارجية من عبد القيس لأنّ هذه

---

[٤٦٤] محمد بن سعد: الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر دت) ج٥: ٥٦٤.

[٤٦٥] هاري سانت جون فيلبي: الربع الخالي؛ تعريب حسن عبد العزيز أحمد (الرياض: مكتبة العبيكان ٢٠٠١م) الصفحة ٥٥٩.

الدلالة ومعرفة الطرق في مثل هذه الصحراء المرعبة لا يأتي بين يوم وليلة، ولا حتى بين شهر وسنة؛ بل إنه يتطلب عشرات السنين من عمر الرجل، ومئات السنين من عمر قبيلته، فهذا الأمر أشبه ما يكون بالإرث التاريخي أو الجين الوراثي الذي ينتقل في دم أفراد القبيلة جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرنٍ من الزمان، وعليه فمن غير المستغرب أن يخرج مرشدون مشهورون مثل المرشدين العظام الذين قدمتهم قبيلة بني مرة، والذين كانوا أفضل مرشدي القبائل على الإطلاق، وكانت كل القبائل تسلّم لهم بأنهم أفضل من عرف الطرق والدروب، وأنهم أفضل القافة على الإطلاق، وأشهر قصّاصي الأثر بين كلّ قبائل الجزيرة العربية، وبهذه المناسبة يذكر الكولونيل هـ. ر. ب. ديكسون أنّ الشيخ مطلق المسيلم شيخ مشايخ قبيلة الرشايدة أخبره بكل صراحة أنّ قصب السَّبق في مهارة اقتفاء الأثر هي لقبيلة بني مُرّة التي تسكن جنوب الأحساء وجبرين،[٤٦٦] وعليه كان لا بد لكل المستكشفين

---

[٤٦٦] ديكسون: عرب الصحراء؛ الصفحة ٤٨٤، وجبرين هي يبرين تُنطق بالجيم والياء.

الغربيين الذين قاموا باستكشاف الربع الخالي أو رمال خارجة مثل بروترام توماس وفيلبي وتشيزمان وبارغر وكول من أن يحصلوا على مرشدين وأدلاء ومقتفي أثر من بني مرّة، ولا غرو فهؤلاء المرشدون وقصاصو الأثر لم يرثوا هذه المعرفة العظيمة عن كلالة؛ بل ورثوها جيلاً عن جيل وأباً عن جد لأنهم متأصلون في هذه الأرض البكر دائماً، وأستطيع أن أقول لأنهم أيضاً ينحدرون من تلك القبيلة العظيمة قبيلة عبد القيس الذين قدّموا أشهر أدلاء العرب قاطبة دعيميص الرَّمل العبدي مكتشف (وبار) وسيّد (الرِّمال) وغيره من الأدلاء العظام.

مناقشة انتساب بني مرّة إلى يام

لا أنكر أنّ الاعتقاد السائد لدى النسابين المعاصرين – على قلّتهم وقلة ضبطهم – وكذلك عند بعض نسّابي قبيلة آل مُرّة هو أنهم مع قبيلة العِجمان ينحدرون من أصل واحد، وهو قبيلة يام الهمدانية اليمنية،[٤٦٧] ولكن يحق لنا أن نتساءل،

---

[٤٦٧] شعبة البحث: المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا؛ الصفحة ٩٢.

فنقول: هل كل اعتقاد سائد صحيح؟! لقد رأينا كيف أنّ البشرية كانت لديها معتقدات سائدة كثيرة على مرّ تاريخها، ولكن المنهج العلمي كشف زيفها وأسقطها، وبالنسبة لموضوعنا هنا، فمن المعروف والمألوف أنّ كثيراً من القبائل الحالية يقول بعض أهل النَّسَب إنهم ينتمون إلى إحدى القبائل القديمة، ويسمونها بالاسم كتميم وعامر بن صعصعة وحنيفة وعنزة، ولكنّ هؤلاء النسابة وأفراد هذه القبائل المعاصرة لا يملكون على أقوالهم تلك وثائق صحيحة ومعتبرة، وإنما هم يعتمدون على المرويات المتداولة، وما أكثر الأخطاء في المرويات، ومنذ قديم الزمان، فقد وُجدَ قبائل وبطون كثيرة انتسبت بالحلف أو بغيره إلى قبائل عربية لم تلدها، ويمكنني هنا أن أذكر بعضاً من هذه القبائل والبطون، وهي كما يلي:

- عَميْرة بن أسد بن ربيعة بن نزار دخلوا في عبد القيس،[٤٦٨] وذابوا فيهم.

- ناشم بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن

[٤٦٨] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٤٨٣.

ربيعة بن نزار دخلوا في عبد القيس أيضاً،[٤٦٩] وذابوا فيهم.

- جَدَّان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار دخلوا في بكر وتغلب والنمر بن قاسط،[٤٧٠] وذابوا فيهم.
- جِلْس بن عامر بن ربيعة من السكون؛ دخلوا في لخم.[٤٧١]
- أكلب بن ربيعة بن نزار؛ دخلوا في خثعم بحلف، ثم صاروا منهم، وصاروا ينسبون فيهم[٤٧٢]
- بنو عامر بن نهد دخلوا في كلب.[٤٧٣]
- بنو عائدة بن نهد دخلوا في تنوخ.[٤٧٤]

---

[٤٦٩] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٤٨٣.

[٤٧٠] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٤٨٤.

[٤٧١] عبد الكريم بن محمد السمعاني: الأنساب؛ تحقيق عبد الله عمر البارودي (بيروت: دار الجنان ١٩٨٨م) ج٢: ٧٤.

[٤٧٢] ياقوت الحموي: معجم البلدان؛ (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٩٧٩م) ج٤: ٩٨.

[٤٧٣] كحالة: معجم قبائل العرب ج٢: ٧١٣.

وهذا الأمر كثيرٌ جداً، ويصعب استقصاؤه، وقد عقد ابن حبيب في كتابه (المنمّق) فصلاً لمن دخل في بطون قريش من قبائل العرب الأخرى، وهو شيءٌ كثير بالنسبة لقبيلة واحدة فما بالك بالقبائل كلها.[٤٧٥]

وأود لفت نظر القارئ إلى أنّ هذا الأمر قد حدث في ذروة اعتزاز القبائل العربية بأصولها وأنسابها، فما بالك فيما بعد الألف من الهجرة حيث تداخلت الأنساب وتشابكت كثيراً، وإننا لنعلم بالضرورة وجود بعض القبائل التي تنتسب الآن لقبائل قديمة، وهي ليست منها كما فعل بعض أفراد من قبيلة بني خالد في إلصاق نسب قبيلتهم إلى بني مخزوم القرشيين، ثم إلى فارسهم خالد بن الوليد؛[٤٧٦] مع أنّ التحقيق العلمي يثبت

---

[٤٧٤] كحالة: معجم قبائل العرب ج٢: ٧١٦.

[٤٧٥] محمد بن حبيب البغدادي: المنمق في أخبار قريش؛ تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت: عالم الكتب ١٩٨٥م) الصفحة ٢٤٩.

[٤٧٦] سعود الزيتون الخالدي: معجم قبائل الخليج في مذكرات لوريمر دليل الخليج (الدوحة – قطر: دار الثقافة للطباعة والتوزيع والنشر ٢٠٠٢م) الصفحتان ٩٩ – ١٠٠ (الهامش).

أنّ خالد بن الوليد هو منقطع النسل بنصٍّ عُمد النسب العربي عامة، والقرشي خاصة مثل: المصعب الزبيري القرشي،[٤٧٧] وابن قتيبة،[٤٧٨] وابنِ حزم،[٤٧٩] وقد نصّ الحمداني النسابة المعروف على أنّ أهل العلم مجمعون على انقراض عقب خالد،[٤٨٠] وقد رفض علماء النسب المحققون من هذه القبيلة وغيرها نسبة القبيلة إلى خالد بن الوليد، ويرون أنهم عبارة عن حلف كبير ضمّ العديد من بطون القبائل العربية العريقة، مثل: الجبور، وآل حُميد، والعماير، وهي قبائل تعود

---

[٤٧٧] المصعب بن عبد الله الزبيري: نسب قريش؛ تحقيق إ. ليفي بروفنسال (القاهرة: دار المعارف/ الطبعة الثالثة دت) الصفحة ٣٢٨.

[٤٧٨] عبد الله بن مسلم بن قتيبة: المعارف؛ تحقيق ثروت عكاشة ط٣ (مصر: دار المعارف ١٩٦٩م) الصفحة ٢٦٧.

[٤٧٩] علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : جمهرة أنساب العرب؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: دار المعارف / الطبعة الرابعة دت) الصفحة ١٤٨، وسوف أشير إلى المؤلف فيما يلي بـ(ابن حزم)، ولكتابه (جمهرة أنساب العرب).

[٤٨٠] أحمد بن علي القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (بيروت: دار الكتب العلمية دت) الصفحة ٢٢٦.

أصولها إلى قبيلة عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو مصداق قول أحد شعراء الأحساء:[٤٨١]

ولا تـنسَ جمـع الخالـديّ فإنــه
قبائل شتى من عُقيل بن عـامر

وكذلك الحال بالنسبة لقبيلة حرب المعاصرة المشهورة، فهذه القبيلة يرى بعض النسّابين أنها عبارة عن **"مجموعةُ أحْلافٍ يَدخُلُ فيهَا كثيرٌ من العَناصرِ المختلفةِ فيْ النَّسَبْ"**،[٤٨٢] وقد لا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لانتساب آل مُرّة والعِجمان إلى يام، فهو لا يعدو – وفق رأيي – أكثر من مجرّد حلف قبلي أوجدته مصالح مشتركة من اختلاط في المراعي أو مُصاهرات وجِوَار من دون وجود نسب أبوي بينهم، وفي هذا الصدد يقول المغيري محقّاً:[٤٨٣]

---

[٤٨١] محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد (الرياض: مكتبة المعارف ١٩٨٢م) الصفحة ١٦٢.

[٤٨٢] كحالة: معجم قبائل العرب؛ ج١: ٢٥٩.

[٤٨٣] عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري: الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب (القاهرة: مطبعة المدني دت)؛ الصفحة ٤.

"فإنَّ العَربَ كما هُو المشاهدُ منهمْ أنهُ يكونُ أحدُهم في قبيلة وينتسبُ إلى غيرهَا، وكانَ السببُ اختلاطُ بعضِهِمْ ببَعْضٍ بالحِلْفِ والمُصَاهَرَة، وَكفٌّ لولاية بعضِهِمْ عَنْ بَعْضْ".

ولئن قلتُ إنّ الكثير من آل مُرّة والعجمان يرون أنهم من يام؛ إلا أنه في الوقت ذاته ليس كل آل مُرّة والعجمان يرون أنهم من يام أو ينتسبون إليها، ففي العجمان من يرى أنهم يرجعون للأشراف، وأن جدهم هو علي بن هشام بن هشيم الشريف، ويرون أنَّ (يام) ليست بقبيلتهم التي يرجعون إليها، وإنّ انتسابهم لها إنما هو من باب الحلف معها؛[٤٨٤] كما يوجد من النسابين المعاصرين من نسب العجمان على أنهم من بقايا قبيلة عبد القيس؛[٤٨٥] وهو – إنْ صحّ وصح الارتباط

---

[٤٨٤] صاحب هذا القول هو أحد مشايخ العجمان المعاصرين، وهو الشيخ سلمان بن سلطان بن فلاح بن راكان بن حثلين، وقد ذكر أنّ هذا مما سمعه من كبار السن من العجمان، وذلك ضمن مقابلة معه أجراها موقع قبيلة العجمان بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢م، وهي على الرابط التالي:

http://www.alajman.net/vb/showthread.php?t=28365

[٤٨٥] انظر:

- حمد بن إبراهيم الحقيل: زهرة الأدب في أنساب وأخبار العرب؛ الصفحة

النسبي بين العِجمان والمُرَّة – ففيه تأييد لما أقوله أنا عن انتساب آل مُرَّة إلى بني الخارجية العبديين وليس إلى يام الهمدانيين.

وعليه فإنني أرى أنّ ما يذكره بعض النسابين وبعض أفراد قبيلة آل مُرّة من أنّهم ينتسبون إلى يام بن مذكر هو – وفق رأيي – لم يكن نسباً أبوياً، وإنما كان عبارة عن حِلفٍ تم بينهم وبين قبيلة يام، لأنّ قبيلة يام في العصر الحديث هي غيرها في العصور القديمة، ففي عصرنا أصبحت قبيلة يام العظمى هي همدان وهمدان هي يام في حين إنّ يام في العصور القديمة كانت عبارة عن أحد بطون همدان ثم صارت إحدى قبائلها بعد أن أصبحت همدان عمارة.

ونظراً لكون قبيلة يام قبيلة ضخمة، وقوية، وذات صولات وجولات في الجزيرة العربية معروفة لها منذ قيام الدولة الفاطمية وحتى العصر الحديث، فقد كان التحالف معها

٦٨.

• سمير عبد الرزاق القطب: أنساب العرب (بيروت: دار البيان للطباعة والنشر دت) الصفحة ٦٩.

والدخول فيها والأنتساب إليها مطمحاً لكثير من قبائل العرب لتتقوى بها وتطالبها بالنصرة ضد الأعداء المشتركين، وقد كان مشهوداً لقبيلة يام وقوفها القوي مع حلفائها ونصرها لهم كما في معركة الحاير الشهيرة جنوب الرياض ضد الدولة السعودية الأولى،[٤٨٦] وكانت من الشجاعة بمكان حتى شاع بين قبائل العرب القول المأثور عن قبيلة يام أنها (قَتَّالة جبانها).

فكان من الطبيعي أنْ يرغب الكثير من قبائل الجزيرة العربية في محالفتها والانتساب إليها كما كان الحال مع سلفتها قبيلة همدان التي ذكر المؤرخون دخول أكثر من بطن من بطون القبائل العربية القديمة فيها هي الأخرى مثل وادعة التي يرى كثير من النسابين أنهم من الأزد،[٤٨٧] فدخلوا في همدان،

---

[٤٨٦] عثمان بن عبد الله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد؛ تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (الرياض: دارة الملك عبد العزيز ١٩٨٢م) ج١: ٩٣.

[٤٨٧] انظر:

- الكلبي: نسب معد واليمن الكبير؛ ج٢: ٥١٧.
- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب؛ الصفحة ٣٣١.

والأفروع الحميريين الذين دخلوا في همدان أيضاً،[٤٨٨] والحَضُوريين الذين كانوا من حمير فدخلوا في همدان.[٤٨٩]

ويُشَبَّهُ دخول قبيلتي العجمان وآل مرّة في يام بدخول بعض القبائل في قبائل أخرى كالذي حدث أيضاً لقبيلة بني خالد الكبرى إبّان بدء ظهورها في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية في أواخر القرن الحادي عشر الهجري على يد آل حميد، ثم بعد أنْ اشتهرت هذه القبيلة في هذا الجزء انضمت إليها قبيلة كبيرة كانت هي المسيطرة على هذا الجزء قبل مجيء آل حميد ولكنهم تحالفوا معهم وانضموا إليهم، وهم المعروفون بالعماير نسبة إلى عَمِيْرة بن سِنان بن غُفَيْلَة بن شَبَانَة بن قُدَيْمَة بن نُباتة بن عامر بن عوف بن مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عُقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة،[٤٩٠]

---

[٤٨٨] علي بن هبة الله بن علي = ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب؛ تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي دت) ج١: ١٠٤.

[٤٨٩] الهمداني: الإكليل؛ الصفحة ١٠١.

[٤٩٠] عبد الخالق الجنبي: "القطيف وقبائلها وقراها في منتصف القرن

ومنهم كان آل عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان الذين حكموا منطقة البحرين بُعيد العُيونيين؛ كما يتضح من دفتر الطابو (٢٨٢) العثماني أنّ بطون العماير هؤلاء كانت مسيطرة على كامل منطقة القطيف،[٤٩١] فصاروا بعد انضمامهم للحلف الخالدي لا يُعرفون إلا أنهم من بني خالد حتى وقتنا هذا، وهو عين ما أراه في انتساب قبيلة بني مُرّة العَبديّة النزارية إلى يام الهمدانية اليمانية.

متى تم إطلاق اسم بني مرة على القبيلة المعاصرة

سوف أحاول تحت هذا العنوان أن أقترح وقتاً تقريبياً لإطلاق مسمى (آل مُرّة) على هذه القبيلة، وهو اقتراح مبني على قناعتي الشخصية التي أوضحتها فيما مضى، وهو أنّ هذه القبيلة العريقة هي من عبد القيس، ثم من بني الخارجية منهم، ثم إنهم من نسل علي بن مرّة بن علي الخارجي العبدي،

العاشر الهجري في دفاتر الطابو العثمانية" بحث منشور في مجلة الساحل (بيروت: مؤسسة الساحل لنشر التراث) س١ ع١ ص ٢٩.

[٤٩١] عبد الخالق الجنبي: "القطيف وقبائلها وقراها في منتصف القرن العاشر الهجري في دفاتر الطابو العثمانية" س١ ع١ ص ٢٩.

وليس بالضرورة أن يكون هذا الزمن المقترح هو الوقت الدقيق لإطلاق هذا الاسم على هذه القبيلة، فهو وقت تقريبي كما قلت، وسوف أنطلق هنا من قرائن تاريخية جمعتُ بينها ولم أنطلق من نصٍّ تاريخي ثابت، وهذا ما يجعل الباحث على حذرٍ دائم مما يكتب، ولكن في الوقت نفسه، فإنّ انعدام النصوص التاريخية لا ينبغي لها أن توقف الباحث عن بحثه، ولا أن تثني من عنانه؛ بل عليه أنْ يعتمد على كل ما يقبله المنهج العلميُّ لإثبات وجهة نظره.

فبانتهاء العقد الثامن من القرن الخامس الهجري كان كامل إقليم البحرين قد دان لسيطرة أسرة من عبد القيس كانت تُعرف بآل إبراهيم التي استطاعت أن تستقل بواحة العيون، وأن تنتزعها من ملك القرامطة في أواسط القرن الخامس الهجري على يد زعيمهم عبد الله بن علي الإبراهيمي المرّي العبدي الذي صار الناس يطلقون عليه لقب العُيوني لاستقلاله بالعُيون، ثمّ أطلق هذا النعتُ على أولاده وأنصاره من بني عمه الأقربين، ومن ثمّ أطلق فيما بعد على كامل الدولة التي عُرفت في التاريخ باسم العُيونيين، وهم رهط

الشاعر الشهير علي بن المقرَّب العُيوني.

وبعد ذلك استطاع عميد هذه الأسرة وزعيمها عبد الله بن علي من إرساء قواعد دولته على كامل أجزاء إقليم البحرين القديم ومناطقه المعروفة (الأحساء – القطيف – جزيرة أوال) وملحقاتها من أراضي السُّودة شمالاً إلى رمل خارجة بالقرب من الحدود العُمانية جنوباً مروراً بوادي المياه (الستارين) والجوف الواقعين بينهما.

وهذه الأسرة العبدية التي أصبحت بمرور الوقت عشيرة كبيرة لها عدة بيوت وأسر لا نعرف ارتفاع نسبها إلى عبد القيس بالرغم من وصولها إلى حكم إقليم البحرين كله، وحتّى شارح الديوان المقرَّبي الذي رفع أنساب عدة قبائل وبطون وأسر عبقسية إلى جدهم عبد القيس في شرحه للديوان، فإنه لم يذكر لنا ارتفاع نسب هذه الأسرة العبقسية في ما وصل لنا من نسخ هذا الشرح، وإن كان قد ذكر مَرّة أنّ آل إبراهيم العيونيين يعودون في نسبهم بالجملة إلى بني مُرَّة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن

أفصى بن عبد القيس،[٤٩٢] وهو ما سبق إلى تدوينه العماد الأصفهاني عند ترجمته لشاعر قطيفي هو الحسين بن ثابت الذي قال العماد عنه إنه نقم عليه أبو سنان محمد بن الفضل بن عبد الله العُيوني حفيد مؤسس الدولة العُيونية، وقال في نعت أبي سنان: "العبديّ، ثم المرّي".[٤٩٣]

وبنو مُرّة هؤلاء هُم إخوة بني مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار الذين ينحدر منهم بنو الخارجية، وهم بنو عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار كما سبق وأوضحت، وذكر الشارح المقرَّبي في موضع آخر عند شرح قول ابن المقرَّب:

ومن نسل عَيْـذٍ فتيـةٌ أيُّ فتيـةٍ
يُجـلُّ المعـادي بأسَـهَا فيهابُهـا

أنّ بني عيذ هؤلاء هم بنو عيْذ بن مُرّة بن عامر بن الحارث،

---

[٤٩٢] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرّب؛ ج٢: ١١٩٣.

[٤٩٣] محمد بن محمد بن نفيس = العماد الأصفهاني: تكملة خريدة القصر وجريدة العصر / قسم شعراء العراق؛ تحقيق محمد بهجة الأثري (بغداد: المجمع العلمي العراقي ١٩٨٠م) الصفحة ٨٦١.

وأردف قائلاً "وفي مُرّة البيت من بني عامر – يقصد بيت الحكم – وفي عَيْذ العدد من بني مُرّة"،[٤٩٤] ويستشفُّ من كلامه هذا أنه ينسب العُيونيين آل إبراهيم إلى بني عيذ بن مُرّة بن عامر بن الحارث.

وبنو عيذ بن مرّة هؤلاء ذكرهم الشاعر القطيفي، وهو الحسين بن ثابت الجذمي العبدي القطيفي في قصيدته[٤٩٥] التي يستنهض فيها قبائل وبطون وأفخاذ قبيلته عبد القيس ليتوسطوا له لدى الأمير أبي سنان المتقدم ليطلقه من سجنه، ولسوء الحظ فإنّه لم يصلنا من هذه القصيدة إلا أقلّ من نصفها حفظه لنا العماد في الخريدة، ومنها مطلعها الذي قرأه محقق الخريدة عن النسخة الوحيدة التي كانت لديه بهذه الصورة:

صِحْ بالعشيرة من (عَبدٍ) وصِفْ وأعـد
بــدارهم واســتغث أســداً بهــا نجبــا

---

[٤٩٤] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرّب؛ ج١: ٨١

[٤٩٥] انتهيت مؤخراً من تحقيق وشرح هذه القصيدة ونشرها.

وقد قلت في البحث الخاص بتحقيق هذه القصيدة إنّ صحة قراءة البيت هو كالتالي:

صِحْ بالعشيرة من (عَيْذٍ) و(صِيقَ) وعُذ
بدارهم واستغث أُسْداً بها نُجُبا[٤٩٦]

ومن مقدمة هذه القصيدة نفهم أنّ الحسين بن ثابت قالها في استنهاض قبائل وبطون عبد القيس ليتشفعوا له عند الأمير أبي سنان، ولأنّ الأمير أبا سنان هو من بني مُرّة ثمّ من العشيرة عَيْذ بن مُرّة، فقد بدأ مطالبته بالتوجه إليهم أولاً باعتبارهم عشيرة أبي سنان الأدنين، فقال:

"صِحْ بالعشيرة من (عَيْذٍ) و(صِيْقَ)"

وبنو (صِيْق) المقرونون مع بني (عَيْذ) في البيت هم إخوة لأنّ مُرّة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ذكر النسّابون الأوائل أنه أنجب ولدين اثنين فقط، وهما عَائذة بن مُرّة ومالك بن مُرّة

---

[٤٩٦] عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي: الحسين بن ثابت وقصيدته في قبائل وبطون عبد القيس (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٤م)؛ الصفحة ٩٧ وما بعدها.

والد الصِّيْقِ وقُرَّةِ ابني مالك بن مُرة هؤلاء،[497] ولم يذكر أولئك النسابون أيّ أبناء أو بطون لمرّة بن عامر بن الحارث سوى هذين البطنين، فإما أن يكون (عائذة) الوارد عند الكلبي هو تحريف (عيذ)، أو أنّ عيذاً هو ابنٌ ثالث لمرّة نسيه النسابون.

غير أنّ ما يلفت النظر في قصيدة الحسين بن ثابت بالفعل هو بيت جاء بعد هذا البيت بسبعة أبيات يقول فيه:[498]

ووولد (مُرَّة) من بـدو وحاضـرةٍ
ومن بني (قُرَّةٍ) فاستنجد النسبا

فمن الواضح أنّ ابن ثابت لا يريد بولد (مُرّة) هنا مُرّة بن عامر بن الحارث الذين انحدر منهم العُيونيون لأنّ بني مُرّة هؤلاء كانوا قبيلة كبيرة في زمنه ومنهم كان حكام إقليم البحرين حينها، فلا يصحّ إن يؤخرهم إلى هذا الموضع، أو التعبير عنهم بلفظة (وُلد) التي تفيد القلّة، والتي كان يستطيع استبدلها بلفظة (وآل) دون أنْ ينكسر الوزن هذا بالإضافة إلى

---

[497] الكلبي: جمهرة النسب؛ الصفحة ٥٨٣، والرشاطي: مصدر آتٍ.

[498] بإمكان القارئ الرجوع إلى بحث: (الحسين بن ثابت القطيفي وقصيدته في بطون عبد القيس) ضمن هذه البحوث المنشورة تحت عنوان هذا الكتاب.

أنه سبق وذكر بطني مُرة بن عامر بن الحارث (عَيْذَ) و(صِيْقَ) في أول بيت من القصيدة، فلا داعي لأنْ يكرر ذكر آل مرّة مرةً أخرى إذا كان يعني رهط العُيونيين.

ثم إنه لو أراد بولد (مُرّة) هنا مرة بن عامر بن الحارث لذكر هذا البيت مباشرة بعد البيت الأول الذي ذكر فيه بطنيهم (عيذ)، و(صِيْق)، وليس بعد سبعة أبيات – وربما أكثر – ذكر فيها الكثير من بطون وأفخاذ قبيلة عبد القيس الذين لا ينتمون إلى بني مُرة بن عامر بن الحارث.

وأمرٌ آخر على الغاية من الأهمية يجب الالتفات إليه هو أنّ ابن ثابت الذي من الواضح أنه نسابة متمكن قد ذكر مع من سمّاهم بولد (مُرّة) في هذا البيت البطنَ بني (قُرّة) الذين سبق وأشرت في هذا البحث إلى ذكر العوتبي لهم وعدِّه لهم من بطون عبد القيس العُمانية وقوله عنهم إنهم كانوا يسكنون السرّ ونواحي تؤام (البريمي)، وهي من المواضع التي سكنها بنو الخارجية من عبد القيس أيضاً، فمن الواضح من قَرْن ابن ثابت لبني قُرة بن مالك سكان السرّ وتؤام بمن سمّاهم ولد

(مُرّة) في بيت واحد أنّ ولد مُرّة هؤلاء كانوا يشاركون أو يجاورون بني قُرّة بن مالك في سكن السرّ والبريمي أو عُمان عامة، وما قرب منها، وبنو قُرَّة هؤلاء سبق وذكرت أنّ العوتبي نسبهم على أنهم قُرَّة بن مالك بن عمرو بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، ولكن الرُّشاطي نسبهم على أنهم قُرَّة بن مالك بن مرّة بن عامر بن الحارث[٤٩٩] أي أنهم يصبحون بذلك قريبين جداً من العُيونيين ويلتقون معهم في جدهم المشترك مُرّة بن عامر بن الحارث، وأيضاً فإنّ بني الخارجية غير بعيدين جداً عن كلي البطنين، فهما من بني عمهم مالك بن عامر بن الحارث.

والبريمي هي واحدة من أهم مراكز رمل خارجة الذي تحدثنا عنه فيما مضى؛ كما سبق وعرفنا أنّ بني الخارجية من عبد القيس مع بني عمهم بني قُرّة بن مالك كانوا يسكنون مع بعضهم أو بجوار بعضهم البعض في واحات هذا الرمل، فمن نافلة القول إذاً أنّ من سمّاهم الحسين بن ثابت بولد (مُرّة)

---

[٤٩٩] الرشاطي: إقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار؛ مخطوط المكتبة الأزهرية رقم: ٣٠٢٦٦٤.

وقرنهم ببني قُرة ما هم إلا بطنٌ من شركاء بني قُرّة الأقدمين أعني بني الخارجية القبيلة العبقسية الضخمة التي توزعت بطونها بين عمان والبحرين والبصرة، وربما غيرها من المدن أيضاً.

وبالتالي فإنني أرجّح الآن أنّ ولد (مُرّة) هؤلاء الذين ذكرهم ابن ثابت في شعره هم من بني الخارجية، وأنهم كانوا حينها النّواة الصغيرة التي بدأ يتكون حولها النسيج الكبير للقبيلة المعروفة في عصرنا هذا ببني مُرّة، ويزيد ذلك تأكيداً أنّ الرحالة البريطاني المعروف ويلفرد ثيسجر ذكر عام ١٩٤٧م أنّ بني مُرّة كانوا مع قبائل الرواشد والعوامر والمناهيل يسكنون بالقرب من الظفرة والربض[٥٠٠] وهما موضعان مجاوران لتؤام (البريمي).

كما تقدم معنا في أول البحث ذكر بينونة التي ذكر البكري في معجم ما استعجم أنه سكنتها بنو نكرة من عبد القيس، وبينونة هذه كانت من الواحات الشهيرة في هذا الرَّمل، وهي غير بعيدة جداً عن تؤام؛ مما يعني أنّ قبيلة بني مُرّة كانت لها

---

[٥٠٠] ويلفرد ثيسجر: الرمال العربية؛ الصفحة ١٥١.

مساكن قديمة في هذه المواضع، ويؤيد ذلك أيضاً توصيف الحسين بن ثابت لبني مُرّة في شعره بأنّ قسماً منهم كانوا بدواً مما يعني أنّ هذا القسم كان يعيش في الصحراء كما هو حال بني مُرّة المعاصرة، وقد مرّ بنا قول شارح الديوان المقرَّبي عن بني الخارجية الذين كانوا يسكنون الرّمل الذي بين البحرين وعُمان إنهم كانوا من بادية عبد القيس.

وكذلك فإنّ إطلاق ابن ثابت عليهم لفظة (وُلْد) في وقته، والتي تفيد التقليل هو صحيح أيضاً لأنه لا شك أنهم كانوا في عهده في بداية تكونهم القبلي، وهو – حسب وجهة نظري – من الأمور التي جعلته يذكرهم في آخر الأبيات أيضاً، لأنهم لم يكونوا بهذه الضخامة التي هم عليها الآن بعد ثمانية قرون ونيّف من ذكر الحسين بن ثابت لهم.

ومما يؤيد ذلك أيضاً هو أنّ العماد الأصفهاني الذي حفظ قصيدة الحسين بن ثابت هذه في كتابه (خريدة القصر) إنما نقلها عن أحد أفراد قبيلة عبد القيس من بني الخارجية أنفسهم، وهو الأديب المعروف علي بن الحسن البصري

العَبديّ، ولحسن الحظ فقد حفظ لنا كلاً من القفطي (إنباه الرواة ج٢: ٢٤٢) وياقوت (معجم الأدباء ج١٣: ٨٨) ارتفاع نسب هذا الأديب إلى عبد القيس، ولكنه ورد عند القفطي أتمّ وأكثر دقة مما عند ياقوت، فقد نسباه على أنه علي بن الحسن بن إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن معروف بن جعفر بن محمد بن صالح بن حسّان بن حصن بن معلّى بن أسد بن عمرو بن مالك بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.[٥٠١]

ولو لاحظنا لرأينا أنّ هذا الأديب العبدي يلتقي مع علي بن مرّة الذي ذكر العوتبي ارتفاع نسبه في جدهما المشترك عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث،

---

[٥٠١] انظر:

- علي بن يوسف القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٨٦م) ج٢: ٢٤٢.
- ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم الأدباء (بيروت: دار الفكر ١٩٨٠م) ج١٣: ٨٨.

وهو الجدّ الأعلى لبني الخارجية كلهم، ويلاحظ أنّ كِلَي الرجلين لهما العدد نفسه من الآباء إلى هذا الجد المشترك، والأديب علي بن الحسن البصري ولد عام ٥٢٤هـ وتوفي عام ٥٩٩هـ، فهل نستطيع القول بأنّ نظيره في قعدد الآباء علي بن مرّة كان موجوداً في هذه الحقبة الزمنية نفسها بناءً على قاعدة القعدد في النسب؟.

والجواب هو أننا بالرغم من عدم الاطمئنان لقاعدة (قعدد النسب) التي لم تكن يوماً ما قاعدة دقيقة جداً إلا أنها قد تكون في بعض الحالات مقبولة، أو شبه مقبولة، ولعل هذه الحالة هنا من ذلك حيث إنه بإمكاننا القول إنّ علي بن مرّة إنْ لم يكن في الحقبة نفسها التي عاش فيها علي بن الحسن العبدي نظيره في القعدد فهو قد يكون قبله بقليل لأنّ العوتبي الذي ذكر ارتفاع نسب علي بن مرّة - إن كان هو من رفعه - قد أدرك بضعة عقود من القرن السادس الهجري أي إنه كان معاصراً للأديب العبدي علي بن الحسن البصري نظير علي بن مرّة في القعدد، وهذا يقوي كون العوتبي هو بالفعل من ذكر ارتفاع نسب علي بن مرة، وليس غيره.

وأيضاً فإنّ الشاعر القطيفي الحسين بن ثابت صاحب القصيدة في بطون عبد القيس أنشأ هذه القصيدة قبل العام ٥٣٨ للهجرة، وهو العام الذي قُتل فيه سجانه أبو سنان محمد بن الفضل بن عبد الله العُيوني المرِّي من قبل عميه أبي المنصور وأبي علي لأنه قالها مطالباً بطون قبيلته لكي يتوسطوا له عنده كما رأينا في تحقيقها، وهي قصيدة رواها الأديب البصري علي بن الحسن العبدي نقلاً عن أحد سكان القطيف من عبد القيس، وهو أبو شكر عبد القيس بن علي بن عبد القيس بن مالك بن موسى بن محمد بن مالك الخارجي، المالكي، نسبة إلى بني الخارجية العبديين أيضاً، وهذا ما يعلل اختيار الحسين بن ثابت لفظة (وولد مُرَّة) بدلاً من (آل مُرّة) مثلاً، فهو قد نسبهم إلى أبيهم المباشر مُرّة بن علي الخارجي العبدي حيث أرجّح أنهم كانوا حينها فخذاً صغيراً من بني الخارجية، وهو أيضاً يرجح كونّ مُرّة أبيهم من ذوي الشأن واليسار في تلك الحقبة وأنه كان له أولاد كثر وأحفاد كذلك، وكلّ ذلك يرجح كونه وابنه علي بن مرّة من رجالات القرن السادس الهجري، ولاسيما علي بن مرّة وفق أرجح

التقديرات وأفضلها، وبالتالي فإنني أرجّح أنّ النواة الأولى لقبيلة بني مرّة المعاصرة كانت في ذلك القرن أيضاً.

ومما يؤكد هذه النتيجة أيضاً هو ما ذكره السيَّابي من أنّ بني مرة[٥٠٢] هم بادية برمل عمان، الفاصل بين ابو ظبي والبريمي وعبرى، وأنّ فيهم عدد عديد، وزاد مزيد، ورأي سديد، وأنهم أرهاط كثيرة، وبطون طويلة عريضة، ووصفهم بأنهم رهط عنيد في البادية، ولهم صولة وطولة، وذكر أنّ بينهم وبين بني ياس روابطٌ وإخاء. وأنهم بادية بني ياس يعني بادية دولتهم وليس منهم نسباً؛ كما وصفهم بصفة هامة جداً وهي قوله عنهم إنهم **"لم تطأهُمْ حُكومةٌ، وَلَمْ يخْضَعُوا لِسُلْطَة؛ أحْرَارٌ مُطْلَقاً"**،[٥٠٣] وهذا كله لا يكون إلا إذا كانوا يستشعرون أنهم في منعة عن كلِّ طالب، وهو يدلّ على منعة الرَّمل الذي يسكنونه كما يدلُّ على أنهم كانوا سكانه من قديم الزمان،

---

[٥٠٢] من الأخطاء التي وقع فيها السيابي هو تنسيبه لبني مُرّة على أنهم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض؟!!، وقد أبعد النجعة في ذلك جداً.

[٥٠٣] باختصار عن السيابي: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان.

وقد وصف الباحث الأمريكي دونالد باول كول هذه القبيلة المعاصرة بأنها أعرق القبائل في المنطقة العربية كلها،[٥٠٤] وهو الذي عاش بينهم لمدة عام ونصف العام.

خاتمة البحث

لقد رأينا في البحث كيف أنّ المؤرخين والنسابة والرّحالة المعاصرين أجمعوا على أنّ قبيلة بني مُرّة من أقدم قبائل العرب قاطبة وأكثرها عراقة،[٥٠٥] وأنّ بؤرة سكنهم هي الرمال المعروفة الآن بالربع الخالي.

وقد أثبت في البحث أنّ هذه الرمال كان يقطنها حتى القرن السابع الهجري بنو الخارجية من عبد القيس الذين تنطبق عليهم هم أيضاً معظم الصفات التي يتصف بها المريّون، ولاسيما اقتفاء الأثر والدلالة اللتين اشتهرت بهما القبيلتان.

وعالج هذا البحث أيضاً وجود شخصين اسمُ كلٍّ منهما (علي بن مرّة) في هاتين القبيلتين أحدهما هو آخر

---

[٥٠٤] دونالد كول: بدو البدو؛ الصفحة ١٥.

[٥٠٥] كحالة: معجم قبائل العرب ج٣: ١٠٧٠.

الشخصيات المرموقة التي وصلنا نسبها كاملاً في قبيلة بني الخارجية المتواجدين في الرمال (الربع الخالي) حتى القرن السابع الهجري، وثانيهما هو الجد الأعلى لقبيلة آل مُرّة المعاصرة، والمتواجدة في تلك الرمال ذاتها منذ زمان قديم أيضاً وفق ما ذكره بعض المؤرخين والرحّالة الذين زاروا المنطقة، ويشهد له بذلك أيضاً كثرة البطون والأفخاذ المريّة المتحدَّرة منه، وهذا كله هو ما سوّغ لي القول بصحة النتيجة التي توصَّلتُ إليها حول هاتين الشخصيتين، وهي أنّ عليَّ بن مرّة الخارجي العبدي الذي ذكر نسبه العوتبي مرفوعاً إلى عبد القيس وعليَّ بن مرّة الجدّ الأعلى لبطون قبيلة بني مُرّة المعاصرة هما شخصية واحدة.

ومما يقوي هذا الرأي أيضاً، وهو بالفعل من أقوى الأدلة المعتبرة على أنّ قبيلة بني مُرّة المعاصرة تنحدر من عبد القيس، ثم من بني الخارجية منهم هو تأكيد بني مُرّة الحاليين على أنّ الآبار الرئيسية القديمة التي تقع في الرِّمال (الربع الخالي) لم يقوموا هم بحفرها؛ بل هم يقولون إنها كانت ملكاً لأجدادهم

منذ أيام الجاهلية،[٥٠٦] ونحن نعرف الآن أنه حتى القرن السابع الهجري كانت هذه الآبار والبراري تُعرف برمال وآبار خارجة نسبة إلى بني الخارجية من عبدالقيس، فهذا يعني أنهم هم المعنيون بالأجداد في كلام آل مرّة المعاصرين.

وإلى هنا أختم حديثي مؤكداً على أنّ ما توصلت إليه حتى الآن هو أنني أرجح وفق القرائن العديدة التي ذكرتها كونَ بني مُرّة القبيلة المعاصرة هي من سلالة عبد القيس ثم من بني الخارجية منهم، وأنّ جدّهم الأعلى الذي ينتسبون إليه حتى الآن هو علي بن مرّة بن علي بن أحمد بن يوسف بن عبد الله ابن جابر بن محمد بن زيد بن العتم بن كعب بن ظالم بن هزيمة بن زيد بن ثعلبة بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

[٥٠٦] دونالد كول: بدو البدو ٤٥.

مشجرة نسب وبطون وأقارب آل مرّة، وارتفاع نسبهم إلى بني الخارجية، وهم بنو عامر بن معاوية من عبد القيس، وقد استفدتها من عدة مصادر هم بالترتيب الزمني:

١. هشام بن محمد الكلبي في كتابه (**جمهرة النسب**).

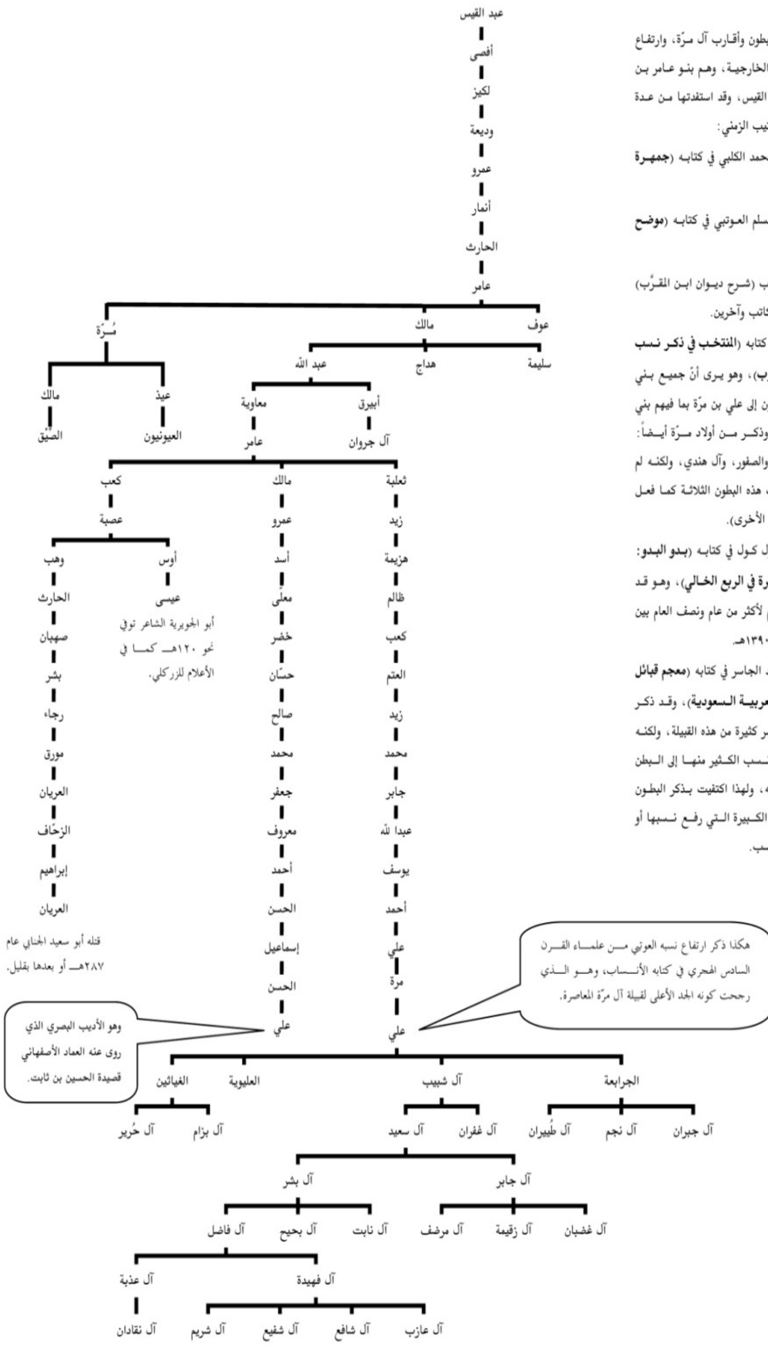
٢. سلمة بن مسلم العوتبي في كتابه (**موضح الأنساب**).

٣. ابن المقرّب (شرح ديوان ابن المقرّب) بتحقيق الكاتب وآخرين.

٤. المغيري في كتابه (**المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب**)، وهو يرى أنّ جميع بني مرّة يرجعون إلى علي بن مرّة بما فيهم بني شبيب، وذكر من أولاد مرّة أيضاً: الأدمنان، والصفور، وآل هندي، ولكنه لم يرفع نسب هذه البطون الثلاثة كما فعل مع البطون الأخرى.

٥. دونالد باول كول في كتابه (**بدو البدو: حياة آل مرة في الربع الخالي**)، وهو قد عاش معهم لأكثر من عام ونصف العام بين ١٣٨٨ – ١٣٩٠هـ.

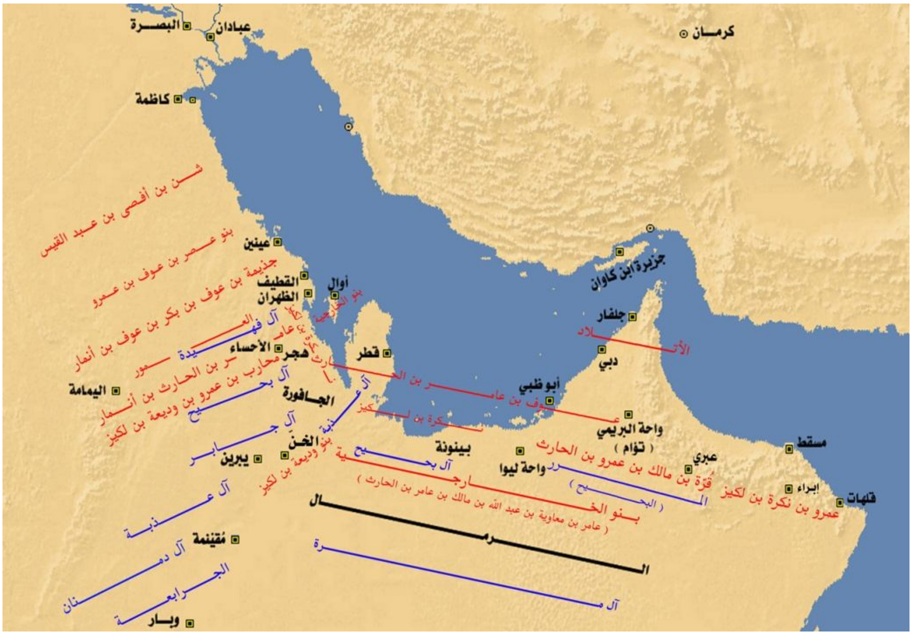
٦. الشيخ حمد الجاسر في كتابه (**معجم قبائل المملكة العربية السعودية**)، وقد ذكر أفخاذا وأسر كثيرة من هذه القبيلة، ولكنه لم يرفع نسب الكثير منها إلى البطن المنحدر منه، ولهذا اكتفيت بذكر البطون والأفخاذ الكبيرة التي رفع نسبها أو معروفة النسب.





الخارطة رقم (١٠) العـــــليا: منازل قبيلة بني مُرَّة ومراعيها في شبه الجزيـرة العربيـة (المساحة الملونة باللون الأخضر) بالاعتماد على المصادر المذكورة في البحث.

الخارطة رقم (١١) السُّفلى: منازل بطون قبيلة عبد القيس التي كانـت لهـا في شـرق الجزيرة العربية (اللون الأحمر)، ومنازل بطون قبيلة آل مُرَّة في ذات المكان (اللون الأزرق)، ومنه يتضح لنا أنّ بني مُرّة تحل في معظم الأماكن التي حلّت فيها بطون قبيلة عبد القيس.



جَزِيْرَةُ تَارُوْتْ

وتِمْثالُهَا ذُوْ الخَصَائِصْ السُّوْمَرِيَّةْ

THARO بهذا الرسم كُتب هذا الاسم لجزيرة داخل مياه الخليج في نسخ الخارطة البطلمية، ولم تشذ عنه أي نسخة من هذه النسخ باستثناء أنّ بعضها قد كتبتها بتشديد حرف (**R**) أي (**THARRO**)،[٥٠٧] ويتضح من هذه النسخ أنها جميعها قد اتفقت على وضع هذه الجزيرة إلى الشمال الشرقي من ميناء المدينة التاريخية الشهيرة (جِرَه)، وإلى الشرق مباشرة، وبمسافة جيدة من مدينة ساحلية أخرى هي (بلبانا) التي يرى بعض الباحثين أنها تقع في أراضي القطيف،[٥٠٨] ثم إلى الغرب من

---

[٥٠٧] خالد العنقري: الجزيرة العربية في الخرائط الأوربية القديمة؛ (باريس: معهد العالم العربي ٢٠٠١) الصفحات: ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣١، ١٣٢.

وانظر أيضاً الصورة رقم (١) في آخر البحث.

[٥٠٨] يقول جروم إنّ سبرنجر كان لا يشك بأنّ بلبانا هي القطيف نفسها. انظر: نجيل جروم: الجرهاء مدينة مفقودة في الجزيرة العربية؛ مجلة أطلال ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م العدد السادس الصفحة ١٠١.

غير أنني أرجح أنّ (بلبانا) ربما تكون المنطقة القطيفية القديمة المعروفة باسم (البيضاء) اعتماداً على أنّ الاسم الآرامي السامي (بلبانا) قد يعني البياض كما هو الحال بالنسبة لاسم لبنان الفينيقي القديم، وهو (لبانا) الذي

تاروت (THARO) بميل طفيف للشمال وضعت النسخ جزيرة أخرى أسمتها (ICHARA) التي يبدو أنها إيكاروس (IKAROS)، وهي المعروفة الآن باسم جزيرة فيلكا بدولة الكويت[٥٠٩]؛ كما وضعت هذه النسخ إلى الشرق من جزيرة (THARO)، وعلى التوالي جزيرة تايلوس (TYLUS) التي تعني (أوال)، ثم جزيرة (ARADUS) أي (عَرَاد) الواقعتين في مملكة البحرين، ولا زال اسم الجزيرة الثانية مستخدماً حتى الآن.[٥١٠]

ولسنا في حاجة إلى تفكير كبير بعد هذا لنعرف أنّ المراد من (THARO) في الخارطة البطلمية هو (تاروت) الجزيرة الآثارية الشهيرة في الخليج، والواقعة شرق مدينة القطيف،

يعني الأبيض، وقد ذكرت مستنداتي حول ذلك في بحثي المنشور بعنوان: (جرَه مدينة التجارة العالمية القديمة).

[٥٠٩] لا شك أنّ أفضل من كتب عن فيلكا وتسمياتها القديمة هو جيوفري بيبي في كتابه القيم (البحث عن دلمون)، ويُنصح بقراءة الفصل المخصص عن هذه الجزيرة، وهو الفصل الثاني عشر.

[٥١٠] ولكنه يُطلق الآن على بلدة تقع في الجزء الجنوبي الغربي من جزيرة المحرَّق التي كانت تُسمى وقتها (عراد)، ثم أطلق عليها مسمى (سماهيج) إلى أن حُوِّل اسمها مؤخراً إلى (المحرَّق).

وتكاد تتصل بها الآن بعد الدفن الجائر للممرّ المائي البحري الذي كان يفصل بينهما، والذي كان عرضه في السابق يتجاوز الخمسة كيلومترات في حين لا يتجاوز ما تبقى منه بعد الدفن الآن المائة متر فقط!.

الموقع واستراتيجية المكان

تقع جزيرة تاروت على الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية شرق واحة القطيف وسط الخليج البحري الذي تطل عليه هذه الواحة، والمسمى بـ(خليج تاروت)، والذي يحده من الشمال الرأس البحري الشهير جداً حالياً (رأس تنورة)، ومن الجنوب حاضرة المنطقة الشرقية من المملكة (الدمام)، ومن الغرب واحة القطيف وقراها وبساتينها الممتدة من سيهات جنوباً إلى صفواء شمالاً بطول ٢٣ كيلومتراً تقريباً.

وقد شكَّل الرأس البحري الطبيعي لرأس تنورة الذي يحيط بجزيرة تاروت من الشمال والشمال الشرقي على هيئة القوس مصداً طبيعياً للرياح الشمالية، والشمالية الغربية والشرقية العاتية التي تهب على الخليج؛ مما جعل الجزيرة في حالة أمنٍ

واستقرار من عاديات البحر وتياراته العاتية؛ كما ساهم وجود المياه العذبة الغزيرة والوفيرة المنبعثة من باطن الجزيرة لآلاف السنين[٥١١] على قيام نظام زراعي فذ غطى أرض الجزيرة بالأشجار المثمرة حتى قال أبو الفداء:[٥١٢]

"وَلِتَارُوْتِ الكُرُوْمُ الكَثِيرةُ وَالعِنَبُ المُفَضَّلْ"

وكان ذلك النظام الزراعي يتكوَّن من أشجار النخيل بالمرتبة الأولى، والكثير من الأشجار المثمرة الأخرى مثل أشجار العنب والموز والتفاح والرمّان والخوخ والليمون والبرتقال والإترج[٥١٣] والببايا[٥١٤] والسِّدر واللوز بالإضافة إلى أنواع من الحبوب كالحنطة والسمسم والأرز، وكذلك الخضار والبقوليات بجميع أنواعها المعروفة؛ في حين ذكر في دفتر

---

[٥١١] انظر الصورة رقم (٢٢) لعين تاروت الشهيرة.

[٥١٢] إسماعيل بن علي بن محمود = أبو الفداء: تقويم البلدان (بـيروت: دار صادر؛ مصورة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة السلطانية – بـاريس ١٨٤٠م) الصفحة ٨٣.

[٥١٣] ينطقه الأهالي: "إترنج"، ومنهم من يقول: "إطرنج".

[٥١٤] ينطقه الأهالي: "بوبي".

الطابو العثماني رقم (٢٨٢) لعام ٩٥٩ للهجرة المسمى بـ(قانون نامه لواء القطيف) أنه كان يزرع في تاروت القطن والسمسم أيضاً.

وقد شجع ذلك كله على استيطان البشر للجزيرة منذ آلاف السنين، ومارسوا فيها التجارة باحتراف كبير مما جعل لهذه الجزيرة وقراها مثل دارين صيتاً كبيراً وشهيراً بين سكان جزيرة العرب وإقليم فارس وبلاد الرافدين، وقد مارس السكان بالإضافة إلى أعمال الزراعة والتجارة الصناعات اليدوية ومهنتي صيد السمك واللؤلؤ اللتين اشتهرت بهما هذه الجزيرة منذ أقدم الأزمان حتى إنّ عُمّال الدولة العثمانية التي احتلت القطيف في أواسط القرن العاشر الهجري قد أفردت صيادي هذين النوعين البحريين بالذكر عن بقية سكان تاروت، فسمتهم "جماعة صيادي السمك واللؤلؤ في تاروت".[٥١٥]

---

[٥١٥] طابو دفتري رقم ٢٨٢ لشهر رجب ٩٥٩هـ (قانون نامه لـواء القطيـف)؛ الصفحة ١٥.

وعلى العموم، فقد كانت جميع الأرقام التي ذكرها عمال الدولة العثمانية لتاروت هي الأعلى على الإطلاق بالنسبة لكل القرى والبلدان التابعة لواحة القطيف، والتي ذُكرت في قانون نامه لواء القطيف؛ كما يلاحظ أنّ إيرادات جزيرة تاروت للخزينة العثمانية كانت أعلى بكثير من إيرادات مدينة القطيف (القلعة وضواحيها)،[٥١٦] وهو إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مدى ما كانت تتمتع به هذه الجزيرة من مقومات عيش رغيد، وتنوع الموارد المعيشية فيها، والتي لا شك أنّه كان لصيد اللؤلؤ أكبر الأثر في ذلك.

الأهمية التاريخية والآثارية لجزيرة تاروت

لم تذكر جزيرة تاروت كثيراً في التاريخين العربي والإسلامي على العكس من ملحقتها شبه جزيرة دارين المتصلة بها من الجنوب، والتي ذكرت كثيراً في التاريخين المذكورين فضلاً عن الذكر الجم الغزير لها في الشعر العربي القديم والحديث حيث تغنى الشعراء بعطورها ولئالئها وتجارتها، وأما الجزيرة

---

[٥١٦] طابو دفتري رقم ٢٨٢ لشهر رجب ٩٥٩هـ (قانون نامه لـواء القطيـف)؛ الصفحات ١٤ – ١٦.

الأم تاروت، فلم أجد في شعراء عرب ما قبل الإسلام ولا حتى ما بعده من ذكرها، وأقدم شاعر ذكرها فيما اطلعتُ عليه هو أحد شعراء القرن السادس الهجري، وهو أبو الحسن علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي البصري أحد شعراء الخريدة للعماد الأصفهاني، فقد روى له ثلاثة أبيات في ترجمته من الخريدة يذكر بعض ما لقيه في تاروت التي عرّفها العماد على أنها جزيرة بالبحرين، وذكر أنّ ذلك كان وقت كون هذا الشاعر بالقطيف سنة أربع وخمسين وخمس مئة، والأبيات هي قوله:[٥١٧]

قـــبّح الله لـــيلتي ومَبِـــيتي
أتلَـــوَّى للجـــوع في تـــارُوتِ
ليس عندي سِـوى ثيـابيَ شـيءٌ
مِثـلَ مَيْـت قـد حـلَّ في تـابُوتِ
وحصاني نِضْوٌ من الجوع مثلـي
فاقـــدٌ قَتَّـــهُ كفقـــدي قُـــوْتيْ

[٥١٧] محمد بن محمد بن نفيس = العماد الأصفهاني: تكملة خريدة القصر وجريدة العصر / قسم شعراء العراق؛ تحقيق محمد بهجة الأثري (بغداد: المجمع العلمي العراقي ١٩٨٠م) ج٥: ٦٨٣ – ٦٨٤.

ثم ذكرها في أواخر القرن التاسع الهجري الربان الخليجي المشهور أحمد بن ماجد في بعض أراجيزه التي قال فيها:[518]

ومَغْربُ التِّيْر علَـى تَأْرُوْتَـا

تَرَى القَطِيْفَ عَامِراً مَنْعُوْتَـا

فهذا كل ما وجدته من شعر عربي قديم ذكرت فيه هذه الجزيرة، وأمّا بالنسبة لكتب التاريخ العربية، فإنّ أقدم خبر اطلعت عليه ورد فيه اسم تاروت هو خبر مقتل ثاني أمراء الدولة العُيونية وثاني أبناء مؤسسها فضل بن عبد الله بن علي العُيوني الذي تمت تصفيته في هذه الجزيرة على يد بعض خدمه في بداية القرن السادس الهجري.[519]

ومن المرجّح أنّ تاروت اشتهرت بكونها حصناً أو قلعة حتى ما قبل هذا القرن، فقد عرَّفها الصاغاني – المتوفى عام

[518] أحمد بن ماجد السعدي: الأراجيز والقصائد/ أرجوزة بر العرب في خليج فارس؛ تحقيق إبراهيم خوري (رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة؛ كتاب الأبحاث دت) ج٣: ١٨٢.

[519] شارح مجهول: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي وآخرين (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م) ج٥: ٢٩٨٥.

٦٥٠هـ - في التكملة بأنها:

"حِصْنٌ عَلَى عَبْرِ دَاْرِيْنْ"[٥٢٠]

ويعني بجملة: "عَبْر دارين" أي على طريق دارين في حين نقل أبو الفداء - المتوفى سنة ٧٣٢ للهجرة - عن بعض أهلها - وصفاً دقيقاً وصحيحاً لها في بداية القرن الثامن الهجري، فقال:

"ومِنِ البلادِ القَريبةِ مِنِ القَطِيْفِ تَاْرُوْت .. بُلَيْدَةٌ في الشَّرْق عَنِ القَطيْفِ، وإذا مَدَّ البحرُ أحَاطَ بهَا وَبأراضِيْها، فتصيرُ جَزيرةٌ، وَإذا جَزَرَ البَحْرُ انكَشَفَ بعضُ الأرْضِ التيْ بينَهَا وَبينَ القَطِيْفِ فَيَصِلُ إليهَا النَّاسُ فيْ البرِّ، وهيَ عنِ القَطِيْفِ عَلَى نِصْفِ مَرْحَلَةْ".[٥٢١]

---

[٥٢٠] الحسن بن محمد الصاغاني: التكملة والذيل والصلة على تاج اللغة وصحاح العربية (مخطوطة مكتبة الأمير سلمان بجامعة الملك سعود) باب التاء؛ مادة (قرت) لأنه كتبها قاروت، وهو خطأ بيِّن.

[٥٢١] باختصار عن: إسماعيل بن علي بن محمود = أبو الفداء: تقويم البلدان (بيروت: دار صادر؛ مصورة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة السلطانية – باريس ١٨٤٠م) الصفحة ٨٣.

كان ذلك جلّ ما ذكر عن هذه الجزيرة الهامة في كتب الأدب والتاريخ العربيين، وأما بالنسبة لعلم الآثار، فتعد جزيرة تاروت واحدة من أهم المواضع الآثارية ليس في منطقة الخليج فقط، وإنما على مستوى الشرق الأدنى القديم كله، ويرى بعضُ الباحثين أنه قد يكون اسمها القديم له ارتباط بالإلهة عشتار أو عشتروت[٥٢٢] (Ashtaroth / Ashtart)، و(عشتروت) كما نعلم هي إلهة معبودة من قبل أمم الحضارات القديمة في بلاد الشام، ومنهم الفينيقيين، فهي عندهم إلهة الخصوبة والحب، وكثيرٌ من الباحثين في التاريخ القديم يرون أنّ الفينيقيين تعود أصولهم إلى أقطار الخليج، فإنْ صح وجود ارتباط بين جزيرة تاروت والإلهة عشتروت، فهو دليل آخر أيضاً على صحة هذا الرأي.

وأياً كان الأمر فإنه عندما جاءت البعثة الدانمركية الاستكشافية إلى دول الخليج العربية مستكشفةً ما في بطون أراضيها من آثار فوجئوا بالمستوى الآثاري الكبير الذي ينطوي

---

[٥٢٢] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد: جامعة بغداد ١٩٩٣م) ج١: ١٧٦.

عليه باطن جزيرة تاروت مما جعل رئيس البعثة السيد جيوفري بيبي يقرر أنّ هذه الجزيرة:

"ليستْ مجرَّدَ أقْدَم منطقةٍ بالسُّعُودية، وَإنما هيَ أقْدَمُ مَوْقِعٍ لمدينةٍ فيْ الخَلِيْجْ".[٥٢٣]

ولم يخفِ هذا الباحث الآثاري حسرته الشّديدة لعدم تمكنه من التنقيب كما يشتهي في التلّ الشهير الذي تقوم عليه قلعة تاروت[٥٢٤]، والذي اكتشفت البعثة فيه لقى صوانية عليها آثار

---

[٥٢٣] جيوفري بيبي: البحث عن دلمون؛ ترجمة أحمد عبيدلي (نيقوسيا – قبرص: دلمون للنشر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) الصفحة ٤٦٥.

[٥٢٤] كانت الموانع التي ذكرها في كتابه الآنف الذكر تتمثل أولاً في رفض الحكومة السعودية – آنذاك – إعطائه تصريحاً للتنقيب في المملكة بصفة عامة، ثم بعد أن وافقت الحكومة على إعطائه التصريح بعد مدة، وظنّ أنّ الفرج قد جاءه اصطدم بتظافر الأهالي في جزيرة تاروت على منعه من التنقيب هو وأعضاء بعثته لأنّ المكان الذي كانوا يودون البحث فيه، وهو الجانب الغربي من تلّ تاروت كان يطلّ على عين ماءٍ تغتسلُ فيها النساء، وبعد أخذ ورد، وتوسّط بعض الشخصيات المحلية سَمحَ له الأهالي بالتنقيب لمدة ساعتين فقط، ومع ذلك، ومع ضيق هذا الوقت المعطى له فقد تمكن أكبر معاونيه، وهو جلوب بضربتي معول فقط أنْ يثبت أنّ تاريخ الاستيطان في هذه الجزيرة الواعدة قد يعود إلى العصر الحجري الحديث.

الكشط؛ منها شفرة سكين قُدّر تاريخها بالعصر الحجري الحديث (٧٥٠٠ – ٥٥٠٠ ق.م)[٥٢٥] بالإضافة إلى آثار من الحقب التاريخية المتعاقبة والتالية له بدءاً من فترة انتشار فخار العُبيد (٥٠٠٠ – ٣٥٠٠ ق.م) إلى عصور دلمون (الألف الثالث ق.م)؛[٥٢٦] مروراً بالعصر الهيلينستي (٣٢٥ – ١٠٠ ق.م) الذي قدمت تاروت أجمل الفخاريات العائدة إليه في المنطقة،[٥٢٧] وقد ظل بيبي حتى آخر عهد له بالمنطقة متألماً لعدم استطاعته التنقيب في تل تاروت بحرية مطلقة كما كان الحال عليه في البحرين؛

انظر: كتاب (البحث عن دلمون) الصفحات: ٤١٣، ٤٤٩، ٤٥٦ – ٤٥٧، ٤٦٣ – ٤٦٤.

[٥٢٥] جيوفري بيبي: البحث عن دلمون؛ ترجمة أحمد عبيدلي (نيقوسيا – قبرص: دلمون للنشر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) الصفحة ٤٦٤.

ولمشاهدة هذا التل الأثري والقلعة التي تعلوه ينظر ملحق الصور في آخر هذا البحث.

[٥٢٦] انظر الملحق لمشاهدة بعض المصنوعات العائدة لهذه الفترة.

[٥٢٧] هيئة تحرير: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج الطبعة الأولى ١٩٨٨م) الصفحات: ٢٥٠ – ٢٥٢، ٢٩٥ – ٢٩٦.

حتى لقد تمنى لو أنه كان لديه من المال ما يجعله قادراً على شراء جزيرة تاروت كلها لينقب في أرضها كما يشاء[٥٢٨] لأنه كان يعتقد بأنّ جزيرة تاروت، ولاسيما تَلَّها الشهير هو أفضل مكان يمكن أن يعطي نتائج باهرة وسليمة لحقب تاريخ الاستقرار البشري في منطقة الخليج منذ أقدم ظهور له فيها، وأن يقدم للباحثين بعض الحلقات المفقودة من ذلك التاريخ القديم.[٥٢٩]

تمثال العابد التاروتي

على أنّ أحد أهم الاكتشافات المثيرة للإعجاب، والتي عُثر عليها في جزيرة تاروت هو ذلك التمثال الكبير ذو خصائص النحت السومري المتقن العائد للنصف الأول من الألفية الثالثة قبل الميلاد[٥٣٠]، والبالغ طوله ٩٤ سم من الحجر

---

[٥٢٨] جيوفري بيبي: البحث عن دلمون؛ ترجمة أحمد عبيدلي (نيقوسيا – قبرص: دلمون للنشر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) الصفحة ٤٦٦.

[٥٢٩] جيوفري بيبي: البحث عن دلمون؛ ترجمة أحمد عبيدلي (نيقوسيا – قبرص: دلمون للنشر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) الصفحة ٤٧٦.

[٥٣٠] انظر:

الكلسي،[٥٣١] وهو لرجل منتصب الجذع؛ كامل الأعضاء باستثناء القدمين؛ مكتنزٍ؛ أصلع الرأس؛ حليق الذقن والشارب؛ ذي حاجبين متصلين ومقوسين بعض الشيء؛ ممتلئ الوجه؛ غليظ الرقبة؛ واسع العينين والفم؛ كبير الأذنين؛ عريض المنكبين مستقيم الساقين، وهو عارٍ تماماً إلا مما يبدو أنه حزام ذو خطوط ثلاثة تمنطق به عند موضع السُّرّة من البطن والظهر إلا أنه لم يستر عضوه التناسلي البارز والمنحوت بإتقان.

وقد نُحتت يدا هذا التمثال في وضعية خنوع على منتصف الصدر بين الثديين تماماً، وبشكل متقاطع ومتشابك عند راحتي اليدين بحيث تعلو اليدُ اليمنى بكامل أصابعها - ما عدا الإبهام - على اليد اليسرى، وأما إبهاما اليدين فقد اشتبكا معاً على شكل إسفين بحيث يبدو الرجل في حالة خشوع وعبادة تامة.[٥٣٢]

William Facey: The Story of Eastern Province of Saudi Arabia (Stacey International, London 1994) P. 23.

[٥٣١] دانيال ت. بوتس: الخليج العربي في العصور القديمة؛ ترجمة إبراهيم خوري (أبو ظبي: المجمع الثقافي ٢٠٠٣م) ج١: ١٤٧.

[٥٣٢] انظر صورة له في الملحق.

ويوجد لهذا التمثال (العابد) تماثيل عدة مشابهة له في حالة التعبد والخشوع – وإن كانت ليست كلها عارية مثله – عُثر عليها في بلاد الرافدين، وتعود كلها إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد،[٥٣٣] ومنها تمثال سومري يعود للنصف الأول من الألفية الثالثة قبل الميلاد عُثر عليه في خفاجي شرق بغداد، وهو مصنوع من النحاس لرجل عارٍ في حالة خشوع؛ يتمنطق بحزام مثلث،[٥٣٤] ويقف على قاعدة ذات أربعة سيقان[٥٣٥]، وقد ألمح دانيال بوتس إلى وجود شبه بين هذا التمثال وبين تمثال تاروت؛[٥٣٦] غير أنّ هذا التمثال النحاسي على الرغم من وجود أوجه شبه بينه وبين تمثال تاروت إلا أنه توجد أيضاً أوجه

[٥٣٣] ثروت عكاشة: تاريخ الفن؛ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر دت) ج٤: الصفحات ١٧٠ – ١٩٥.

[٥٣٤] الصحيح أنه حزام ذو ثلاثة حزوز، وقوله حزام مثلث يحتمل أنه خطأ في الترجمة من مصدر نقلنا.

[٥٣٥] دانيال ت. بوتس: الخليج العربي في العصور القديمة؛ ترجمة إبراهيم خوري (أبو ظبي: المجمع الثقافي ٢٠٠٣م) ج١: ١٤٧.

[٥٣٦] انظر الصور في آخر البحث.

اختلاف عنه، فهذا التمثال لرجل طاعن في السن ليس بأصلع الرأس؛ بل له ظفيرتان منسدلتان على كتفيه من الأمام؛ كما إن له ذقناً طويلاً، والرجل في أوصافه الجسمانية نحيف الجسم ليس بمثل امتلاء جسم تمثال تاروت، ورِجْلُهُ اليسرى متقدمة بعض الشيء على رجله اليمنى، وليستا في استقامة واحدة كما هو الحال في تمثال تاروت.[٥٣٧]

وفي عام ١٩٣٥ كشف المؤرخ والآثاري الأوروبي هنري فرانكفورت عن واحد من أهم الاكتشافات في العراق، وهو ما عُرف بكنز النحت في معبد الإله (آبو) بتل أسمر شرق بغداد[٥٣٨]، وكان عبارة عن اثني عشر تمثالاً لآدميين كلهم في حالة خشوع وعبادة وتضرّع شبيهة بخشوع تمثال تاروت؛[٥٣٩] اثنان

---

[٥٣٧] ثروت عكاشة: تاريخ الفن؛ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر دت) ج٤: ١٦٨، ١٧٠.

[٥٣٨] انظر:

JEAN M. EVANS: THE Square Temple at Tell Asmar and the Construction of Early Dynastic Mesopotamia, ca. 2900 – 2350 B. C. E. (Americam Journal of Archaeology 111 (2007) p. 599 – 632).

[٥٣٩] انظر صورتهم في آخر البحث.

منها لسيدتين، والتماثيل الأخرى لرجال مختلفي الأعمار والأشكال، وتبدو السيدتان عليهما ثياب ورداء تستر كامل جسديهما باستثناء الرأس والرقبة والساعد الأيمن والقدمين إلى منتصف الساقين تقريباً، وأما الرداء فهو فوق الثياب، ويغطي كامل الجسم باستثناء الكتف الأيمن مع كامل اليد اليمنى، وقد وضع على جسدي السيدتين ما يشبه هيئة الرداء الذي تضعه النساء الهنديات قديماً فوق ملابسهن، وأما تماثيل الرجال العشرة، فهي كلها عارية من أعلى السُّرّة إلى قحفة الرأس، وأما من أسفل السُّرّة إلى قريب من منتصف السيقان فهو مغطى بمآزر متنوعة باستثناء تمثال واحد مصنوع من الرخام الشمعي وثانٍ ركبتيه على الأرض، فهو عاري الجسم تماماً إلا مما يشبه العمامة أو القلنسوة على رأسه.[٥٤٠]

إلا أنّ ما يلفت الانتباه بالفعل هو ذلك التمثال الأصلع الوحيد المتوسط لمجموعة التماثيل في الصورة، فهو شديد الشبه وجهاً وجسماً وهيئةً بتمثال تاروت باستثناء ارتدائه إزاراً

---

[٥٤٠] ثروت عكاشة: تاريخ الفن؛ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر دت) ج٤: ١٦٩، ١٧٤ – ١٧٥.

مزركشاً يستر من سرّته إلى أدنى ركبتيه بقليل مع بعض الفروق البسيطة، واما ما سوى ذلك فهو تمثال تاروت نفسه، حتى يبدو أنّ كلي التمثالين يمثلان شخصاً واحداً في هيئتين طقوسيتين من العبادة.

وقد عُثر في العراق أيضاً على تمثال ذي فنٍّ سومري أيضاً يعود للفترة نفسها التي يعود إليها تمثال خفاجي، إلا أنه شديد الشبه بتمثال تاروت من حيث العري الكامل والتموضع الخشوعي، وحتى وجود الحزام المحزز بثلاثة حزوز أيضاً سوى أنه يفرق عنه بفارق هام جداً، وهو أنّه لامرأة وليس لرجل هذه المرّة،[٥٤١] وهو تمثال يذكّر بتماثيل إلاهة الحب والجنس إنانا السومرية أو عشتار الآكادية التي كانت الغالبية العظمى من تماثيلها عارية.[٥٤٢]

كما يوجد تمثال آخر ذو فن سومري لرجل أصلع آخر شديد

---

[٥٤١] ثروت عكاشة: تاريخ الفن؛ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر دت) ج٤: ٣١٠.

[٥٤٢] انظر هذه الصورة في الملحق.

الشبه بتمثال معبد الإله (آبو)، وبتمثال تاروت أيضاً عُثر عليه هذه المرّة في معبد عشتار بمدينة نيبور (نفَّر)، ويعود زمنه إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وما دام اسمُ الإلهة عشتار قد أقحم علينا للمرة الثانية هنا، وما دام هذا التمثال قد عُثر عليه في معبدها الخاص، فلا بد لنا من وقفة استطرادية أخرى.

فقد رأيت أكثر الباحثين الذين تطرقوا لعلاقة اسم جزيرة تاروت بالإلهة عشتار أو عشتاروت كانوا يرون أنّ هذه الجزيرة ربما كانت معبداً لهذه الإلهة، ولهذا سُميت الجزيرة باسمها بعد حذف جزءٍ منه، ولكنني أرى أنّه إن صح وجود علاقة بينهما، فإنّ الإلهة عشتاروت هي التي ينبغي أنْ تكون نُسبت إلى هذه الجزيرة، وعندها تكون لفظة عشتاروت مكوّنة من لفظتين مركبتين هما (عش) بمعنى سكن أو ساكن، و(تاروت)، وهو اسم الجزيرة أي ساكنة تاروت.

وقد مرّ بنا قبل قليل التمثال العاري العائد لهذه الإلهة التي كانت معظم تماثيلها عارية، وهي صفة تجمع بينها وبين تمثال تاروت بالإضافة إلى الخصائص الأخرى المتماثلة التي تجمع بين

التمثالين وكونهما يعودان لفترة زمنية واحدة، وهو يعني وجود ارتباطٍ ما بين هذين التمثالين.

وعشتروت عند الفينيقيين ما هي إلا الإلهة عشتار (**Ishtar**) عند البابليين والآشوريين[٥٤٣]، والتي اكتُشِفَ أحد التماثيل الشبيهة بتمثال تاروت في معبدها[٥٤٤]، ولأننا نعرف أنّ علاقة سكان الجزء الشرقي من الجزيرة العربية مع سكان بلاد الرافدين هي علاقات كينونة ووجود أزلي منذ عصور السلالات الأولى لبلاد الرافدين؛ وبالتحديد منذ الحقب العائدة لزمن فخار العُبيد، فبالتالي لا غرابة أن توجد بين الشعبين حالات كثيرة من التأثر والتأثير المتبادل؛ بل قد أدى هذا الاتصال بين الشعبين، والمكانة التجارية الكبرى التي صارت عليها دلمون إلى تنافس ملوك بلاد الرافدين على كسب ودها؛ بل ومحاولة احتلالها وضمها إلى ملكهم، وهذا الأمر كان

---

[٥٤٣] انظر:

"Ishtar", Microsoft Encarta 97 Encyclopedia. 1993 - 1996.

[٥٤٤] ثروت عكاشة: تاريخ الفن؛ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر دت) ج٤: ١٩٤ –١٩٥.

من قديم الزمان أيام الملوك الذين كان يُطلق عليهم اسماء الآلهة، ففي واحدة من أشهر أساطير بلاد ما بين النهرين، وهي أسطورة تلمون (دلمون) ورد فيها أنّ آلهة هذه البلاد عندما تقاسموا العالم، صارت دلمون من نصيب إلهين اثنين هما (إنكي) إله المياه، و(نين حور ساج) إلاهة الأرض،[٥٤٥] ومن ضمن ما ورد في أسطورة أخرى من أساطير بلاد الرافدين جملةٌ للإلهة إنّانا تفتخر فيها بأنها غسلت رأسها في (نبع جبل دلمون)،[٥٤٦] وهو قد يعني حضورها إلى هذه المنطقة بالفعل، والاسم إينانا هذا ما هو إلا الاسم السومري للإلهة عشتار نفسها،[٥٤٧] فيبدو أنه لا مانع يمنع وفق هذه المعطيات أن يكون لاسم الإلهة عشتار أو عشتروت ارتباط ما بجزيرة تاروت.

---

[٥٤٥] ثروت عكاشة: تاريخ الفن؛ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر دت) ج٤: ٧٣.

[٥٤٦] دانيال ت. بوتس: الخليج العربي في العصور القديمة؛ ترجمه إبراهيم خوري (أبو ظبي: المجمع الثقافي ٢٠٠٣م) ج١: ٥٢٣.

[٥٤٧] انظر موسوعة الويكي بيديا على الرابطين الشبكيين:

- http://en.wikipedia.org/wiki/Ishtar
- http://en.wikipedia.org/wiki/Inanna

وبالعودة إلى حديثنا عن التماثيل السومرية المشابهة لتمثال تاروت يبدو أنّ تمثالي هذين الرجلين الأصلعين اللذين وجد أحدهما ضمن تماثيل معبد الإله (آبو)، والآخر ضمن معبد الإلهة (عشتار) ليسا هما الوحيدين اللذين يحملان شبهاً كبيراً بتمثالنا العائد لتاروت، وإنما احتفظت لنا أراضي بلاد الرافدين بتمثال آخر يُعد أكثر التماثيل شبهاً بتمثال تاروت، ولاسيما في الوجه والقامة، ولكنّه هذه المرة لشخصية معروفة بالاسم والفعل والسلطة ألا وهو الملك جودا (**Gudea**) الحاكم الذي اعتلى عرش لجش[٥٤٨] عام ٢١٤٤ قبل الميلاد[٥٤٩]، فأحبه أهالي لجش والتفوا حوله حتى اتخذوه إلهاً يُعبد بعد موته.[٥٥٠]

ولـ(جودا) عدة تماثيل وصلت إلينا تمثل كثيراً من هيئاته

---

[٥٤٨] من المدن السومرية العريقة في بلاد الرافدين، وتعرف الآن باسم (تلو)؛ في منتصف المسافة بين البصرة والحِلّة.

[٥٤٩] انظر:

"Gudea", Microsoft® Encarta® 97 Encyclopedia. © 1993-1996 Microsoft Corporation.

[٥٥٠] ثروت عكاشة: تاريخ الفن؛ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر دت) ج٤: ١٦

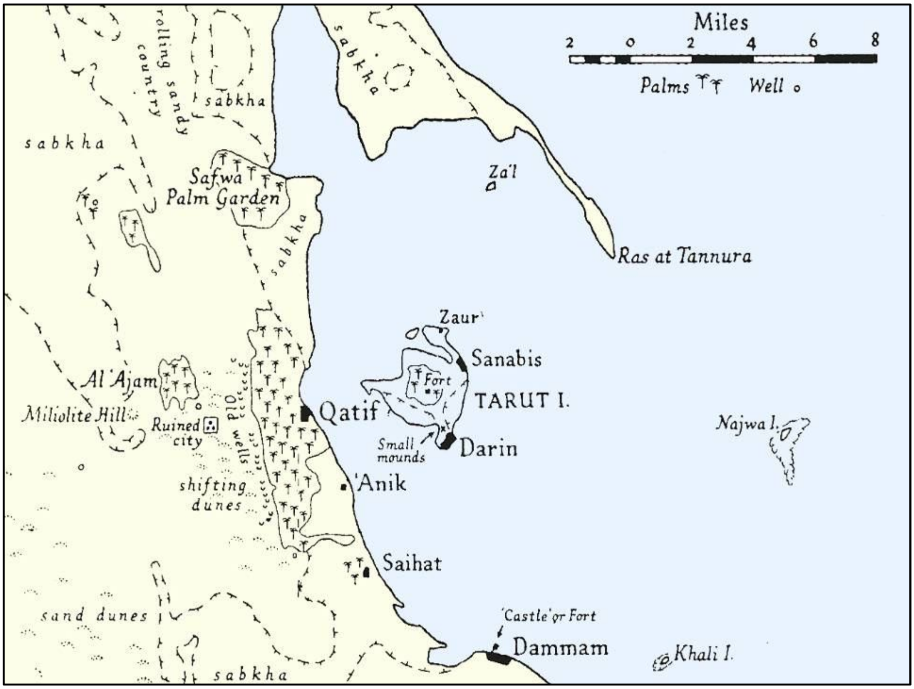
ومختلف سني حياته، وقد امتازت كلها بصدق التوصيف لملامح وجهه وصفاته الجسدية على حقيقته، فهو قصير القامة؛ غليظ العنق؛ قصيرها؛ حتى إنه ليبدو وكأنه مغروس بين كتفيه على حد تعبير الدكتور ثروت عكاشة[٥٥١]، ومن ينظر إلى تمثاله الذي يحتفظ به المتحف البريطاني فسيجد أنّه يشبه في كثير من خصائصه تمثال تاروت باستثناء أنّ تمثال (جودا) لم يتعرَ سوى رأسه الأصلع، وكتفه الأيمن مع كامل اليد اليمنى بعكس تمثال تاروت؛[٥٥٢] فقط ينبغي الالتفات إلى أنّ العمر الافتراضي لتمثال تاروت هو النصف الأول للألفية الثالثة، وأنّ الحاكم (جودا) هو من رجال النصف الثاني من هذه الألفية.

وأياً كان الأمر، فإنّ تمثال تاروت هو عمل فني مبدع، ولا ينبغي أن يكون مثل هذا النوع من الفنّ لرجل من عامة الناس، وهو أليق بزعيم أو كاهن إنْ لم يكن لإلهٍ كان يُعبد سواءً في منطقته حيث جزيرة تاروت، أو في بلاد الرافدين.

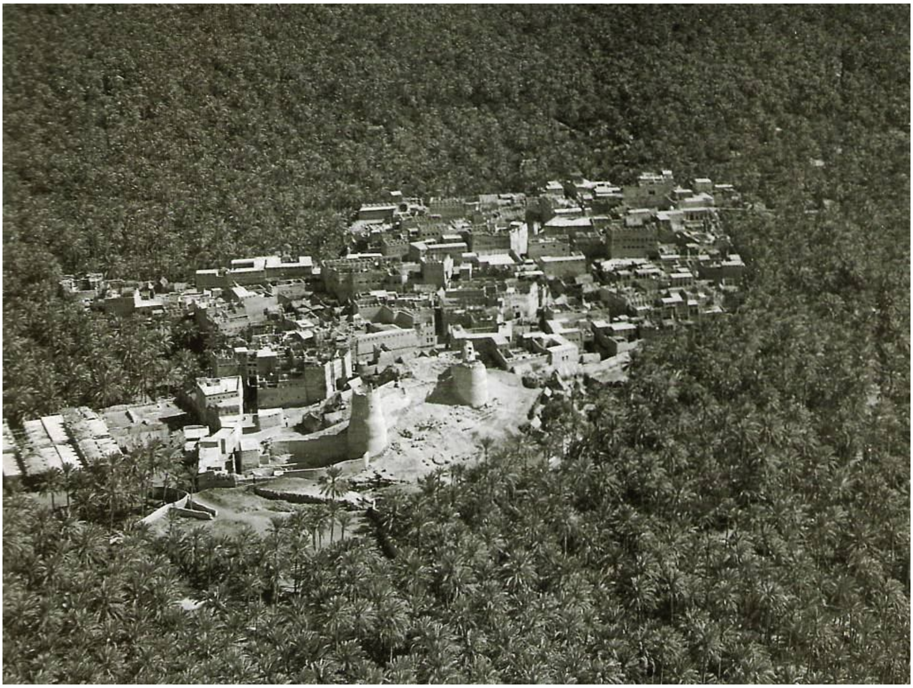
---

[٥٥١] ثروت عكاشة: تاريخ الفن؛ الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر دت) ج٤: ٢٩٢.

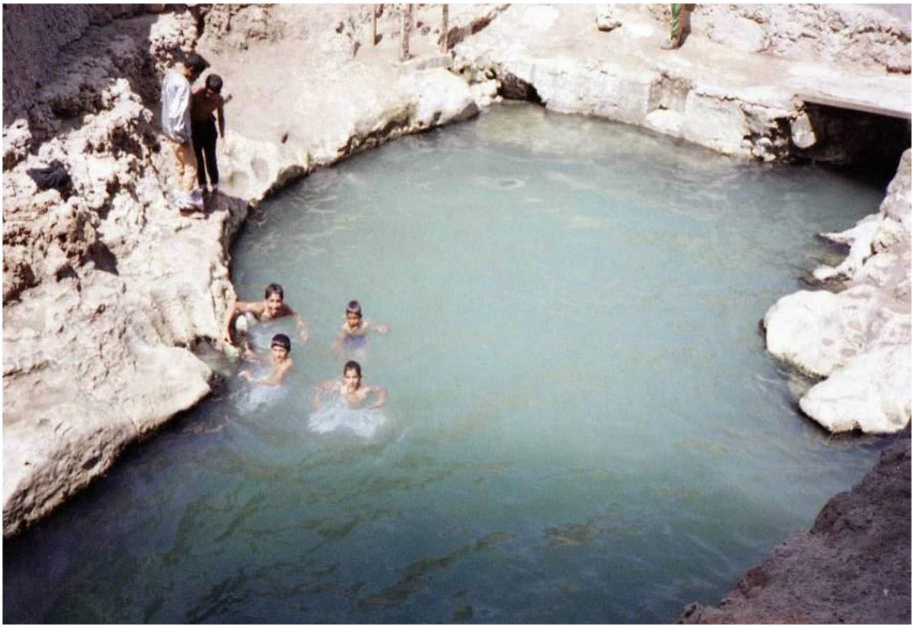
[٥٥٢] انظر الصور في آخر البحث.



الخارطة رقم (١٢): جزء من خارطة نشرتها أرامكو يظهر فيها موقع جزيرة تاروت.



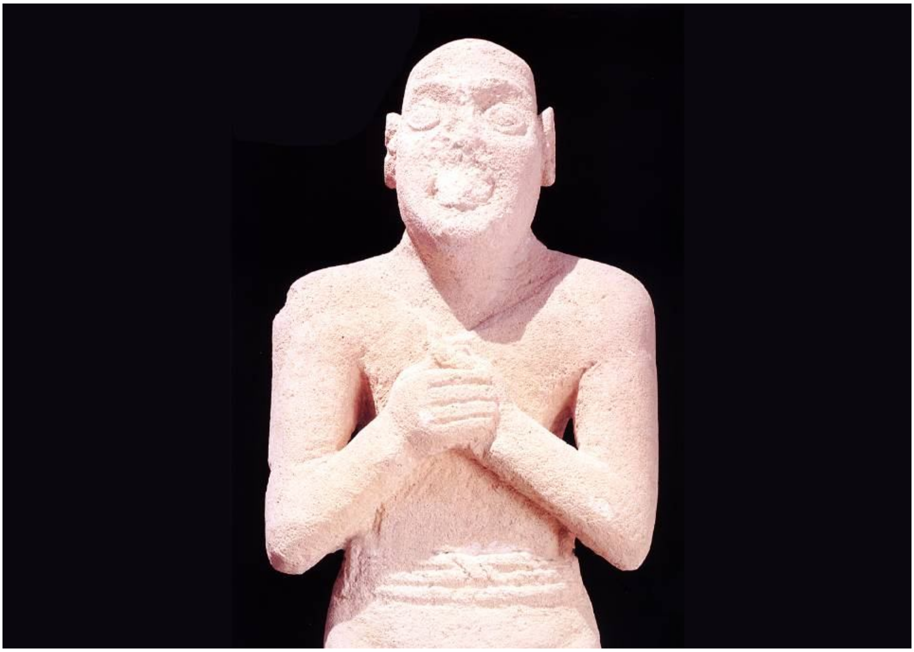
الصورة رقم (٢١): صورة جوية للبلدة القديمة في جزيرة تاروت وقد بدا في الأمام قلعتها الشهيرة.



الصورة رقم (٢٢): صورة ملتقطة عام ١٩٨٥م لعين تاروت الأثرية الواقعة عند سفح البرج الشمالي الغربي من قلعتها.



الصورة رقم (٢٣): صورة لبعض الفخاريات القديمة المكتشفة في تاروت.



الصورة رقم (٢٤): الجزء العلوي من تمثال تاروت العائد لمنتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد.



الصورة رقم (٢٥): تماثيل معبد الإله آبو بتل أسمر السومرية شرق بغـداد، والعائـدة لذات الزمان لاحظ الشبه بين تمثال تاروت وبينها، ولاسيما تمثال الرجل الأصلع.



الصورة رقم (٢٦): صورة مقارنة لتمثال تاروت وأحد تماثيل الإلهة عشتار، ويلاحظ التشابه التام بينهما حتى في وجود الحزام أسفل السرّة لكليهما.



الصورة رقم (٢٧): صورة مقارنة أيضاً لتمثال تاروت مع تمثال جودا حاكم لجش، ويلاحظ أن التشابه بينهما في الخصائص الفنية والوجه أيضاً.

آلُ عُصْفُوْر فِيْ جَزِيْرَةِ أوَالْ

هَلْ هُمْ مِنْ سُلاَلَةِ حُكَّامِ هُرْمُزْ؟

آل عصفور الأواليون

تعتبر أسرة آل عصفور في جزيرة أوال (البحرين) من الأسر العلمية العريقة فيها التي قدمت علماء دين مرموقين وأدباء ومهندسين وأطباء وكتّاب ومفكرين.

والراجح هو أنّ سبب تسمية هذه الأسرة بـ(آل عصفور) نسبة إلى جدّهم عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطية بن شنبة؛ كما يبدو من نسب أشهر عالمين دينيين قدمتهما هذه الأسرة في القرن الثاني عشر الهجري، وهما العلامة الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور (توفي ١١٨٦هـ) المعروف بـ(المحقق) و(صاحب الحدائق)، وابن أخيه العلامة الشيخ حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور (توفي ١٢١٦هـ) الزعيم الديني المعروف، فهذان العالمان عندما يُذكران فإنه يكتفى بالقول في التعريف بهام الشيخ يوسف آل عصفور والشيخ حسين آل عصفور؛ في حين إنه يوجد عالم قريب لهما، ويلتقيان به في جدٍّ لهما مشترك بعد جدهما

عصفور، ولكنه لم يُنسب في كتب مترجميه على أنه من آل عصفور، ففي كتاب لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف آل عصفور المذكور للتو ذكر من ضمن مشائخه الشيخ أحمد بن صالح بن حاجي بن علي بن عبد الحسين بن شنبة.

وقد ذكر الشيخ يوسف أنه دوّن نسبه هذا نقلاً عن نسبه الذي كتبه بخط يده على أحد كتبه؛ كما ذكر الشيخ يوسف أنّ الشيخ أحمد هذا يتصل به نسباً في بعض الأجداد العالية،[٥٥٣] ومن الواضح من سلسلة نسبيهما أنّ جدهما المشترك هو عبد الحسين بن عطية بن شنبة لكنه لم ينسبه على أنه من آل عصفور لأنه ليس من أبناء عصفور بن أحمد بن عبد الحسين، وإنما هو من أبناء عمه علي بن عبد الحسين، وكذلك فعل

---

[٥٥٣] يوسف بن أحمد العصفور: لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث؛ تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم (بيروت: دار الأضواء ١٩٨٦م) الصفحات ٧١ – ٧٢.

وقد سقط من سلسلة هذه النسب اسم الجد عطية بين عبد الحسين وشنبة، وسوف يذكره الشيخ يوسف في كتابه اللؤلؤة هذا لاحقاً في ترجمة والده الشيخ أحمد ونقلا عن خطه بيده أيضاً.

الرجالي النسابة السيد أحمد الحسيني، فهو عندما ذكر الشيخ أحمد بن صالح بن حاجي هذا قال عنه: **"أحمد بن صالح بن حاجي الأوالي البحراني"**، ثم عقب قائلاً: **"أجازه الشيخ سليمان بن صالح العصفوري البحراني في سنة ١٠٧٩"**،[٥٥٤] والشيخ سليمان هذا هو عم جدِّ الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور، فهو بالتالي من أحفاد عصفور ولهذا نسبه السيد الحسيني على أنه عصفوري ولم ينسب أحمد بن صالح بن حاجي عصفورياً لأنه ليس من أبناء عصفور بن أحمد كالشيخ سليمان وإنما هو من أبناء عم عصفور بن أحمد، وهو علي بن عبد الحسين، وهذا مما يؤكد القول إن آل عصفور منسوبون إلى جدّهم عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطية بن شنبة.

هل آل عصفور الأواليون ينحدرون من آل عصفور العُقيليين؟

كان الباحث ابن عقيل الظاهري من أوائل من احتمل

[٥٥٤] السيد أحمد الحسيني: تراجم الرجال (قم المقدسة: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ١٤١٤هـ) ج١: ٧٢.

انتساب آل عصفور الأواليين إلى آل عصفور العمايريين العُقيليين الذين حكموا في البحرين الكبرى في أواسط القرن السابع الهجري بُعيد سقوط دولة العُيونيين، ولم يذكر ما يؤيد احتماله هذا إلا (لعل)، وهي لا تكفي للدلالة على ذلك،[555] ثم بعد ابن عقيل ببضع سنين صدر كتاب (عيون الحقائق الناظرة في تتمة الحدائق الناضرة) للعلامة الشيخ حسين آل عصفور ذاته، والذي فوجئنا فيه عند ترجمته في مقدمة الكتاب بتدوين نسبه إلى عصفور بن راشد بن عميرة العُقيلي الذي تزعم إقليم البحرين القديم في أواسط القرن السابع الهجري، وكانت سلسلة النسب كالتالي:

الشيخ حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن الحاج أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطية بن شيبة الدرازي ابن الأمير هلال ابن الأمير موسى ابن الأمير حسين ابن الأمير مانع ابن الأمير عصفور

---

[555] أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء (الرياض: دار اليمامة ١٩٨٣م) القسم الأول؛ الصفحة ١٩١.

ابن الأمير راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.[٥٥٦]

وكان هذا النسب كُتب - كما في المقدمة نفسها – بواسطة حفيدي المؤلف الميرزا الشيخ محسن العصفور والشيخ أبو أحمد آل عصفور،[٥٥٧] ولم يذكرا مصدرهما في الربط بين من سماه (شيبة) - الذي تقدم بنا تسمية الشيخ يوسف له (شنبة) – وبين من سَمَّياه بالأمير هلال بن موسى بن حسين بن مانع بن عصفور بن راشد، ومن الواضح أنّ سلسلة النسب هذه

[٥٥٦] حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور: عيون الحقائق الناظرة في تتمة الحدائق الناضرة (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ١٤١٠هـ) ج١: ٤

[٥٥٧] حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور: عيون الحقائق الناظرة في تتمة الحدائق الناضرة (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ١٤١٠هـ) ج١: ٦.

هي سلسلة نسب باطلة ما لم يذكر مصدرها، والغريب أنّ الشيخ محسن العصفور قد كرر سلسلة النسب هذه للشيخ حسين بعد عِقد من الزمان من دون أن يذكر لها مصدراً أيضا؛ بل أرسل ذلك إرسال المسلمات، وذلك في تقديمه لكتاب آخر للشيخ حسين عنوانه (سداد العِباد ورشاد العُبَّاد) الصادر في قم عام ١٤٢١هـ، وهو كله – كما نرى – تخرصات ليس لها من أساس علمي متين.

شنبة الجد الأعلى لآل عصفور الأواليين وغيرهم

لقد مرَّ بنا في أوّل هذا البحث ما ذكره الشيخ يوسف آل عصفور في كتابه (لؤلؤة البحرين) عندما كتب سلسلة نسب **الشيخ أحمد بن صالح بن حاجي بن علي بن عبد الحسين بن شنبة**، فقال عند ذكره لهذه السلسلة أنه هكذا وجدها بخط المترجم، وقد ذكر أيضاً في ترجمة والده أنّ اسم جده الأعلى هو (شنبة)، وذكر هناك أيضاً أنه هكذا وجده بخط يد والده في أحد الكتب التي اقتناها في أوائل عمره، وكانت سلسلة النسب

هكذا: [558]

"أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطية بن شنبة".

فمن الواضح من هاتين السلسلتين النَّسَبيّتين اللتين ذكرهما صاحب اللؤلؤة أنّ صحة الاسم هو (شنبة)؛ [559] كما

---

[558] يوسف بن أحمد العصفور: لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث؛ تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم (بيروت: دار الأضواء ١٩٨٦م) الصفحة ٩٣.

[559] وبهذا الرسم ورد في المصادر التالية أيضاً:

١.يوسف بن أحمد آل عصفور: الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب؛ تحقيق مهدي الرجائي (قم: مطبعة أمير ١٤١٩هـ)؛ الصفحة ٢٥.

٢.يوسف بن أحمد آل عصفور: الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة (قم: مؤسسة النشر الإسلامي ١٣٧٧هـ)؛ ج١: ٧.

٣.حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور: سداد العباد ورشاد العباد؛ تحقيق محسن العصفور (قم: المطبعة العلمية ١٤٢١هـ)؛ الصفحة ٣.

٤.حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور: عيون الحقائق الناظرة في تتمة الحدائق الناضرة (قم: مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٠هـ)؛ ج١: ٤.

٥.السيد أحمد الحسيني: تراجم الرجال (قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي

نلاحظ وجود زيادة اسم عطيّة في سلسلة نسب والد الشيخ يوسف، وهو غير موجود في سلسلة نسب الشيخ أحمد المتقدمة، وأضيف أيضاً أنّ جد والد الشيخ يوسف، وهو الشيخ أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور كان له أخوان هما عيسى بن صالح المتوفى عام ١٠٨٨هـ.[٥٦٠] وسليمان بن صالح المتوفى عام ١٠٨٥هـ،[٥٦١] وهو يعني أنّ هؤلاء الأخوة الثلاثة هم من رجالات القرن الحادي عشر الهجري مما يعني أنّ جدّ أبيهم عصفور هو من رجالات القرن العاشر وفق قعدد النسب، ووفق هذه القاعدة ذاتها قد يكون الجد الأعلى لعصفور، وهو (شنبة) من رجالات القرن التاسع الهجري، فهل كان يوجد في جزيرة أوال رجلٌ يحمل هذا الاسم في القرن التاسع أو قريباً

١٤١٤هـ)؛ ج١: ١٩٨.

٦.محمد حسين الحسيني الجلالي: فهرس التراث؛ تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي (قم: مطبعة نكارش ١٤٢٢هـ) ج٢: ٧٦.

٥٦٠ حسن بن محسن الأمين: مستدركات أعيان الشيعة (بيروت: دار التعارف للمطبوعات ١٩٨٩م)؛ ج٤: ١٣٧.

٥٦١ آغا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (بيروت: دار الأضواء ١٩٨٣م) ج٦: ٢٨٠.

منه؟.

الجواب هو نعم، فقد جاء في كتاب (رحلات بيدرو تيشيرا) نقلاً عن كتاب (شاهنامة) للسلطان الهرمزي توران شاه بن قطب الدين تهماتان أنّ والده قطب الدين تهماتان بن توران شاه حاكم هرمز خرج عليه أخوه نظام الدين كيقباد بن توران شاه واحتلّ هرمز منه، ثم بعد ذلك بسنة توفي نظام الدين هذا، فآل حكم هرمز لولدين له اسم أحدهما (شادي)، وأما الآخر فكان اسمه (شنبة).[٥٦٢]

كما ذكر أيضاً أنّ قطب الدين تهماتان قام بعدها بحملة على هرمز تمكن على إثرها من التغلب على هرمز واستولى عليها، فهرب ابنا أخيه (شنبة) و(شادي) إلى جزيرة قيس، ثم إلى جزيرة البحرين (أوال)، وذلك في العام ٧٤٧هـ.

وقد ذكر أيضاً في ذات المصدر أنّ نزاعاً حصل في أوال بين الأخوين (شنبة) و(شادي) انكسر فيه (شنبة)، فسجنه أخوه

---

[٥٦٢] وكتب في بعض الترجمات لكتاب بيدرو تيشيرا (شنبا)، وهو هو.

(شادي)، وكاد أن يقتله في السجن لولا أن تشفعت فيه أمهما، وساهمت في فك سراح (شنبة) الذي رحل على إثر ذلك من جزيرة البحرين إلى بلدة فالي على البر الفارسي المقابل، ثم إنه سرعان ما مات (شادي) مخلفاً طفلاً صغيرا اسمه (فولان)، فما كان من (شنبة) إلا أنْ عاد إلى البحرين مسرعاً، وقام بقتل ابن أخيه (فولان بن شادي) الذي عُهد إليه بولاية جزيرة البحرين بعد أبيه (شادي) من قبل ابن عم أبيه تورانشاه بن تهماتان حاكم هرمز ليصبح (شنبة) عندها الحاكم المطلق لجزيرة البحرين.

غير أنّ الملك لم يدم طويلاً لـ(شنبة) في أوال، فقد قام بعض أعيان البحرين واسمه مير عجب مع آخرين بقتله فيها، ثم حدث تنازع بين هؤلاء الأعيان فيمن يحكم الجزيرة، وهو ما أوجب مجيء سلطان هرمز توران شاه بنفسه إلى الجزيرة فضبط الأمن فيها، وفرّ مسببو الاضطرابات منها إلى القطيف، فلحق بهم توران شاه إليها، وبسط الأمن فيها هي الأخرى، وهنا بالتحديد تنتهي الشاهنامة التي ألفها مما يعني قرب هذه الحادثة

من وقت وفاته، وهو العام ٧٧٩هـ.[٥٦٣]

ونخلص من كل هذا إلى أنّ (شنبة بن نظام الدين قيقباد بن توران شاه) كانت خاتمة حياته في أوال حيث قُتل ودفن فيها، وعليه فإنني أرى أنّ شنبة بن قيقباد هذا قد يكون هو شنبة الجد الأعلى لآل عصفور الأواليين نفسه، فزمانهما متقارب كما رأينا،[٥٦٤] والاسم هو ذات الاسم مع غرابته وعدم كونه

---

[٥٦٣] ملخصاً عن:

William F. Sinclair: The Travels of Pedro Teixeira; with "Kings of Harmuz," and Extracts from his "kings of Persia" London 1958, P. 182 – 188.

وانظر أيضاً:

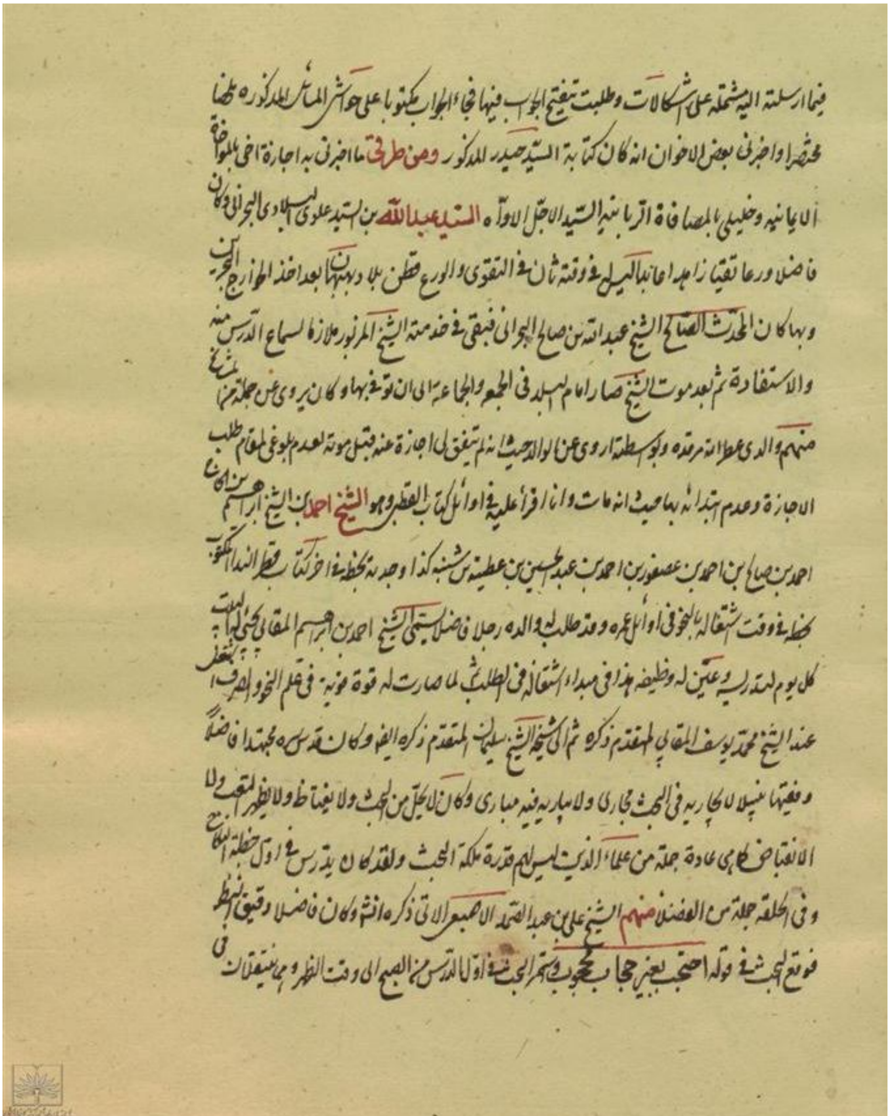
١.إبراهيم خوري وأحمد جلال التدمري: سلطنة هرمز العربية (رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق ٢٠٠٠م)؛ الصفحات ١٤٣ – ١٤٤.

٢.بيدرو تيخسيرا: تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تيسخيرا؛ ترجمة د. عيسى أمين (المنامة: مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٦)؛ الصفحات ١٠٨ – ١١٣.

[٥٦٤] نعم ربما ينقص سلسلة النسب بين عصفور الذي سبق وقلنا إنه من رجال القرن العاشر الهجري وبين جده شنبة بضعة أفراد حتى تصل به إلى أواسط القرن الثامن الهجري، وهذا النقص يقع في كل سلاسل النسب العربية إما بسبب سقوط أفراد منها سهواً من الكاتب أو الناسخ، وقد رأينا

مألوفاً سواء في جزيرة أوال أو في إقليم البحرين بصفة عامة، ثم يُضاف إلى ذلك أيضاً كثرة الأملاك والبساتين التي كانت لآل عصفور في جزيرة أوال مما يوحي بكون هذه الأسرة تنحدر من سلالة شخصية كانت ذات زعامة وأملاك كثيرة، وهذا كله يصب في صالح القول باتحاد شنبة جد آل عصفور الأعلى مع شنبة بن قيقباد بن توران شاه.

من السلسلتين اللتين ذكرهما الشيخ يوسف في اللؤلؤة سقوط الاسم عطية بين عبد الحسين وبين شنبة في السلسلة الأولى التي ذكرها للشيخ أحمد بن صالح بن حاجي وتثبيته في السلسلة الثانية التي ذكرها لوالده الشيخ أحمد بن إبراهيم، فلا يمتنع أن يكون قد سقط أسماء بضعة أفراد آخرين غير عطية، ويكفي أن يكون قد سقط ثلاثة أفراد فقط من هذه السلسلة بين عصفور وشنبة ليصح لنا بذلك أن نصل بـ(شنبة) إلى أواسط القرن الثامن الهجري حيث كان يحيا شنبة بن قيقباد بن توران شاه.



فيما ارسلته اليه مشتملة على اشكالات وطلبت تنقيح الجواب فيها فجاء الجواب مكتوبا على حواشي المسائل المذكوره ملخصا
مختصرا واخبرني بعض الاخوان انه كان كتابة السيد حيدر المذكور ومن طرقي ما اخبرني به اجازة اخي بالمواخاة
الايمانيه وخليلي بالمصافاة القربانيه السيد الاجل الاواه السيد عبد الله بن السيد علوي البلادي البحراني وكان
فاضلا ورعا تقيا زاهدا عابدا لم ير في وقته ثان في التقوى والورع قطن بلاد بهبهان بعد اخذ الخوارج البحرين
وبها كان المحدث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح البحراني فبقي في خدمة الشيخ المزبور ملازما لسماع الدرس منه
والاستفادة ثم بعد موت الشيخ صار امام البلد في الجمعة والجماعة الى ان توفي بها وكان يروي عن جملة من مشايخ
منهم والدي عطر الله مرقده وبواسطته اروي عن الوالد حيث انه لم يتفق لي اجازة عنه قبل موته لعدم بلوغي لمقام طلب
الاجازة وعدم تهيئة لها حيث انه مات وانا اقرأ عليه في اوائل كتاب القطر وهو الشيخ احمد ابن الشيخ ابراهيم بن الحاج
احمد بن صالح بن احمد بن عصفور بن احمد بن عبد الحسين بن عطية بن شنبه كذا وجدته بخطه في اخر كتاب قطر الندى المكتوب
بخطه في وقت اشتغاله بالنحو في اوائل عمره وقد طلب له والده رجلا فاضلا يسمى الشيخ احمد بن ابراهيم المقابي لكي يأتيه
كل يوم للتدريس وعين له وظيفة هذا في مبدأ اشتغاله في الطلب لما صارت له قوة قوية في علم النحو والصرف اشتغل
عند الشيخ محمد بن يوسف المقابي المتقدم ذكره ثم الى شيخنا الشيخ سليمان المتقدم ذكره ايضا وكان قدس سره مجتهدا فاضلا
وفقيها نبيلا لا يجاريه في البحث مجار ولا يباريه فيه مبار وكان لا يخلو من البحث ولا يغتاظ ولا يظهر التعب ولا
الانقباض كما هي عادة جملة من علماء الذين ليس لهم قدرة ملكة البحث ولقد كان يدرس في اول حلقة الصلاة
وفي الحلقة جملة من الفضلاء منهم الشيخ علي بن عبد النبي الاصبعي الاتي ذكره انشاء الله وكان فاضلا دقيق النظر
فوقع البحث في ولده احتجب بعض حجاب بحجوت في سحر البحث في اوائل الدرس من الصبح الى وقت الظهر ومن متعلقات

الصورة رقم (٢٨): إحدى أوراق مخطوطة (لؤلؤة البحرين) التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية بطهران، وهي للشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني (توفي ١١٨٦هـ)، ويلاحظ في هذه الصفحة ذكر الشيخ يوسف لسلسلة نسب والده أحمد موصلاً له إلى شنبة (انظر السطر التاسع)، وشنبة هذا هو الجد الأعلى لآل عصفور الأواليين، والذي أوضحتُ رأيي في إنه هو شنبة بن نظام الدين قيقباد بن توران شاه الذي كان أبوه قيقباد حاكماً لهرمز، ثم رحل ابنه شنبة إلى أوال مع أخيه إثر أحداث ذكرتها في البحث.

مَسْجِدُ الخَمِيْسِ أو الجَامِعُ
ذو المَنَارتَينِ بجَزِيْرَةِ أوَالْ

دراسة تاريخية تحليلية لنشأته وبناءه وأسمائه

تمهيد:

عندما احتلّ القرامطة إقليم البحرين في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري كان من الأشياء التي فعلوها هو هدم المساجد فيها، ولم يسمحوا لسكان إقليم البحرين أن يبنوا أي مسجد في مدنه وقراه، وفي هذا الصدد يقول ابن المقرَّب العُيوني واصفاً ما فعلوه بقبيلته عبد القيس وبلده البحرين:

وَحَرَّقُوْا عَبْدَ قَيْسٍ فِيْ مَنَاْزِلِهَاْ
وَصَيَّرُوْا الغُرَّ مِنْ سَاْدَاْتِهَاْ حِمَمَاْ
وَأَبْطَلُوْا الصَّلَوَاْتِ الخَمْسَ، وَانْتَهَكُوْا
شَهْرَ الصِّيَاْم، وَنَصُّوْا مِنْهُمُ صَنَمَاْ
وَمَاْ بَنَوْا مَسْجِدَاً للهِ نَعْرِفُهُ
بَلْ كُلَّ مَاْ أدْرَكُوْهُ قَاْئِمَاً هُدِمَاْ

وعلّق شارح الديوان الذي كان معاصراً للشاعر على هذه الأبيات بقوله: **"وَكَانَ أَبُوْ سَعِيْدٍ الجَنَّابيّ حينَ مَلَكَ البَحْرَيْن، واستذلَّ أهْلَهَا، واسْتَقامَ أمرُه بهَا؛ هَدَمَ مَا كَانَ فيْهَا مِنْ المسَاْجدِ، وَأَبْطَلَ الصَّلاةَ، وَكَانَ لا يُصلِّيْ أحَدٌ بهَا إلا خفْيَةً مُدَّةَ**

دَوْلَةِ القَرَاْمِطَةْ".[٥٦٥]

وفي الواقــع فــإنّ تهــديم القرامطــة لمســاجد البحــرين أو تعطيلها قد ذكره أكثر من مؤرخٍ سابق لشارح الديوان المقرَّبـي المعاصر لابن المقرَّب، فعندما تحدث المقدسي (توفي ٣٩٠هــ) في كتابه (أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم) عن الأحســاء قــال عنها:

"الأحْسَـاْءُ: قَصَـبةُ هَجَـر، وَتُسَـمّىْ البَحْـرَيْن، كـبيرةٌ كـثيرةُ النَّخيْل عَـاْمِرَةٌ آهِلَـةٌ، .. وبهـا مُسْـتَقَرُّ القَرَامطَـةِ مِـنْ آلِ أبـيْ سَعيْدٍ، ثمَّ نظَرٌ وَعَدْلٌ، غَيرَأنَّ الجامِعَ مُعَطَّلْ".

ثمَّ نجد في تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال الصابئ الذي ذيّل به على تواريخ آبائـه نصّـاً يرويـه عـن مـن سُـمّي بـأبي حفص الريحاني (لعلها البحراني) يؤكد فيه على أنّ القطيـف والأحساء كانتا في العام ٤٥٨ للهجرة – أي قبل تحررهمـا مـن القرامطة بعقد من الزمن تقريباً – لا يُصلىْ فيهما جُمعـة ولا

---

[٥٦٥] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢١٢٣ – ٢١٢٧.

جماعة.[566]

ودوَّن ناصر خسرو الذي ولد بعد المقدسي بتسعة عقود (توفي ٤٨١هـ) ذات الملاحظة في رحلته، فقد نصَّ على أنّ أبا سيعد الجنابي مؤسس دولة القرامطة عندما حكم الأحساء أسقط عن أتباعه الصلاة والصوم؛ كما أشار إلى خلو الأحساء من مسجد جامع، فقال في هذا الصدد:

"وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة أو خطبة".[567]

كما يشير إلى أنّ رجلاً فارسيا في الأحساء اسمه علي بن أحمد كان يتعهد الحجاج الواصلين إلى الأحساء في طريقهم إلى الحجاز قام ببناء مسجد فيها ليؤدي فيه هؤلاء الحجاج الصلاة.[568]

---

[566] سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة (دمشق: دار حسان للطباعة والنشر ١٩٨٢م)؛ ج١: ٨٤.

[567] ناصر خسرو: سفر نامه؛ تحقيق يحيى الخشاب (بيروت: دار الكتاب الجديد ١٩٨٣م)؛ الصفحة ١٤٣.

[568] ناصر خسرو: سفر نامه؛ تحقيق يحيى الخشاب (بيروت: دار الكتاب

وفي الخطاب المروي لأبي سعيد الجنابي (أو لابنه أبي طاهر) الذي يردُّ فيه على الخليفة المقتدر العباسي نجده يعترف بحرقه للمساجد ولا ينكر ذلك؛ نعم هو برّر ذلك بحجة كان يراها، وهذا نصّ ما في خطابه مما يتعلق بحرق المساجد، وهو قوله مخاطباً المقتدر:

"فأمّا ما ذكرتَ من قتلِ الحجيجِ، وإخرابِ الأمصارِ، وإحراقِ المساجدِ، فوالله ما فعلت ذلك إلا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس".[569]

ويعلل ذلك بقوله موجهاً الخطاب إلى المقتدر أيضاً:

"وأما ما ذكرت من إحراق مساجد الأبرار، فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد إذا توسطتها، سمعت فيها الكذب على الله تعالى، وعلى رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – بأسانيد عن مشايخ فجرة، بما أجمعوا عليه من الضلالة،

الجديد ١٩٨٣م)؛ الصفحة ١٤٣.

[569] محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي المعافري اليماني: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة؛ تحقيق محمد عثمان الخشت (الرياض: مكتبة الساعي دت)؛ ج١: ٦٠.

وابتدعوا من الجهالة".[570]

فواضح من كلامه أنه لا ينفي حرقه للمساجد، وهو ما زاده وضوحاً خطابُ أحد سكان إقليم البحرين، ثم جزيرة أوال منه، وهو أبو البهلول العبدي الذي ثار على القرامطة في أواسط القرن الخامس الهجري، وبعد أن تمكّن من تحرير أوال منهم تاقت نفسه إلى أنْ يحرر أختيها القطيف والأحساء أيضاً ليكتمل له في حكمه عقدُ هذه الحواضر الثلاث التي هي لبُّ إقليم البحرين القديم، فكان أن كتب خطابه الذي حفظته لنا بعض نسخ ديوان ابن المقرَّب، وأوردته كاملاً في شرح أخباره وثورته على القرامطة خلال شروح القصيدة الميمية التي مطلعها: **"قُمْ فَاشْدُدِ العِيْسَ للتّرْحَالِ مُعْتَزِمَاْ"**، ونجد في هذا الخطاب قول أبي البهلول واصفاً حال أبي سعيد مؤسس دولة القرامطة عند خروجه في البحرين وقيامه بتأسيس دولة القرامطة فيها: **"فقتل الأبطال، واجتاح الأموال، وخرّب**

---

[570] محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي المعافري اليماني: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة؛ تحقيق محمد عثمان الخشت (الرياض: مكتبة الساعي دت)؛ ج١: ٦١.

المساجد، وعطّل المنابر والمشاهد"،[571] ثم قال في موضع آخر من خطابه هذا مخاطباً وزير الخليفة بقوله: **"وأقيم لسيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين .. في المسجد الجامع رسم الخطبة على العادة المعروفة، ثم لِيْ بعده، إذ لا جامع في هذه الأقطار كلها مع عرضها وطولها يذكر فيه اسم الله إلا هو، وتقام الصلوات فيه سواه"**،[572] ثم يذكر في موضع ثالث بيت شعر لبعض شعراء المنطقة، وفيه النصّ على أنّ القرامطة حرّموا الصلوات الخمس في الإقليم، وهو قوله:[573]

وحَرَّمــوا الصــلوات الخمــسَ في هَجَــر
والكُــفْرُ يــنزل، والإيمــان يرتحــلُ

فكل هذه الروايات المتقدمة تدلُّ دلالة واضحة على أنه لم يكن يوجد في أقطار إقليم البحرين أي مسجد فضلاً عن

---

[571] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٥٤.

[572] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٦١.

[573] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٦٥.

جامع باستثناء هذا الجامع الذي أشار إليه أبو البهلول في كلامه هنا؛ بل حتى هذا المسجد الجامع الذي أشار إليه أبو البهلول لم يكن موجوداً قبل أبي البهلول، فأبو البهلول هو الذي بناه وطلب من أخيه أبي الوليد أن يؤمّ الناس فيه لصلاة الجمعة والجماعة، وعليه فإنه يمكننا القول إنَّ النظرية التي تقول بارتقاء عمر مسجد الخميس الماثل أمامنا الآن إلى زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لا يمكن لها أن تصمد أمام هذه الروايات والمعطيات التاريخية التي ذكرتُها لأنّ القرامطة ما كانوا ليسمحوا للسكان ببناء مسجد لصلاة الجماعة فضلاً عن جامع تؤدى فيه صلاة الجُمُعة، ومن واقع النصوص المتقدمة أيضاً، فإنّ كل المساجد التي كانت موجودة في إقليم البحرين، ولاسيما الجوامع منها هَدَمها القرامطة، نعم قد يكون أسفل هذا المسجد آثار لمسجد أقدم منه، أو أقدم من تاريخ البناء البهلولي لهذا المسجد الماثل الآن، وهو أواسط القرن الخامس الهجري كما سنرى، وهو ما أشارت إليه بعض البعثات الاستكشافية إلا أنني غير معني بما تحت الثّرى لأن بحثي عن هذا المسجد هو بحثٌ تاريخي وليس آثاري.

فمن ا لواضح أنّ هدم القرامطة للمساجد لم يكن لمعتقد مذهبي خاص بهم، وإنما كان – وفق رأيي – لما كانت تضطلع به المساجد حينها، ولاسيما الجوامع منها في تأليب السكان المحليين على الثورة ضد الحكام الظلمة والمحتلين، فلهذا قاموا بهدمها ومنعوا بنائها، أو بناء مساجد أخرى جديدة، وعليه يمكن القول إنّه لم يكن في عهد القرامطة أي مسجد قائم في إقليم البحرين القديم، ولاسيما في حواضره الثلاث أي الأحساء والقطيف وجزيرة أوال، فضلاً عن جامعٍ كبير يجتمع فيه أهالي هذه البلاد فيتشاورون في شئونهم؛ بل ربما كان مصدر تدبير ثورة عليهم من قبل الأهالي الذين احتلّ القرامطة بلدانهم تلك، وهو ما حصل بالفعل عندما تمكن أبو البهلول أوّلُ ثوّار عبد القيس عليهم في البحرين، ثم في جزيرة أوال منها من أنْ يبني أوّل جامع فيها في العقد الخامس من القرن الخامس الهجري، وذلك بعد أن خدع القرامطة، وقام برشوتهم بمال وفير مستغلاً تردّي أوضاعهم الاقتصادية، وبدءَ قبول رجال دولتهم للرُّشَى، وهو أمرٌ كان دائماً وأبداً أوّل مظاهر ضعف وانحطاط الدول في كل مكان وزمان، وأحد

أسباب انهيارها على مرّ التاريخ، وبالفعل، فبعد أن بنى أبو البهلول جامعه هذا لم يمضِ عليه وقتٌ كثير إلا وهو يُعلن الثورة على القرامطة في جزيرة أوال بعد أن جمع قبيلته عبد القيس فيها ووحد كلمتهم بفضل ما كان يلقيه عليهم أخوه أبو الوليد من خطب حضّهم فيها على الثورة ضد القرامطة، وهنا يُطرح سؤال عريض، وهو أين أقام أبو البهلول هذا الجامع الذي كان أوّل مسمار يُدقُّ على نعش سيطرة القرامطة على جزيرة أوال وإقليم البحرين كلّه؟.

تاريخ بناء المسجد الجامع في أوال وموضعه

لقد أوضحت في تحقيقي للديوان المقرَّبي أنّ أبا البهلول بنى مسجداً جامعاً قبل العام ٤٥٠ للهجرة ببضع سنوات،[٥٧٤] وبالتالي فإنّ هذا المسجد ينبغي أن يكون هو الجامع الذي ورد ذكره عند الإدريسي المتوفى عام ٥٦٠ للهجرة في كتابه (النزهة)، ولكن قبل ذلك ذُكرت جزيرة أوال فيه، وجاء في وصفها أنها:

---

[٥٧٤] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٦٧.

"جزيرة حسنة بها مدينة كبيرة تسمى البحرين وهي عامرة حسنة خصيبة كثيرة الزروع والنخل وفيها عيون ماء كثيرة ومياهها عذبة منها عين تسمى عين بو زيدان ومنها عين مويلغة ومنها عين عذار وكلها في وسط البلد".[٥٧٥]

ويهمني أن أشير هنا إلى ما ورد فيه عن العيون الثلاث أنها تقع في وسط البلد، وهي عيون ظلت معروفة حتى وقتنا هذا بأسمائها التي ذكرها، وكلها تقع ضمن حدود (البلاد القديم)، وهو ما يعني وفق هذا النصّ أنّ (البلاد القديم) كانت هي عاصمة أوال في أواسط القرن الخامس الهجري، وبالتالي فإنه إن كان لا بد من جامع، فإنه لن يكون إلا في العاصمة.

وعليه فإنّ الضّمير في قوله: "وهي عامرة حسنة .. الخ" يعود

---

[٥٧٥] محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحَمُّودي الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (مخطوطة المكتبة الفرنسية رقم (Arabe 2221)؛ الورقة ١٤٢ ظهر، وقد كتبت بوزيدان والمويلغة صحيحتي الرسم، وأما عذاري، فقد كتبت (غذار)، والصحيح ما أثبته، وهي عينٌ شهيرة معروفة حتى وقتنا هذا.

وانظر للمقارنة طبعة بيروت (دار عالم الكتب ١٩٨٩م؛ ج١: ٣٧٨)، وطبعة القاهرة (المكتبة الثقافية الدينية ٢٠٠٢م؛ ج١: ٣٨٧).

إلى المدينة الأوالية التي سماها البحـرين، والـتي رجَّحنـا الآن أنّ المراد بها (البلاد القديم)، وهنا يأتي النّصُّ الآخر الـذي دونـه الإدريسي عن أوال ليبين لنا حقيقـة ناصـعة أخـرى، وهـي أنّ هذه المدينة كان بها بالفعل جـامعٌ آهـل، فلنسـتمع إليـه وهـو يقول: **"جزيـرة اوال، وبهـا أيضـا مدينـة، ولهـا جـامع، وفيهـا أسـواق صـالحة"**،[٥٧٦] فهـو هنـا يكـرر وجـود مدينـة في أوال، ويضيف أنّ لهذه المدينة جامع قائم.

والإدريسي كما نعلم توفي عام ٥٦٠ للهجرة، ولكنه كان منذ العام ٥٣٣ حلّ ضيفاً على حاكم جزيرة صـقلية بروجـر الثـاني الذي دعاه للإقامة عنده، فلبى طلبه، وأقـام عنـده حتـى مماتـه لم يخرج من صقلية أو أوروبا عامة، فتكون رؤيتـه لجزيـرة أوال – إن كان قد رأها – قد تمت قبل العام ٥٣٣ للهجرة، وبعد العـام ٤٩٣ للهجرة، وهو عام مولده، وإذا افترضـنا أنّ معلوماتـه عـن جزيرة أوال التي دونها بدقة كبيرة جداً هي عن معاينة شخصية له، فإنّ وصوله إلى جزيرة أوال لا بد أنه قد تم بعد بلوغه سـن

[٥٧٦] انظر مخطوطة المكتبة الفرنسية رقم (Arabe 2221)؛ الورقة ١٥٠ وجه.

العشرين على أقل التقديرات أي ما بعد العام ٥١٧ للـهجرة، وفي هذا العام كـان حكـم أوال قـد آل إلى العُيـونيين، ثـم إلى حفيد مؤسسها أبي سنان محمد بن الفضـل بـن عبـد الله بـن علي العُيوني صاحب نقش مسجد الخـميس المـؤرخ عـام ٥١٨ للهجرة، والذي امتد حكمه فيها إلى العام ٥٣٩ للهجرة أي بعد أن رحل الإدريسي إلى صقلية، وقبل أبـي سـنان كـان حاكمهـا أبوه الفضل لمدة سبع سنين كما ذكر شارح الديوان المقرَّبي.

وهذا ما يجعلـني أشـكك في أنّ الوصـف الـدقيق والمفصـل الذي ورد في كتاب (نزهة المشتاق) للإدريسي عن جزيـرة أوال وعيونها، ولاسيما عين عذاري، وكذلك وصـفه لعمليـة صـيد اللؤلؤ قد لا يكون له حتى وإن بدا أنه هو منشئه، أو أنـه قـد كتبه عن معاينة شخصية للجزيرة، فقد يكون الإدريسـي نقلـه عن شخصٍ سابق له لأنّ في الكلام ما يدلُّ علـى أنّ صـاحب هذا الوصف للجزيرة وشئونها قد زارها في أيام أبي البهلـول محررها من القرامطة في أواسط القرن الخامس الهجري أي قبل ولادة الإدريسي بأربعة عُقود، ولنستمع إلى صـاحب الوصـف، وهو يتحدث عن حاكمها الذي شاهده فيها، فيقول:

"وفي هـذهِ الجزيـرةِ أمـيرٌ قَـائمٌ بنفسـهِ، وَقَـدْ رَضِـيَهُ أهْـلُ السَّاحِلَينِ لعَدْلهِ وَمتانةِ دِينهِ وَلاْ يَلِيْ مكانـهُ إذا مَـاتَ إلاّ مَـنْ هُوَ مِثلُهُ فِيْ العَدْلِ وَالقيامِ بالحَقّ".[٥٧٧]

فهذه الصفات هي ألْيَق بأبي البهلـول العبـدي منهـا بـأبي سنان أو أبيه الفضل لأنّ الفضل كان فيه عرام وشراسة، وهـو الذي انتزع جزيـرة أوال والقطيـف مـن آل عبـاس الجـذميين القطيفيين بالسيف، وقد ذكر شارح الديوان المقربي أنه أخرب القطيف بعد حكمه لها بسبع سـنوات، ورحـل عنهـا إلى أوال، وكان آخر مآله أن قُتل، وأما ابنه أبو سـنان فإنـه ولـي الجزيـرة خلفاً لأبيه، وهذا الحاكم الذي ذكر في (نزهة المشـتاق) وُصِـفَ بأنه **"أمير قائم بنفسه"** كناية عن أنه مستقل بحكم الجزيرة ولا سلطة لأحد عليه فيها، وأنه كان **مرضياً من أهلها**؛ كما وُصـف بالعدل ومتانـة الـدين، وهـي صـفات ذكرهـا شـارح الـديوان

---

[٥٧٧] محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحَمُّودي الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (مخطوطـة المكتبـة الفرنسـية رقـم (Arabe 2221)؛ الورقة ١٤٢ ظهر، وانظر للمقارنة طبعة بيروت (دار عالم الكتـب ١٩٨٩م؛ ج١: ٣٧٨)، وطبعة القاهرة (المكتبة الثقافية الدينية ٢٠٠٢م؛ ج١: ٣٨٧).

المقرَّبي لأبي البهلول محمد بن يوسف بن الزجاج العبدي محرر أوال الذي استقل بحكمها عن القرامطة.[578]

وعلى ذلك يكون هذا الوصف الدقيق لجزيرة أوال وشئونها - والمدوَّن في (النزهة) - قد كُتب في زمن محرر الجزيرة أبي البهلول من قبل شخصٍ غير الإدريسي، وأنّ الإدريسي نقله عنه من دون أن ينسبه إليه، ومنه يزيد يقيننا في أنّ الجامع الذي ذكر في (نزهة المشتاق) للإدريسي هو ذاته المسجد الجامع الذي بناه أبو البهلول في أواسط القرن الخامس الهجري.

كيف تمكن أبو البهلول العبدي من بناء المسجد الجامع

لقد رأينا فيما مضى كيف أنّ القرامطة هدموا جُلَّ مساجد البحرين القائمة، ولم يكونوا ليسمحوا ببناء مساجد جديدة، ولكن أبا البهلول استغلّ بذكاء تأزم الوضع الاقتصادي الذي كان القرامطة يمرون به، واحتياجهم المتواصل إلى الأموال التي كانوا يصرفونها على إدارة شئون دولتهم، ودفع رواتب

---

[578] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)

موظفيهم وحرسهم من عامر ربيعة وغيرهم، وكانوا كثيراً ما يضغطون على جباة الضرائب من السكان لتحصيل أكبر قدر من الأموال نظراً للأوضاع الاقتصادية المتردية لديهم، وكان اعتمادهم في المقام الأول على جباية الضرائب الباهظة التي فرضوها على سكان إقليم البحرين، والذين أقاموا عليهم عرفاء منهم يضمنون لهم الضرائب التي يجب عليهم دفعها سنوياً، وكان أبو البهلول أحد هؤلاء العرفاء الضامنين،[٥٧٩] وكانوا ينتقدون جبايته للأموال من قومه وقِلَّتِها، ويتهمونه بالتساهل معهم.

وهنا استغلّ أبو البهلول الفرصة، وخاطب القرامطة ليأذنوا له في بناء مسجد في جزيرة أوال موضحاً لهم بطريقة ذكية أنّ قلة مال الضرائب الذي يدفعه إليهم يعود السبب فيه لكساد سوق الجزيرة بسبب نفور المسافرين والتجار العجم الذين كانوا أهم زبائن الجزيرة وأعظم مورد للأموال الواصلة إليها من المجيء إلى جزيرة أوال بسبب خلوها من مسجد جامع

---

[٥٧٩] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٣٠

يُصَلُّوْنَ فيه،[٥٨٠] ولهذا اقترح أبـو البهلـول بـدَهاءٍ واضـح علـى القرامطة أنْ يقـوم ببنـاء مسـجد جـامع حتـى يغـري العجـم وتجارهم بالمجيء إلى الجزيـرة والبيـع والشـراء فيهـا مما سـوف ينعش اقتصادها، ويكثر أموالها الأمر الـذي سـوف يجعـل مـال الضرائب التي للقرامطة أكثر بكثير مما يأخذونه منها حالياً.

وكان اقتراحـه هـذا اقترحـه علـى والـي الجزيـرة مـن قبـل القرامطة، وكان يُسمى جعفر بن أبي محمد بـن عـرهم الـذي كان يعرف أنّ القرامطـة لا يسـمحون ببنـاء المسـاجد مطلقـاً، ولهذا فإنه لم يكـن ليسـتطيع أن يبـتَّ في هـذا الأمـر الخطـير، ويوافق أبا البهلول على مقترحه مع أنّ علاقة الرجلين كانـت جيدة حسب مـا ورد في شـرح أحـوال ثـورة أبـي البهلـول في الديوان المقرَّبي،[٥٨١] ومع ذلك فقد ارتأى أن يكتـب إلى أسـياده بما اقترحه أبو البهلول عليه حتى يأمن انتقامهم منه، وبالفعـل

---

[٥٨٠] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٣١ – ٢٢٣٢.

[٥٨١] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٣٥ – ٢٢٣٦.

أرسل إليهم في عاصمة ملكهم الأحساء بما اقترحه عليه أبو البهلول مع عرضٍ مغرٍ قرر أبو البهلول إعطائهم إياه، وهو ثلاثة آلاف دينار في حال الموافقة، وما أسرع أنْ جاءه الجواب بالإيجاب، وأمروا واليهم على الجزيرة أنْ يسمح لأبي البهلول ببناء المسجد الذي طلبه دون أن يدركوا أنّ هذا المسجد سوف يكون سبب خروج هذه الجزيرة من أيديهم.

وبالفعل فقد شرع أبو البهلول في بناء هذا الجامع، وبمجرّد أن أتم بناءه تم استخدامه - إلى جانب الغرض الديني من تأدية الصلاة جمعة وجماعة فيه - لغرض سياسي أيضاً من قبل أبي البهلول، وهو الدعوة إلى الثورة على القرامطة وطردهم من الجزيرة، وبالفعل فقد تمَّ له ذلك بعد أحداث وحروب عصيبة بينه وبينهم – أطال بذكرها شارح الديوان المقرَّبي - حتى تمكن من الانتصار عليهم وطردهم من الجزيرة، وهذا كل ما يعنينا من سرد أحداث هذه الثورة لأنني ذكرت كل هذا الكلام الطويل لكي أصل إلى نتيجة واضحة، وهي أنّ هذا المسجد الجامع الذي بناه أبو البهلول كان أوّل مسجد بُني في البحرين إبان قيام دولة القرامطة فيها، والذين كانوا قد هدموا كل

مساجد البحرين كما رأينا من النصوص المتقدمة، ومنعوا سكانها من بناء مساجد جديدة فيها.

الأسماء التي أطلقت على هذا الجامع والمسجد

لقد رأينا أنّ هذا المسجد عندما أسسه أبو البهلول كان تأسيسه له بعنوان أن يكون مسجداً جامعاً تصلى فيه الجمعة والجماعة، وأن يُخطب فيه للخليفة العباسي بغرض تشجيع التجار العجم على القدوم إلى جزيرة أوال في أواسط القرن الخامس الهجري،[٥٨٢] وقد رأينا أنه أطلق عليه اسم المسجد الجامع في كتاب (نزهة المشتاق) العائد للقرن السادس الهجري كما مرّ بنا للتو، وقد أطلقه عليه أيضاً شارح ديوان ابن المقرَّب في أواسط القرن السابع الهجري.[٥٨٣]

وقد ظل معروفاً بهذا الاسم لأكثر من قرن إلى أنْ ظهر

---

[٥٨٢] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٣٣.

[٥٨٣] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٣٣، ٢٢٦١.

باسمٍ جديد لا نعرف وقته على التحديـد، ولكنـه ذُكـر بـه في نَصَّين وردا في ديوان الشاعر جعفر بن محمد الخطي، وذلـك في بداية القرن الحادي عشر الهجري، وهذا الاسم هو (المشهد ذو المنارتين)، وأول مورد لهذا الاسم في هذا الديوان هو في مقدمة قصيدة رثاء قالها الخطي في قاضي قضاة البحرين عبد الـرؤوف بن الحسين الموسوي عام ١٠٠٦ للهجرة، فقد ذكر جـامع ديوانـه وراويته المعروف بـ(الغنوي) أنّ هذه القصيدة التأبينية ألقيـت مع قراءة العهود والتقليـدات المقـررة مـن قبـل مملكـة هرمـز بتقليد القضاء لابن المتوفى السيد جعفـر بـن عبـد الـرؤوف الموسوي في هذا المسجد، ونصُّ ما ورد هو قوله: **"وكان ذلـك بالمشهد المعروف بذي المنارتين من أوال البحرين ثالث عشـر شهر صفر للسنة السادسة بعد الألف".**[٥٨٤]

ثم تكرر وروده بهذا الاسم في مقدمة قصيدة جاء فيها قـول

[٥٨٤] جعفر بن محمد العبدي الخطّي: ديوان أبي البحر الشيخ جعفر الخطـي؛ تحقيق أنيسة أحمد خليل المنصور وعبد الجليـل منصـور العـريّض (الكويـت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ٢٠٠٢م)؛ الصفحة ٢٢٥.

راويته: **"وجلس في بعض الليالي المقمرة في دهليز المشهد ذي المنارتين من البحرين في فتيان من بلده لهم أنسٌ بالأدب"**.[٥٨٥]

ويلاحظ من النص الأول أنّ هذا المسجد كان هو المسجد الرسمي الذي كانت تُقرأ فيه العهود والتقليدات المقررة من قبل مملكة هرمز التي كانت جزيرة أوال خاضعة لسيطرتها منذ العقد الرابع من القرن السابع الهجري بعد إسقاط هذه المملكة لدولة العُيونيين في البحرين، وهذا كله يدلُّ على أنّ هذا المسجد كان المسجد الرسمي للدولة حينها كما كان في عهد أبي البهلول والدولة العُيونية لم تتغير منزلته، ولم يحلَّ مسجدٌ آخر مكانه؛ كما يفهم من النصِّ الثاني أنّه كان لهذا المسجد دهليز يجلس فيه أهل الأدب ويتسامرون فيه في ليالي الأنس، وهو كله يدلُّ على مكانة سامقة كانت لهذا المسجد.

وتوجد لدينا رواية أخرى تعود إلى القرن الحادي عشر

---

[٥٨٥] جعفر بن محمد العبدي الخطّي: ديوان أبي البحر الشيخ جعفر الخطي؛ تحقيق أنيسة أحمد خليل المنصور وعبد الجليل منصور العريّض (الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ٢٠٠٢م)؛ الصفحة ٢٨٢.

الهجري أيضاً، وذكرها مسندةً المؤرخ الرجالي البحراني الشهير الشيخ علي البلادي صاحب كتاب (أنوار البدرين)، وذلك عند الحديث عن موضع قبر عالم الدين الشيعي الشيخ محمد بن ماجد الماحوزي البلادي البحراني الذي كان من قرية الماحوز، ثم سكن البلاد القديم كما يذكر الشيخ البلادي في ترجمته من (الأنوار)، والتي ذكر فيها موضع قبره، فقال: **"وقَبرُهُ فيْ مَقْبَرَةِ المشْهَدِ، وهوَ المسْجدُ الجامِعُ ذوْ المنارتين"**،[٥٨٦] فهذه الرواية كما نرى أسمته المسجد الجامع، ووصفته بذي المنارتين، فهو بالتأكيد ذات المسجد الوارد باسم (المشهد ذي المنارتين) في ديوان الشيخ جعفر الخطي؛ حتى وإن لم يذكره باسم المسجد الجامع هناك، وهاتان المنارتان علامة فارقة لمسجد واحد هو الذي يُعرف الآن بـ(مسجد الخميس) بالبلاد القديم.

وبقي هذا المسجد معروفاً بأنه مسجد جامع حتى بداية القرن العشرين الميلادي حيث سمّاه به لوريمر في موسوعته

---

[٥٨٦] الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين؛ تحقيق محمد علي محمد رضا الطبسي (النجف: مطبعة النعمان ١٣٧٧هـ)؛ الصفحة ١٣٤.

(دليل الخليج) التي نُشرت عام ١٩٠٩م، فتحت عنوان (البلاد القديم) من القسم الجغرافي لهذه الموسوعة، وبعد أن تحدث عن سوق الخميس في البلاد القديم؛ قال: **"وعلى بعد حوالي نصف ميل غربي المساكن الموجودة توجد آثار جامع مدرسة أبو زيدان بمئذنتين رفيعتين لا بأس بهما؛ ما زالتا واقفتين على ارتفاع ٧٠ قدماً، وهما وجبل دخان العلامة المرشدة للسفن التي تدخل ميناء المنامة، وفي وسط الجزء المخرَّب من القرية يوجد ينبوع أبو زيدان الذي بُني فوقه جامع شيعي حديث".**[٥٨٧]

ويُفهم من هذا النصّ أنّ لوريمر نسب مسجدنا إلى مدرسة (أبو زيدان) التي لا يبعد أن يكون هذا هو اسمها لقرب الجامع والمدرسة من عين (أبو زيدان)، وليس كما ظنه بعض الباحثين أنّ لوريمر أطلق على هذا المسجد اسم (أبو زيدان)، فالنصُّ كان واضحاً بقوله: **"جامع مدرسة أبو زيدان"**، فالتسمية بـ(أبو زيدان) هو للمدرسة، وليس للمسجد ذي المنارتين،

---

[٥٨٧] ج. ج. لوريمر: دليل الخليج ترجمة قسم الترجمة بالديوان الأميري القطري (الدوحة: مطابع علي بن علي دت) القسم الجغرافي؛ ج١: ٣٧٨.

ولنلاحظ أنّ لوريمر ذكر بعد ذلك في النصِّ ذاتـه ينبـوع (أبـو زيدان)، وذكر أنه بُني ملاصقاً لفوّهة هذا النبـع جـامع شـيعي حديث، وأخشى أنّ لفظة جامع هي تبرعٌ من المترجمين لأنّ كلي لفظتي (جامع) و(مسجد) لهما ذات المعنى في اللغة الإنجليزيـة، وهي Mosque، وبالتالي يكون الأصح لوك كتب هنا مسجد لأنّ هذا الذي وُصف بـ(جامع) هو في الواقع أصغر بكثير من أن يكون مسجداً جامعاً، فهو أشبه بمصـلى صـغير منـه بجـامع، وهو المعروف الآن بمسجد (أبو زيدان)، ويجب أن لا نغفل عن وصفه له بأنه حديث مما يعني أنه لم يكن يوجـد مسـجد جـامعٌ في السابق سوى مسجدنا المسجد الجامع ذي المنـارتين الواقـع على مرمى حجر منه.

وأما تسمية مسجدنا بـ(مسجد الخمـيس)، فـإنني لا أعـرف متى سُمِّيَ به وفق المصادر المتاحة لي، وإن كانت هذه التسـمية قد تمت في وقت متأخر عن القرن الحادي عشر الهجري الـذي كان يُسمى فيه بـ(المسجد الجامع أو المشهد ذين المنـارتين) لأنّ أقدم تسمية له بـ(مسجد الخميس) وردت عند البلادي المتوفى عام ١٣٤٠ للـهجرة، وذلـك في كتابـه (أنـوار البـدرين)، وهـو

بالمناسبة من البلاد القديم، فقد ذكر في ترجمة الشيخ سلمان بن عبد الله بن الشيخ حسين العصفور أنه كان يقيم الجمعة في: **"مشهد الخميس"**،[٥٨٨] فهو هنا ينعته بـ(المشهد)، واسم المشهد لا يُطلق في أوال إلا على المسجد الجامع ذي المنارتين كما مرّ بنا.

وينبغي أن لا نُغفل أيضاً أنَّ مسجد الخميس يقع في ما يُعرف بـ(البلاد القديم) التي مرّ بنا في نصّ (نزهة المشتاق) ما يدلُّ على أنها هي المعنية بالمدينة التي سُميت هناك بـ(مدينة البحرين)، وذكر وجود مسجد جامعٍ فيها، ومنه استنتجنا أنها هي العاصمة القديمة لجزيرة أوال قبل نشوء المنامة العاصمة الحالية، وأنّ مسجدها الجامع هو المسجد الجامع ذو المنارتين المعروف فيها الآن باسم مسجد الخميس.

وأما عن سبب تسمية هذا الجامع باسم (مسجد الخميس) الآن، فذلك لأنّ هذا المسجد يقع شمال الساحة التي كان يُقام

---

[٥٨٨] الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين؛ تحقيق محمد علي محمد رضا الطبسي (النجف: مطبعة النعمان ١٣٧٧هـ)؛ الصفحة ٢١٥.

فيها سوق الخميس أشهر أسواق البحرين، وهي سوقٌ كان لها نسختان شبيهتان بها، وهما سوق الخميس في القطيف، وسوق الخميس في الأحساء، وكل هذه السوقات الثلاث كانت عبارة عن مجمعات ضخمة لبيع وشراء كل ما يَصْدُقُ عليه وَصْفُ البيع مع ملاحظة وجود صفة مشتركة بين هذه الأسواق الثلاث، وهو قيامها جميعاً عند عواصم هذه البلدات الثلاث أعني الأحساء والقطيف وجزيرة أوال، فكان سوق خميس الأحساء يقام عند (الهُفُوْف)، وهي عاصمة الأحساء، وسوق خميس القطيف يُقام قرب عاصمتها (القَلْعَة)، وسوق خميس أوال يُقام عند (البلاد القديم)، وبالتالي فهي العاصمة القديمة للجزيرة، وهو ما دونه أحد علمائها عموماً،[٥٨٩] وهذا هو المألوف في كل مدن العالم القديمة، وهو أن تكون السوق الكبرى مرتبطة دائماً بالعاصمة، وكذلك المسجد الجامع.

وإذاً فإنني أستطيع التأكيد الآن على أنّ المسجد الجامع الذي

---

[٥٨٩] الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين؛ تحقيق محمد علي محمد رضا الطبسي (النجف: مطبعة النعمان ١٣٧٧هـ)؛ الصفحة ١٥٠.

بناه أبو البهلول العبدي في أواسط القرن الخامس الهجري هو ذاته المشهد ذو المنارتين في القرن الحادي عشر الهجري، وهو ذاته مسجد الخميس المعروف بهذا الاسم الآن، ولا زالت منارتاه اللتان عُرف بهما في القرن الحادي عشر وما بعده شامختان عاليتان؛ بل إنهما أصبحتا بمثابة العلامة الفارقة لهذا المسجد تميزه عن غيره من مساجد جزيرة أوال.

وبالإضافة إلى ما تقدم، فإنه توجد كثير من القرائن المعتبرة التي تدل على أنّ المسجد الجامع الذي بناه أبو البهلول، وذُكر في (نزهة المشتاق)، وشرح الديوان المقرَّبي هو المسجد ذاته الذي عُرف في وقتنا الحديث بـ(مسجد الخميس)، وهذه القرائن هي ما يلي:[٥٩٠]

١. وقوع مسجد الخميس في البلاد القديم العاصمة القديمة لجزيرة أوال، وقيام أكبر سوق في الجزيرة بالقرب منه، وهي سوق الخميس، وهذا هو حال الجوامع الإسلامية الكبيرة، فهي

---

[٥٩٠] كنت قد أشرت إلى ذلك في الطبعة الأولى من شرح ديوان ابن المقرَّب التي صدرت عام ٢٠٠٣م (ج٢: ٩٨٣)، وذكرتُ ترجيحي أن يكون المسجد الجامع الذي بناه أبو البهلول هو المسجد المعروف الآن بـ(مسجد الخميس).

دائماً ما ينشأ بقربها أسواق كبرى لكون المصلِّين قوّة شرائية لا يُستهان بها، فيتم الاستفادة منهم أثناء دخولهم وخروجهم من الجامع.

٢. وقوع مسجد الخميس بالقرب من العين القديمة المسماة بـ(أبو زيدان) إحدى عيون البلاد القديم التي تقع للجنوب الغربي من مسجد الخميس بمئتي متر فقط، وهذه العين هي التي وردت في كلام الإدريسي الذي أثبته قبل قليل على أنها إحدى العيون التي تقع وسط مدينة البحرين التي ذكرها وذكر وجود جامع فيها، وهي العين ذاتها التي ورد اسمها في خبر ثورة أبي البهلول مؤسس المسجد الجامع حيث قام بقتل حليفه ابن أبي العريان فيها بعد انشقاقه عن ثورته، وانضمامه للقرامطة ضد أبي البهلول، وهذا كله يدل على قرب المسجد الجامع الذي بناه أبو البهلول من عين أبو زيدان، وهو ما عليه حال مسجد الخميس.

٣. يوجد على المنارة الغربية من مسجد الخميس نقشان أحدهما يؤرخ لبناء تم في المسجد، والآخر يؤرخ لبناء المنارة الغربية ذاتها، والنقشان كُتبا في أيام الملك أبي سنان محمد بن

الفضل بن عبد الله بن علي العُيوني أكبر أحفاد مؤسس الدولة العُيونية، وثالث حُكّامها (انظر صورتيهما في آخر البحث)، وقد حكم هو وأبيه الفضل لهذه الجزيرة عقب حكم أبي البهلول لها، فهذا يقوي القول بأنّ هذا الجامع الذي بناه أبو البهلول قد أضاف إليه أبو سنان بعض الأبنية والمنارة الغربية، وأنّه ظل المسجد الجامع الذي تقام فيه الخطبة باسم الوالي، وتعلن فيه الأخبار التي يأمر بنشرها بين السكان، ويُعلن فيه المبايعات والعهود، وكل ما يهم الوالي إعلانه.

٤. وُصف المسجد الذي بناه أبو البهلول بأنه (جامع)، وذلك على لسان أبي البهلول نفسه وعلى لسان شارح الديوان المقرَّبي أيضاً،[٥٩١] والجامع يعني أنه أكبر مساجد البلد الذي تؤدى فيه صلاة الجمعة، وهذا الوصف ينطبق أيضاً على مسجد الخميس، فهو كان حتى وقتٍ قريب يُنعتُ بالمسجد الجامع،[٥٩٢] وكانت صلاة الجمعة تؤدى فيه حتى وقتٍ قريبٍ،

[٥٩١] شارح مجهول من القرن السابع الهجري: شرح ديوان ابن المقرَّب؛ تحقيق عبد الخالق الجنبي (بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠١٢م)؛ ج٤: ٢٢٣٣، ٢٢٦١.

[٥٩٢] الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني: أنوار البدرين في تراجم

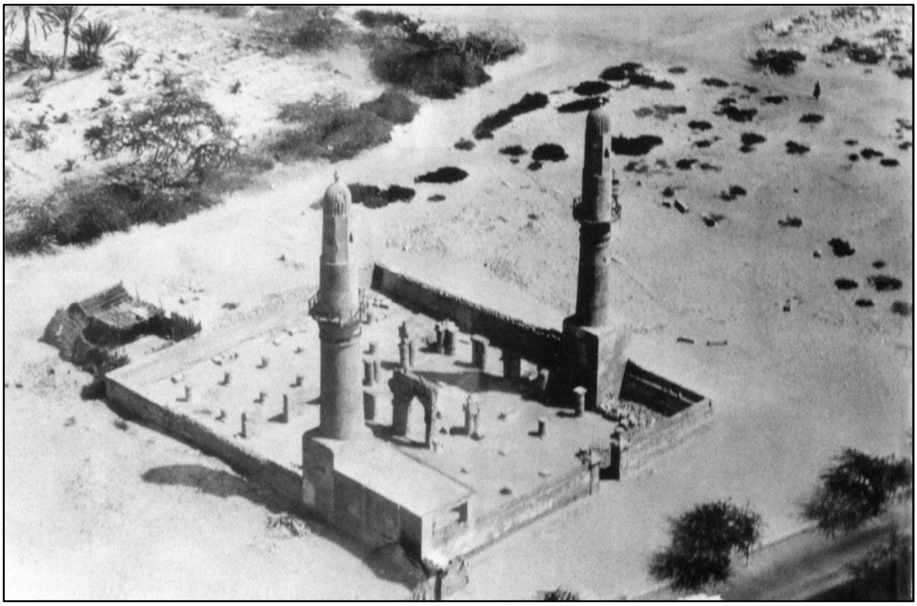
وهو يعتبر قياساً إلى مساجد جزيرة أوال الأخرى ذو مساحة كبيرة جداً بحيث إنّ أكبر المساجد القديمة الأخرى التي لا زالت باقية حتى الآن في الجزيرة مساحتها صغيرة بالقياس إلى مسجد الخميس وملحقاته؛ كما إنه كان يوجد مدرسة ملحقة بهذا المسجد خرّجت الكثير من العلماء والشعراء والأدباء والكتاب والنساخين، وهذا كله دليلٌ على المكانة السامقة التي كان هذا المسجد يتسنمها منذ تأسيسه، وحتى وقت قريب من أيامنا هذه؛ حيث هجر المسجد، ولم تعد الصلاة تُقام فيه كما كانت في الزمن القديم.

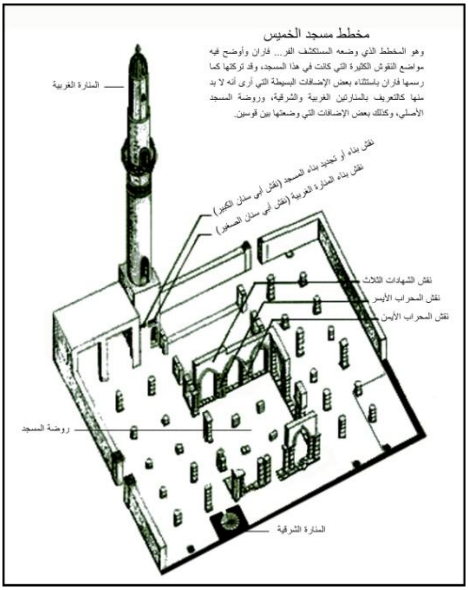
علماء القطيف والأحساء والبحرين؛ تحقيق محمد علي محمد رضا الطبسي (النجف: مطبعة النعمان ١٣٧٧هـ)؛ الصفحة ١٣٤.

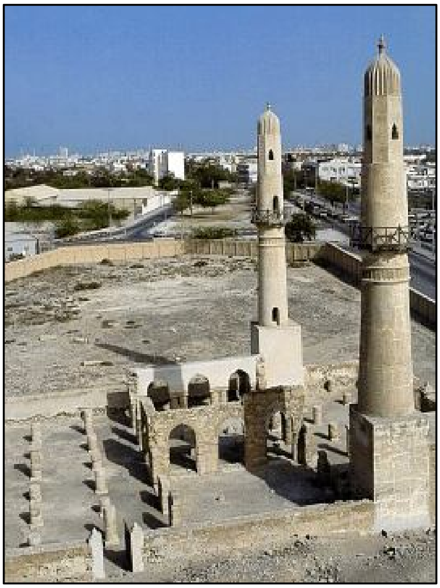
الصورة رقم (٢٩): وهي صورة فضائية مقتبسة عن الموقع الشبكي: bing.com/maps لمنطقة الخميس من البلاد القديم.

وقد أوضحت في الصورة موقع مسجد الخميس الذي توصلت في البحث إلى أنه هو المسجد الجامع الذي أسس بناءه الأول أبو البهلول العبدي الثائر على القرامطة في منتصف القرن الخامس الهجري، وأنه المسجد الذي زاد في بناءه أبو سنان العُيوني ثالث حكام الدولة العُيونية، وهو أيضاً المسجد الذي كان يُطلق عليه اسم (المشهد ذو المنارتين)، وهما واضحتان في الصورة؛ كما أوضحت فيها موقع عين ومسجد (أبو زيدان)، وموضع عين عذاري الشهيرة التي لا تبعد عنه كثيراً.

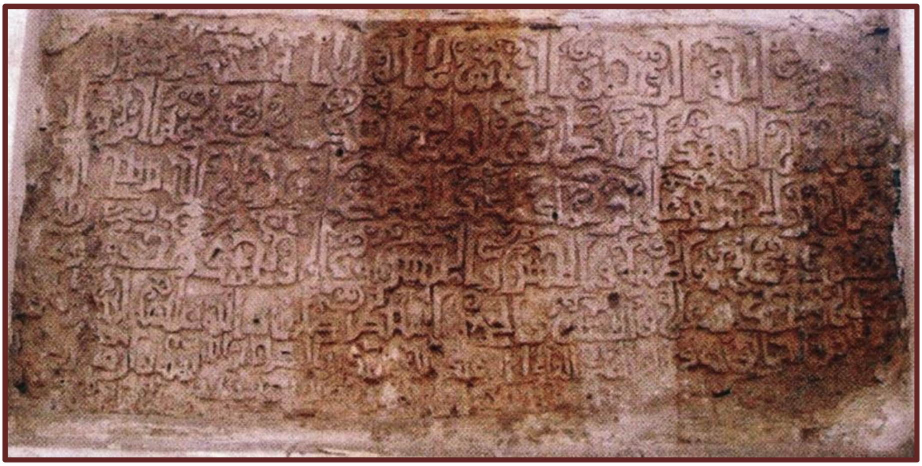








الصورة رقم (٣٠) في الأعلى: وهي صورة التقطت من الطائرة لمسجد الخميس في خمسينيات القرن العشرين الميلادي، ويتضح فيها وجود بقايا الأعمدة التي كان السقف يتكئ عليها؛ الصورة رقم (٣١): لليمين: صورة أخرى أخذت من الجهة الغربية توضح وجود تفاوت في الارتفاع بين المنارتين؛ الصورة رقم (٣٢): وهي عبارة عن مخطط وضعه المستكشف الفرنسي مونيك كيرفران عام ١٩٨٢م في دراسة له عن المسجد.







الصورة رقم (٣٣) في الأعلى: نقش بنـــاء أو تجديد بناء لمسجد الخميس مؤرخ بالعام ٥١٨ للهجرة، وهو في زمن ثالث حكـــام الدولـــة العيونية أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله، وهكذا دوّن اسمه وكنيته في النقش، وقد دون فيه أيضاً الشهادات الثلاث (لا إلــه إلا الله – محمد رسول الله – علي ولي الله)، وكـــذلك أسماء الأئمة الاثني عشر، وهو في المنارة الغربية للمسجد كما مرّ بنا من مخطـــط كيرفـــران السابق.

الصورة رقم (٣٤) لليمين: نقـــش تأســـيس المنارة الغربية الملتصق بها هو أيضاً إلى جانب النقش السابق، وهو يعود إلى زمن الأمـــير أبي سنان أيضاً، واسمه وكنيته مدونان فيه.

الصورة رقم (٣٥) لليسار: صورة أحـــد المحـــرابين اللذين كانا في مسجد الخميس، وقد نُقشـــت فيـــه بعض الآيات القرآنية، والشهادات الثلاث، وهي: (لا إله إلا الله – محمد رسول الله – علي ولي الله).

كشاف الصور المدرجة في البحوث، وبياناتها:

رقم الصورة	رقم الصفحة	ملتقط الصورة	مصدرها	ملاحظات
١	٧١	الكاتب	كاميرتي الشخصية	واحة أبو معن ١٤٣٥هـ
٢	٧١	الكاتب	كاميرتي الشخصية	إحدى عُيون واحة أبو معن
٣	٧٣	غير معروف	الأستاذ شوقي الصادق	إحدى عيون واحة العبا
٤	٧٣	الكاتب	كاميرتي الشخصية	عين غير مطوية في أبو معن
٥	٨٥	غير معروف لدي	شركة أرامكو	ميناء العُقير
٦	١٠٩	غير معروف لدي	الشبكة العالمية (الإنترنت)	من المشاع على الشبكة
٧	١١١	غير معروف لدي	الشبكة العالمة (الإنترنت)	من المشاع على الشبكة
٨	١١١	غير معروف لدي	جريدة الرياض	العدد (١٦٥١٤) بتاريخ ١٠ سبتمبر ٢٠١٣م.
٩	١١٣	الفنان/ عبد العزيز البقشي	الشبكة العالمية (الإنترنت)	نُشرت بإذن من صاحبها.
١٠	١١٣	الفنان/ عبد العزيز البقشي	الشبكة العالمية (الإنترنت)	نُشرت بإذن من صاحبها.
١١	١٩٧	القمر الصناعي لاندسات	Google.maps.com	دوحة عين السيح
١٢	١٩٩	القمر الصناعي لاندسات	Google.maps.com	دوحة عين السيح ودوحة رحوم
١٣	٢٠١	الكاتب	كاميرتي الشخصية	دوحة وواحة عين السيح
١٤	٢٠١	الكاتب	كاميرتي الشخصية	نخيل واحة عين السيح
١٥	٢٠١	الكاتب	كاميرتي الشخصية	بستان في واحة عين السيح
١٦	٢٠١	غير معروف لدي	الشبكة العالمية (الإنترنت)	قافلة جمال تعبر نهراً

١٧	٢٠١	غير معروف لدي	الشبكة العالمية (الإنترنت)	قافلة مراكب بحرية
١٨	٢٢٩	القمر الصناعي لاندسات	bing.com/maps	الزارة والحريف
١٩	٢٣٣	الكاتب	كاميرتي الشخصية	عين الحريف عام ١٤٠٥هـ
٢٠	٢٣٣	الكاتب	كاميرتي الشخصية	عين الحريف عام ١٤٢٥هـ
٢١	٤١٣	غير معروف لدي	شركة أرامكو	تاروت وقلعتها
٢٢	٤١٥	غير معروف لدي	الشبكة العالمية (الإنترنت)	عين تاروت
٢٣	٤١٥	غير معروف لدي	المتحف الإقليمي بالدمام	فخاريات تاروتية قديمة
٢٤	٤١٧	غير معروف لدي	W. Facey: The Story of Eastern Province London 1994	صورة لتمثال تاروت
٢٥	٤١٧	غير معروف لدي	الشبكة العالمية (الإنترنت)	صورة لتماثيل معبد الإله آبو
٢٦	٤١٩	غير معروف لدي	الشبكة العالمية (الإنترنت)	عشتار وتمثال تاروت
٢٧	٤١٩	غير معروف لدي	الشبكة العالمية (الإنترنت)	ملك لجش جودا وتمثال تاروت
٢٨	٤٣٥	صورة مسحية	موقع المكتبة الوطنية بطهران	إحدى ورقات مخطوطة كتاب (لؤلؤة البحرين)
٢٩	٤٦٩	صورة فضائية	bing.com/maps	صورة فضائية لمنطقة الخميس من البلاد القديم بجزيرة أوال.
٣٠	٤٧١	غير معروف	الباحث حسين الجمري	صورة جوية لمسجد الخميس
٣١	٤٧١	غير معروف	وزارة الإعلام البحرينية	صورة لمنارتي مسجد الخميس
٣٢	٤٧١	مخطط رسومي	الباحث حسين الجمري	مخطط عام لمسجد الخميس وضعه المستكشف الفرنسي مونيك كيرفران عام ١٩٨٢م.

٣٣	٤٧٣	الأستاذ وسام السبع	هو نفسه	صورة نقش أبي سنان الكبير الملتصق بجدار المنارة الغربية لمسجد الخميس.
٣٤	٤٧٣	الدكتور محمد السلمان	هو نفسه	صورة نقش أبي سنان الصغير الملتصق بجدار المنارة الغربية لمسجد الخميس.
٣٥	٤٧٣	غير معروف لدي	الباحث حسين الجمري	صورة أحد محرابي مسجد الخميس بالبلاد القديم.

كشاف الخرائط المدرجة في البحوث:

رقم الخارطة	رقم الصفحة	واضع الخارطة	مصدرها	ملاحظات
١	٣٩	فنيون مختصون	Encarta World Atlas 99	سبخة الرّياس
٢	٤٣	فنيون مختصون	Encarta World Atlas 99	الطريق القديم بين القطيف والعراق
٣	٥١	صورة فضائية	القمر لاندسات	واحة أبو معن وسبختها
٤	١٠٩	فنيون مختصون	Encarta World Atlas 99	العُقير
٥	١٥١	غير معروف	W. Facey: The Story of Eastern Province London 1994	السابون
٦	١٥٣	فنيون مختصون	Encarta World Atlas 99	القطيف والسفانية وإصطخر
٧	١٥٣	فنيون مختصون	Encarta World Atlas 99	خارطة جنابة
٨	١٩٥	فنيون مختصون	شركة أرامكو	واحة عين السيح ودوحتها
٩	٢٣١	فنيون مختصون	شركة أرامكو	الزارة وعين الزارة والحريف
١٠	٣٨٥	فنيون مختصون	Encarta World Atlas 99	منازل قبيلة آل مرة في شرق الجزيرة العربية
١١	٣٨٥	فنيون مختصون	Encarta World Atlas 99	منازل بطون عبد القيس في شرق الجزيرة العربية
١٢	٤١٣	فنيون مختصون	شركة أرامكو	جزيرة تاروت

المحتوى: